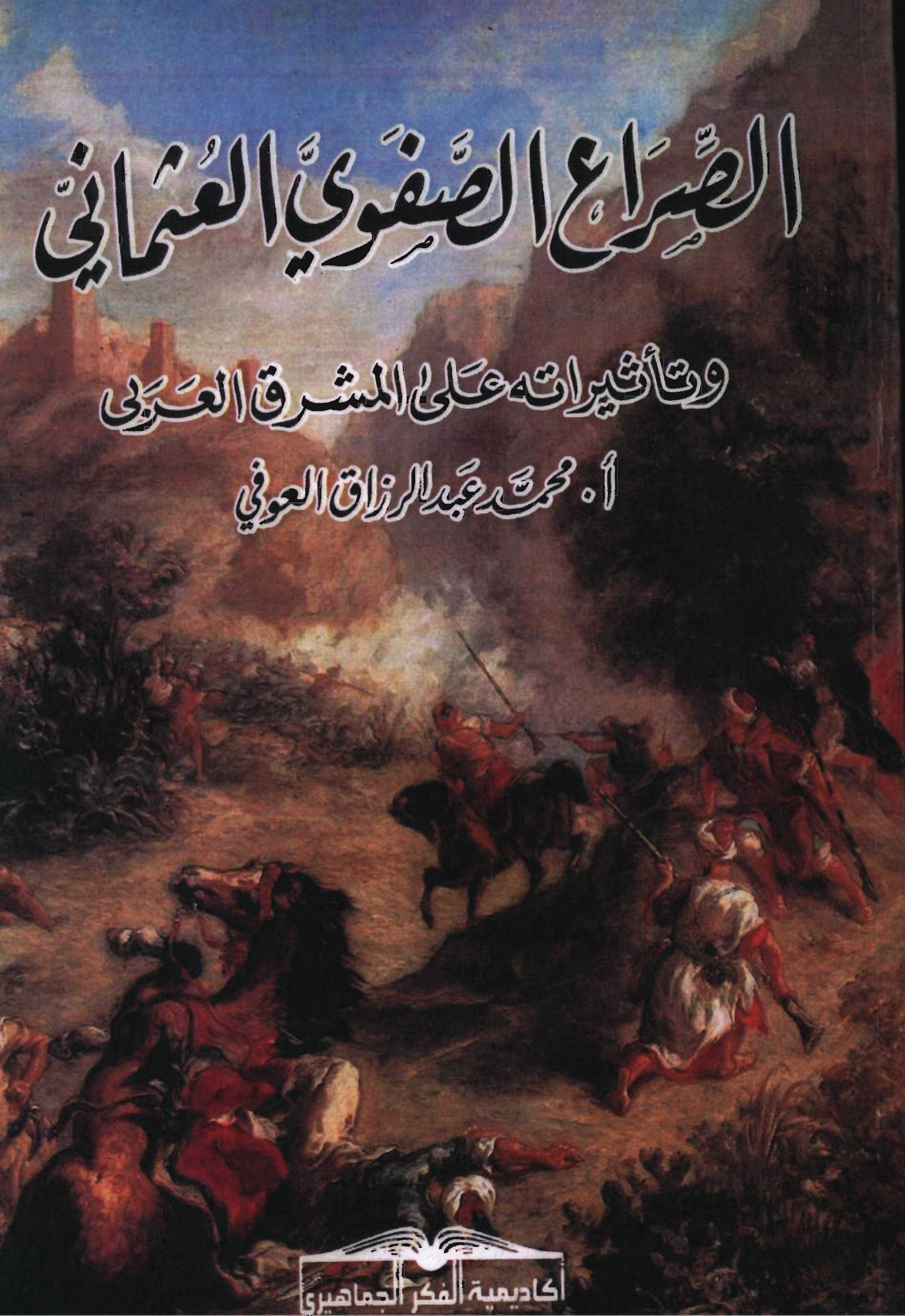
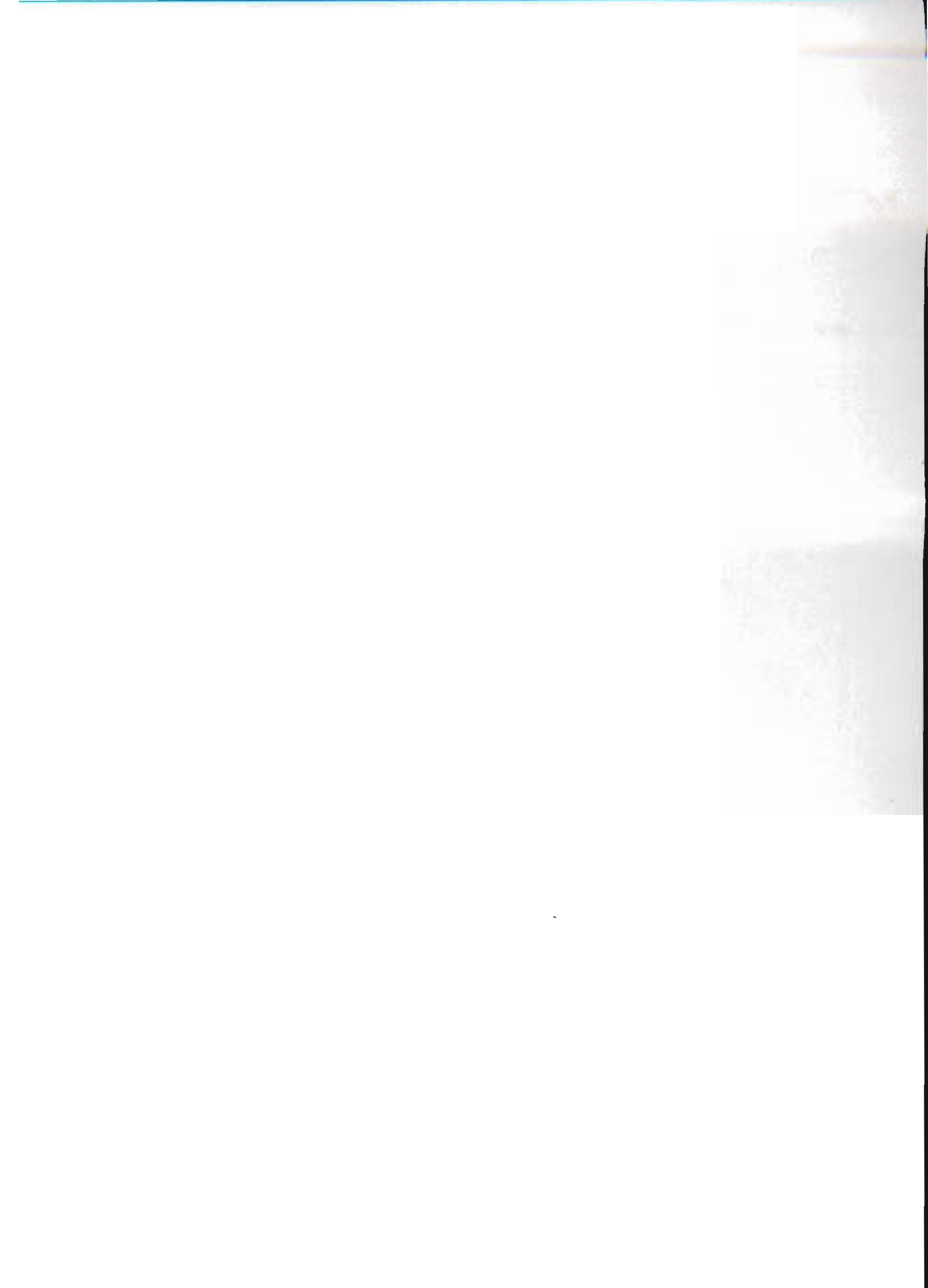


الصراع الصفوي العثماني
وتأثيراته على المشرق العربي
أ. محمد عبد الرزاق العوفي
أكاديمية الفكر الجماهيري



٤٠

الصِّرَاع الصَّفَوِيّ العُثمَانِيّ

وتأثيراته على المشرق العربي

1514 / 1555 م.

الأستاذ

محمد عبد الرزاق العوفي



الطبعة الأولى– 2008 ف.

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب

دار الكتب الوطنية – بنغازي – ليبيا

رقم الإيداع: 2008/134

الرقم الدولي الموحد :

ردمك : 0– 08 – 866–9959 -978 ISBN

جميع حقوق الطبع والتأليف والتحقيق محفوظة للناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ۝ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الرُّوم]



الإهداء

إلى نبعي الحياة والحنان إلى أبي وأمي اعترافاً

بجميل العطاء وبراً بهما .

ابنكما محمد



شكر وامتنان

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان إلى الدكتور الطيب عبد الله البهلول وأقدم خالص امتناني إلى الأستاذين الدكتور مختار العجيل، والدكتور محمود أبو صوة اللذين شجعاني على الدخول في مجال الدراسات العليا، وكان لملاحظاتهما، ونصائحهما دور في إثراء موضوع البحث .

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى الدكتور صبري أنوشه مستشار سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الذي تفضل مشكوراً بتعريب العديد من النصوص، والوثائق المدونة باللغة الفارسية . وأقدم خالص ثنائي إلى أعضاء هيئة التدريس في قسم التاريخ وأخص بالشكر منهم، الدكتور قاسم الجميلي، الأستاذ محمد على عريبي، الأستاذة خديجة الطناشي، والأستاذ جمال سالم . كما أتقدم بالشكر إلى الدكتور محمد بن يونس .

كما أتقدم بالشكر على العاملين بالمكتبات العامة التالية :

- مكتبة مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية .
- مكتبة دار نويجي للثقافة .
- مكتبة كلية العلوم الاجتماعية والتطبيقية " سابقاً " .
- مكتبة قدري معروف .
- مكتبة المعهد الدبلوماسي .
- المكتبة المركزية بجامعة الفاتح القاطع ب .

- المكتبة القومية المركزية .
- مكتبة الإسكندرية .
- مكتبة كلية الآداب بجامعة القاهرة .
- مكتبة القاهرة الكبرى . مكتبة الجمعية المصرية التاريخية .
- المكتبة المركزية بجامعة عين شمس .
- مكتبة جامعة الأزهر .
- دار الكتب والوثائق المصرية بالقاهرة .

إليهم جميعاً أتقدم بالشكر والامتنان

محمد العوفي

المحتويات

الفصل الرابع :

مقدّمة

لعل من أهم مراحل التاريخ الإسلامي تأثيراً في الأفكار والمؤسسات لدى الأفراد والجماعات المرحلة التي شهدت قيام دولتين كبيرتين متأخرتين في دار الإسلام، هما الدولة العثمانية في آسيا الصغرى، والدولة الصفوية في إيران، وترجع هذه الأهمية إلى سببين، أولهما أنه قدر لهما أن يكونا آخر صيغتين للدولة الإسلامية العامة – غير القطرية – التي تعلن انتسابها للشريعة، وبسقوطهما انقطعت هذه الصيغة في الحكم التي دامت في تاريخ المسلمين أكثر من ألف سنة وثلاثة قرون، ثانيهما أن هاتين الدولتين نشب بينهما صراعٌ من اجل السيطرة والتوسع في مناطق العالم الإسلامي .

وقد بررت كل منهما صراعها مع الأخرى بوسائل مختلفة، كان على رأسها التعبئة الدينية، وفقاً لاجتهادات مذهبية معينة (الإمامية الأثنا عشرية لدى الصفويين، والمذهب السنى الحنفي لدى العثمانيين)، الأمر الذي أعطى لصراع الدولتين السياسي والاقتصادي والاستراتيجي في مناطق العالم الإسلامي – سيما المشرق العربي – صبغة مذهبية انعكست بدورها على أوضاع عامة المسلمين تشتتاً وتفرقاً واضطهاداً، وهذا ما عانى منه سنّة إيران، وكذلك شيعة البلقان والعراق وسوريا ولبنان، ابتداءً من القرن السادس عشر، تاريخ انفجار الصراع بين الدولتين .مع ملاحظة ان تزامن صراعهما مع ما اصطلح على تسميته بنهضة أوروبا وتوسعها في العالم، وهو تزامن خطير، وعلامة استفهام كبرى بين وضعيتين تاريخيتين عالميتين : تقدم الغرب المسيحي، وتأخر الشرق الإسلامي.

مما لا شك فيه أن دراسة الصراع الصفوي العثماني أمر تكتنفه العديد من الصعوبات، لعل من أبرزها، عدم توفر قدرٍ كافٍ من المصادر التي

تتناول الفترة قيد الدراسة، سيما الإيرانية منها التي لم يترجم قدرُ كبيرُ منها حتى كتابة هذه الدراسة، مما استدعى الباحث طلب العون من المختصين لمساعدته في ترجمة العديد من النصوص التاريخية، فضلاً عن العديد من الأبحاث الحديثة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى اتضح أن الغالبية العظمى من المصادر المتوفرة، بشقيها العثماني والإيراني غير حيادية في أغلب الأحيان، ما أستدعى الحذر في نسل المعلومات عنها، مع ملاحظة أن أغلب المصادر العربية – مثل الصديقي الشوكانى، النهروالي، القرمانى، والغزي –، تمثل وجهة نظر عثمانية إلى حد بعيد، بينما يلاحظ على المصادر الإيرانية مع قلتها أنها تتحامل على العثمانيين، ربما يرجع ذلك لكثرة الهزائم التي منى بها الصفويون في فترة الصراع.

وللإنصاف إن هناك دراسات إيرانية جادة وموضوعية على درجة كبيرة من الأهمية، قد أفادت منها الدراسة، تأتي في مقدمتها أعمال الباحث الكبير إقبال عباس، و عبد الحسين نوائى كوب .

أن ما دلل من هذه الصعوبات، الحصول على قدر لا يستهان به من الأبحاث الأجنبية التي تناولت الصراع الصفوي العثماني، وهي أن تميزت بعدم الانحياز لأحد الطرفين، فإنها تعاملت مع موضوع اختلاف المذهبين (السني، الشيعي) بصورة تُسئ إلى الإسلام والمسلمين، مع عدم الإنكار، إن ذلك الاختلاف أمر حدث ومازال يحدث، كما لا ينُكر الباحث إن شبكة المعلومات الدولية " الإنترنت " قد ساعدته في جمع العديد من المعلومات، عن موضوع الدراسة، في مواقع متنوعة، زادت عن عشرين موقعاً ، ما أثرى الدراسة بكم من المعلومات تعذر الحصول عليها للأسباب سالفة الذكر.

لقد ساد اعتقاد لدى جلّ الدراسات التي تناولت موضوع الصراع الصفوي العثماني، أنه صراع شيعي – سني، حيث توقفت عند العديد من

المظاهر أو الأحداث الموحية بهذا الاعتقاد، كشيوع الفتاوى الدينية التكفيرية التي كانت تصدر عن فقهاء كل طرف، وأشكال التعبئة المذهبية التي لجأ إليها كل من الجانبيين، إضافة إلى حالات الانتقام التي رافقت الحروب تُجاه السكان الشيعة في أماكن تواجدهم، أو السكان السنة في أماكن تمركزهم و أعمال التهجير.

بيد أن الرؤية المقترحة في هذه الدراسة ترتكز على تفنيد الأسباب (الادعاءات) المذهبية للصراع، مستندة على أدلة تاريخية، ستطرح تباعاً، في المقابل سيتم إعطاء نبذة مختصرة عن اقتصاديات المنطقة المعنية بالصراع قبيل اندلاعه، ثم محاولة ربط ذلك بظروف الصراع، إن ذلك يعنى محاولة الوصول لأسباب مقنعة لاندلاع الصراع الصفوي العثماني، ومن ثم التطرق لأبرز أحداث الصراع ونتائجه، سيما على المشرق العربي الذي شغل الصراع ساحاته الجغرافية وميادينه الحربية .

ولئن اختصت فترة الصراع الصفوي العثماني بين سنتي (1514-1555) فان النظرة الشمولية للموضوع قد ألزمت الباحث بدراسة العلاقات الصفوية العثمانية قبيل بدء الصراع، وسبقتها نبذة مختصرة عن المشرق العربي، وذلك لسببين :الأول أن فترة لا يستهان بها من الصراع قد شغلت هذه المنطقة، الثاني أن الشق الأخير من الدراسة يهتم بتأثيرات الصراع على المنطقة المعنية.

تأسيساً على ما سبق، قسمت الدراسة إلى أربعة فصول تسبقها مقدمة و تذيلها خاتمة، فضلاً عن مجموعة من الوثائق والملاحق، وبعض الصور والخرائط وثبت المصادر والمراجع . الفصل الأول الموسوم " **المشرق العربي بين التوجه العثماني و الامتداد الصفوي** "، ينقسم إلى مبحثين رئيسين، يتناول الأول الأهمية الاستراتيجية للمشرق العربي مع ذكر القوى السياسية المتمثلة بدولة المماليك، إضافة إلى البرتغال حول الخليج

العربي والبحر الأحمر، بينما يتضمن المبحث الثاني محاولة تفسير أسـباب توجه العثمانيين للمشرق العربي، والامتداد الصفوي الفعلـي نحـو العـراق ومحاولات الوصول إلى الشام ومصر.

أما الفصل الثاني المعنون بـ" **أسباب الصراع الصفوي العثمـاني** " فيُلقـى الضوء على الأسباب التي أدت إلـى تفجيـر الصـراع الصـفوي العثماني، وينقسم إلى ثلاثة مباحث، يـدرس الأول التبنـي المـذهبي لكـلا الدولتين ثم محاولة تفنيد الاختلاف بوصفه أحد أسـباب الصـراع (السـني، الشيعي)، في الوقت الذي يقدم فيه المبحث الثاني أسباباً اجتماعية واقتصادية، كانت المحرك الفعلي للصراع كما ستوضحه هذه الدراسة.

أما الأسباب السياسية التي لها علاقة بطموح السلاطين والشاهات في التوسع والسيطرة، إضافة إلى رغبة في تزعم العالم الإسلامي، فإن المبحث الثاني، يتناولها بوصفها أحد الأسباب المؤدية للصراع .

أما الفصل الثالث المعنون بـ " **مراحل الصراع الصفوي العثمـاني** " فينقسم إلى أربعة مباحث ، أولها يقدم لمحة عن أهم الأحداث المشتركة بين الطرفين الصفوي العثماني قبيل اندلاع صراعهما، ثانيهـا يتضـمن أعنـف الأعمال الحربية في بداية الصراع المتمثلة في (جالديران) التـي أدت إلـى اجتياح العثمانيين لعاصمة الصفوية تبريز، ثم مرحلـة الأرتـداد العثمـاني ومعركة " قره غين دده" والصراع على كردستان، في الوقت الذي يواصـل فيه المبحثان الثالث والرابع عرض أحداث الصراع بدءاً من حملة السـلطان سليمان القانوني (حرب العراقين) التي أفضت إلى السيطرة العثمانيـة علـى العراق، و مروراً بحرب "نخجوان" والاختراق العثمـاني الثالث لايـران، و انتهاءً بأول معاهدات الصلح بين الطرفين، معاهدة أماسيه " وأهـم بنودهـا ونتائجها.

أما بالنسبة للفصل الرابع فيعالج **تأثيرات الصراع على منطقة المشــرق العربي والمحاولات الأوروبية لاستغلال الصراع لصالحها**، و ما رافق ذلــك من تداعيات على المشرق العربي، ويشمل ثلاثــة مباحــث، يخــتص الأول بالاجتياحات الصفوية للأراضي العربية وتأثيراتها في فترة الصراع، ويهــتم المبحث الثاني ببداية السيطرة العثمانية على المشرق العربي باعتبــاره أحــد نتائج وانعكاسات الصراع الصفوي العثماني، بينما يهتم أخر مباحث الدراسة بعرض بدايات علاقة أوروبا بالصراع الدائر في المشرق العربي، ومحاولــة تصعيده والاستفادة منه، حيث يتم التطرق للعلاقات الأوروبية مع كلا طرفي الصراع وأثر ذلك على المشرق العربي.



الفصل الأول

المشرق العربي بين التوجه العثماني والامتداد الصفوي

المبحث الأول : الأهمية الاستراتيجية للمشرق العربي وتياراته السياسية .

1- أهمية المشرق العربي .

2- التيارات السياسية في المشرق العربي .

- المماليك.
- البرتغاليون.

المبحث الثاني : التوجه العثماني و الامتداد الصفوي.

- الدولة العثمانية وتوجهها نحو المشرق العربي .
- الدولة الصفوية وامتدادها اتجاه المشرق العربي



المبحث الأول

الأهمية الاستراتيجية للمشرق العربي وتياراته السياسية

- المماليك .
- البرتغاليون.

الأهمية الاستراتيجية للمشرق العربي :

يشغل الوطن العربي مركزاً جغرافياً ممتازاً، حيث تتلقى عنده قارات العالم القديم (آسيا، أفريقيا، أوروبا)، وبفضل هذا الموقع ربط الوطن العربي بين الغرب الذي يمثله الغرب الأوروبي، والشرق الذي يمثله العالم الآسيوي، وتحيط بالوطن العربي حدود طبيعية من كل جانب، ففي الشمال البحر المتوسط، وجبال طوروس وزجروس، وفي الجنوب الصحراء الكبرى والمحيط الهندي، وفي الشرق الخليج، وفي الغرب المحيط الأطلسي، وهذه الحدود جعلته وحدة إقليمية طبيعية متميزة[1].

وقد اصطلح على تسمية الجزء الشرقي من الوطن العربي الواقع في قارة آسيا بالمشرق العربي، وبذلك فهو يضم شبه الجزيرة العربية والهلال الخصيب، الذي يتكون نصفه الشمالي من العراق ونصفه الجنوبي من سوريا، باعتبارها وحدة طبيعية تمتد من جبال طوروس الى صحراء سيناء وخليج العقبة في الجنوب[2] وأكثر تحديدٍ لحدود المشرق العربي الشرقية، أنه

---

(1) عمر،عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي(1516-1922م) دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000 م، ص12

(2) يضم الهلال الخصيب كل الوحدات السياسية الواقعة شمال الجزيرة العربية، وهي فلسطين والأردن ولبنان وسوريا والعراق، وقد أطلق هذا الاسم على تلك المنطقة باعتبارها المناطق الخصبة التي تكون في شكلها هلال يضم بين طرفيه موارد المياه من دجلة والفرات شرقاً إلى بردي والأردن والليطاني والكلب غرباً، الجوهري، يسري عبد الرزاق، جغرافية الشعوب الإسلامية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1981م، ص 161.

يتاخم(الجزيرة العليا) المحصورة بين نهري دجلة والفرات، والتي تضم (ملاطية، ديار بكر، نصيبين، ماردين، أورفة، وعينتاب) أما المناطق الواقعة شرقي دجلة فتتمثل بالإقليم الشمالي من كردستان والمتصل ببحيرة وان، وهي سلاسل جبلية تزداد ارتفاعاً كلما اتجهنا نحو الشرق والشمال، وتمتد من جهة الغرب إلى ما وراء الحدود المشتركة مع سوريا[1]، ثم تليها الدائرة المنحصرة بين هذه المراكز، لتمثل الخط الممتد بين الموصل وحلب، وتزيد إمكانية الامتداد الجغرافي نحو الغرب وصولاً إلى إنطاكية المجاورة للبحر المتوسط .

ومن البصرة شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً يمتد المشرق العربي بمناطقه الكبرى العراق وشبه الجزيرة العربية وبلاد الشام[2] في تضاريس متنوعة من سهول، جبال وصحارى[3] .

شبه الجزيرة العربية هي مساحة من الأرض مفصولة عن العالم المحيط بها من ثلاث جهات : البحر الأحمر والخليج العربي وبحر العرب (وهو جزء من المحيط الهندي) وهي مقسمة إلى عدد من المناطق يختلف بعضها عن بعض بطبيعتها، ويمتد الخط الرئيسي للانقسام من الشمال بحر الجنوب بموازاة البحر الأحمر، وعلى الجهة الغربية من الخط هناك منطقة من الصخر البركاني، ثم السهل الساحلي (تهامة) الذي يرتفع إلى سلاسل من التلال والهضاب، ثم الحجاز وعسير واليمن سلاسل جبلية أكثر علواً بقمم قد تبلغ ارتفاعها 4000 متر فوق سطح البحر، وتمتد الجبال الجنوبية باتجاه الجنوب الشرقي ويقع بينها وادي حضر الفسيح[4]، والى شرقي الجبال تنحدر

---

(1) جودة، حسنين جودة، أحمد هارون جغرافية الدول الإسلامية، الإسكندرية، 984م،ص688.

(2) هناك من يدرج مصر في نطاق المشرق العربي، وفي هذا البحث قصد بالمشرق العربي المنطقة العربية الواقعة في قارة آسيا فقط، أي أن مصر خارج هذا التصنيف.

(3) سيار، كوكب الجميل، العثمانيون وتكون العرب الحديث، بيروت، 1989م، ص 299.

(4) حوارني، البرت، تاريخ الشعوب الإسلامية،ترجمة كمال خولي، مطبعة نوفل،بيروت،1997م،ص 111

الأرض شرقا باتجاه الخليج، حيث توجد في الشمال والجنوب صحراء النفوذ وصحراء الربع الخالي، تتوسطهما نجد، وفي امتـداد طبيعـي لـه، سـهل الإحساء، يمتد حتى الخليج .

يأتي في مقدمة الأقاليم الإستراتيجية للمشرق العربي، الخليج العربي الذي يمتد على شكل دراع بحري في جنوب غرب آسيا، وهـو أحـد أدرع المحيط الهندي، حيث يمثل البحر الأحمر الدراع الآخر والموازي لـه، وفي ذلك يقول ياقوت الحموي (بحر فارس هو شعبة من بحر الهند الأعظـم) [1] وتقدر مساحة الخليج العربي بسبعة وتسعين ألف ميل مربع أي مـا يعـادل 520 ألف كيلو متراً، ويبلغ طوله من البصرة إلى ساحل عُمـان نحـو 800 كيلومتراً، ويبلغ عرضه 228 كيلومتراً في أقصى اتساعه شـرقي جزيـرة قطر، وستة وأربعين كيلومتراً عند مضيق هرمز، ويشمل الخلـيج العربـي على عدد كبير من الجزر الصغيرة، بما شجع على الملاحة فيه[2] .

ولم يكن الخليج معبراً تجارياً فحسب وإنما هو أيضاً مـن مراكـز التجـارة الهامة فتتفرع منه طرق برية أسهمت في نقل المتاجر الواردة براً إلى المدن الداخلية، مما عزز نشاط الطريق البحري في الخليج[3]، وكذلك تصدير سلع بلدان المشرق العربي، إلى أنحاء العالم المعروف آنذاك.

يعد المشرق العربي مركزاً لتجارة رائجة ورابحة وحركـة نشـطة، وذلك لكونه نقطة التقاء طرق التجارة المختلفة، فضلاً عـن كونـه مركـزاً تجارياً مهماً وسوقاً للبضائع الاستهلاكية وطريقـاً يوصـل الغـرب بالهنـد وأقصى الشرق(الشرق الأقصى)،حيث تنقل تجارة الحرير والتوابل والبخور،

---

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج1،ص 343.

(2) قلعجي، قدري، الخلـيج العربـي، دار المكاتـب العربـي، بيـروت، 1965م، ج1،ص2؛ الصيرفي، نوال حمزة، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القـرن العاشـر الهجـري/ السادس عشر الميلادي، الرياض، 1983م، ص30.

(3) سيتم التطرق إلى هذا الموضوع، الطرق البحرية والبرية في الفصل الثاني من هذا البحث.

ونظراً لأهمية الموقع الإستراتيجي للشرق العربي واهتمام سكانه بالتجارة فقد أنشؤوا العديد من المراكز التجارية والموانيء مثل البصرة وبيروت، وهرمز[1]، وقد وصف هذه الأخيرة الرحالة الإيطالي (فارتما) سنة 1503م قبل وصول البرتغاليين بمدة قصيرة فقال يصفها " أخيراً وصلنا مدينة جميلة تسمى هرمز التي لا تضاهيها مدينة أخرى من حيث الموقع وكثرة اللؤلؤ، وهي تقع على جزيرة تبعد 12 ميلاً عن الشاطئ .... وقد ترى فيها ثلاثمائة سفينة من مختلف أنواع المراكب التي تأتيها من جهات عديدة وبلاد مختلفة، وفي المدينة ما لا يقل عن أربعمائة تاجر ووكيل " [2].

ومن المواني البحرية العربية المشرقية المهمة البصرة التي تقع على الطرف الشمالي من الخليج العربي، كما أنها تمثل نقطة التقاء الطرق الممتدة من وسط بلاد فارس إلى الخليج والممتدة أيضاً من بادية شبه الجزيرة العربية إلى الخليج العربي وبذلك أصبحت البصرة مركزاً تجارياً مهمّاً لتوزيع السلع الآتية من بلاد فارس والعراق والشام والجزيرة العربية عبر الخليج العربي، ولاستقبال السلع الآتية من الشرق الأقصى وبخاصة التوابل في طريقها إلى العراق فالشام فسواحل البحر المتوسط[3].

أما بالنسبة لمنطقة الهلال الخصيب، حيث سوريا الطبيعية تقع السهول المحلية خلف سلسلة من المرتفعات، تعلو في وسطها جبال لبنان وتنخفض في الجنوب إلى تلال فلسطين ووراءها إلى الشرق يقع غور الأردن، وهو جزء من الصدع الكبير الذي يمر عبر البحر الميت والبحر الأحمر وصولاً إلى أفريقيا الشرقية[4]، وكانت الشام (سوريا الطبيعية) مرتبطة ارتباطاً وثيقاً

---

(1) الربيعي، هيفاء عبد العزيز،غزاة في الخليج العربي، مكتبة الوطنية، بغداد، 1989م،ص32.

(2) زيادة، نقولا، الجغرافيا والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1987م،ص245.

(3) الصيرفي، نوال حمزة، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي،ص 35.

(4) جودة، حسنين، وأحمد هارون، جغرافية الدول الإسلامية، ص 690.

بسائر حوض المتوسط الشرقي، بواسطة طرق بحرية من موانئها،وبالطرق البرية الممتدة على طول الشاطئ إلى مصر، كما كانت متصلة في الجهة المقابلة (من الداخل) بجزيرة العرب من الغرب، بواسطة طرق تمر عبر الحَماد أو حول طرفه الشمالي [1]، ونتيجة لتمتع هذه المنطقة بوفرة الإنتاج من الأغذية، وكذلك المواد الخام، إضافة إلى التجارة الدولية ساعد كل ذلك على نمو وتطور المدن الكبرى الواقعة في السهول الداخلية والمتصلة بالساحل.

فيما يخص الجزء الأخير من الهلال الخصيب(العراق) الذي يخترقه نهرا دجلة والفرات، النابعان من الأناضول، ويتجهان إلى الجنوب الشرقي، ويتقربان أحدهما من الآخر، ثم يفترقان ويعودان أخيراً إلى الالتحام معاً ليصبا في العراق الشمالي من الخليج[2] فسميت هذه الأرض ما بين النهرين، وفي الشمال الشرقي من النهرين كردستان، وهي عبارة عن سلاسل جبلية تزداد ارتفاعاً كلما اتجهنا نحو الشرق والشمال[3].

هذا الموقع الإستراتيجي للمشرق العربي جعل العديد من القوى السياسية، سواء المحلية، أي المتواجدة في المنطقة أو الأخرى الوافدة من شرقه وغربه تتصارع من أجل السيطرة على هذا الجزء من العالم، وبذلك ستشهد هذه المنطقة في مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي تنافساً بين العديد من القوى السياسية.

---

(1) حوارني، البرت، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 114،113.

(2) متولي، محمد، محمود أبو الفداء، جغرافية الخليج وخليج عُمان ودول شرق الجزيرة العربية،ط2،مكتبة الفلاح،الكويت، 1985م،ص 15.

(3) الجميل، سيار، العثمانيون وتكوين العرب الحديث، ص 300.

- **التيارات السياسية في المشرق العربي :**

لقد أضفت الخصائص الرئيسية للموقع الجغرافي للمشـــرق العربـــي أهمية خاصة من النواحي الحضارية، الاقتصادية، السياسية، والإستراتيجية، وجعلت من أرضه مهد للحضارة البشرية ومهبطاً للرسالات السماوية ومعبراً رئيساً للحضارة والثقافة والتجارة براً وبحـــراً، وممـــراً للجيـــوش الغازيـــة والهجرات المسالمة، وميداناً للصراع والتنافس بين القـــوى الكبـــرى قـــديماً وحديثاً .

وفي مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، كانـــت هناك العديد من القوى المتنافسة فيما بينها من أجل السيطرة على المنطقـــة، فكان المماليك مسيطرين على الشام والحجاز، بينما كانت البرتغال أول الدول الأوروبية توجهاً للشرق عموماً، والمشرق العربي خصوصاً في بداية العصر الحديث، باكتشافهم طريق رأس الرجاء الصالح، وسيطرتهم علـــى مـــداخل البحر الأحمر والخليج العربي وصولاً إلى المواني الهندية، أما ثالـــث هـــذه القوى هي الدولة الصفوية الناشئة والمستولية حـــديثاً علـــى إقلـــيم فـــارس وخراسان وأذربيجان إضافة إلى العراقيين العربي والعجمي، وأخيراً الدولـــة العثمانية في الأناضول والبلقان، وإن كانت هي أقدم دول المنطقة – باستثناء المماليك– تأسيساً– في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي –غير أنها أخرهم توجهاً للمشرق العربي فعلياً[1] .

أولاً : المماليك .

كانت تحكم بلاد الشام والحجاز ومصر الدولـــة المملوكية (1250–1517 م) والتي خلفت الدولة الأيوبية، وقد قدر لهذه الدولة أن تتابع الـــدور

---

(1) سيتضح في سياق الحديث في نهاية الفصل، أن العثمانيين كانت لهم أطمـــاع توســـعية فـــي المشرق العربي قبل بدء صراعهم مع الصفويين.

الذي كانت تقوم به الدولة الأيوبية وهو التصدي للغزو الصليبي الأوروبـي، ثم التصدي للخطر الآخر وهو الخطر المغولي القادم من الشـرق[1]، فبعـد زحف المغول على بغـداد وإنهـاء الخلافـة العباسيـة فيهـا سنـة 656هـ/1258، تابعوا تقدمهم نحو الغرب، فلاقاهم المماليك في موقعة عين جالوت الشهيرة سنة 658هـ/1260م في فلسطين وهزموهم وأنقـذوا بـلاد الشام ومصر والمغرب العربي من الخطر المغولي .وبذلك ارتفعـت مكانـة دولة المماليك في العالم الإسلامي[2]، خاصة بعد أن أحيوا الخلافة العباسـية بعد سقوطها في بغداد بثلاث سنوات، وظل الخلفاء العباسيون يقيمـون فـي القاهرة حتى سقوط الدولة المملوكية على يد العثمانيين في 1517م.

كما كانت للمماليك سلطة اسمية على مكة، التي كانت السيادة الفعلية فيها للأسرة الرسولية، وعلى المدينة المنورة أيضـاً، وفـي أيـام السـلطان المملوكي برسباي أقام المماليك حامية في مكة، فكانت لهم السـيادة علـى الحجاز،وفي جنوب المشرق العربي تولى السـلطة الأئمـة الزيـديون فـي اليمن،في مطلع القرن السادس عشر واتخذوا صنعاء عاصمة لهـم وظلـوا يعترفون للمماليك بالسيادة عليهم، إضافة لذلك فقد كانت للمماليك السيادة على البحر الأحمر[3] باغتبارهم المسيطرين على تجارة العبـور بـين الشـرق والغرب.

مما لا شك فيه أن العامل الاقتصادي يشكل إحدى الدعامات الكبرى التي تستند عليها أي دولة في قيامها وبقائها،وإذا تطرق الضعف إلـى هـذه الدعامة فإن ذلك يعد نذيراً بتداعي الدولة وانهيارها،ودولة المماليك في مصر

---

(1) العريني، والسيد الباز، المماليك، دار النهضة العربية، بيروت،1967م، ص 48،49.
(2) الصباغ، ليلى، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دمشق،1982م، ص31.
(3) سلطان،علي، تاريخ العرب الحديث،منشورات مكتبة طـرابلس العلميـة، طـرابلس، د.ت، ص11.

والشام كانت تتمتع أيام عنفوانها و قوتها باقتصاد متين، استند إلـــى الحجــم الهائل من التــجارة العالمية التي كانت تمر عبر بلادها، غيــر أن الدولــة المملوكية تعرضت في القرن الأخير من عمرها لكثير من مظاهر التـــدهور الاقتصادي نتيجة لعوامل متعددة، منها تحول التجارة العالمية إلـــى طريـــق رأس الرجاء الصالح بعد وصول البرتغاليين إلى الهنـــد ســـنة 1498م ومـــا ترتب عليه من إضعاف النشاط التجاري والعوائد المالية للمماليك من جهـــة أخرى،وما صاحب ذلك من مجهود حربي لمواجهة الخطر البرتغالي[1] كذلك لم يلتزم سلاطين المماليك نوعاً من الاقتصاد في نفقاتهم الخاصة ليخففوا عن رعاياهم الأعباء والأثقال الملقاة على عواتقهم . وإنمـــا اســـتمروا –ســـلطاناً وأمراء وجنداً– يعيشون عيشة الترف والإسراف في الوقت الذي يئن النـــاس من كثرة الالتزامات المفروضة عليه، ويصف المؤرخ ابـــن إيـــاس احتفـــال السلطان قايتباي بختان ابنه محمد– وكان السلطان قد أعلن أن جميع ما في خزائن الدولة من أموال قد نفِذَ– فيقول " فكانت تلك الأيام مشهودة لم يســـمع بمثلها ودخل على السلطان من التقادم ما ينحصر من مال وخيـــول وقمـــاش وسكر وأغنام وأبقار وغير ذلك مما يزيد عن خمسين ألف دينار .." [2] .

ومن العوامل التي زادت من سوء الأحوال الاقتصادية في نهاية عهد السلطنة المملوكية أمور طبيعية كانتشار وبـــاء الطاعون،كـــان أشـــده عـــام 919هـــ/1513م[3] إضافة إلى ظاهرة انخفاض النيل وتعرض المحصولات لبعض الآفات، فعاد كل ذلك على الحياة الاقتصادية بأفدح العواقب[4] .

---

(1) أباظة، فاروق عثمان،دراسات في تاريخ العلاقات الدولية والحضارة الحديثة، دار المعرفـــة الجامعية، الإسكندرية،1999،ص57-58.

(2) ابن اياس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور تحقيق محمـــد مصـــطفى، ط2، القاهرة 1960م، ج4، ص 308.

(3) المصدر نفسه، ج3، ص2.

(4) أباضه، فاروق عثمان، دراسات في العلاقات الدولية...، ص 62.

في مطلع القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي كانت الدولة المملوكية منهكة القوى،يسودها الضعف والتفكك،بسبب جهود المماليك لإنقاذ العالم الإسلامي من الخطرين المغولي والصليبي،إضافة إلى النكسة الكبيرة التي لحقت بالمماليك نتيجة لتحول طريق التجارة الى رأس الرجاء الصالح بدلاً من طرق التجارة المألوفة التي كانت تخضع لسيطرة المماليك والعثمانيين، وأصبحت دولة المماليك بعد هذا الحدث الجلل، تخوض صراعاً ومواجهةً مع الاستعمار البرتغالي في البحار الشرقية، و تعيش مرحلة احتضار أجهز على آخر أنفاسها العثمانيون .

على الرغم من كل هذه الصعاب التي تعرضت لها الدولة المملوكية، لم تجد بُدًّا من القيام بعمل حاسم ضد البرتغاليين، بعد أن أصبحت المعركة حياة أو موتاً بالنسبة لها، فحاول المماليك تفادي هذا الخطر، ولكن محاولتهم جاءت متأخرة نظراً لازدياد قوة البرتغاليين،بعث السلطان المملوكي القونصوه الغوري (1501- 1516م) حملة بحرية إلى الهند مكونة من ثلاث عشرة سفينة وألف وخمسمائة جندي بقيادة حسين الكردي[1] وصلت إلى جزيرة ديو، هناك انضمت إليها سفن حاكم الجزيرة مالك إياس، وتوجهت إلى شول (Chaul) وهزمت البرتغاليين بقيادة لورنزو دي الميدا (Lourenco de Almeyda) - الذي قُتل في المعركة، ثم توجه الأسطول المملوكي مرة أخرى إلى ديو لإصلاح السفن[2]، وفي 3 فبراير 1509م هاجم أسطول برتغالي الأسطول المملوكي على حين غرة وأوقعوا به الهزيمة واستولوا على بعض سفنه وأغرقوا أكثرها وقتلوا معظم العسكر [3] .

---

(1) عاشور،سعيد، عبد الفتاح، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك.

(2) بانيكار، ك، م، آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز جاويد، دار المعرفة، القاهرة،(د.ت)، ص 42

(3) ابن إياس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور،ج4، ص408.

وهكذا استمر الانهيار المملوكي أمام الزحف البرتغالي، حتى سقطت الدولة المملوكية في أيدي العثمانيين سنة923 هـ/1517م، وبذلك انهارت أحدى القوى الإسلامية في المشرق العربي،في الوقت الذي شهد فيه هذا المشرق تعاظم قوة البرتغاليين، بحاثين عن مجد يحققونه فوجدوا فرصتهم في المشرق العربي ميداناً لاستعراض قوتهم والسيطرة على مقدراته.

ثانياً : البرتغاليون .

كان لنجاح الأسبان والبرتغاليين في حروبهم، التي شنوها على العرب المسلمين في الأندلس خلال القرن الخامس عشر، والتي انتهت بتصفية معاقلهم في تلك البلاد، حافزُ لمتابعة حروبهم ضد المسلمين، لا في الأندلس وشواطئ المغرب العربي فحسب، بل في معاقلهم البعيدة في الشرق[1].

ففي أغسطس 1498م وصل فاسكو دي جاما- بمساعدة البحار العربي أحمد بن ماجد- إلى الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح، وكان قد أبحر من البرتغال في 1497م وانتهت رحلته في سبتمبر 1499م[2] وكان لهذا النجاح أثره الكبير في أحداث تغييرات جذرية في موازين القوى العالمية وقتذاك، وهكذا شهدت نهاية القرن الخامس عشر، حركة لا تتسم بالمحلية أو الإقليمية فحسب و إنما بقوة تأثيرها و عالميتها، إذ انتهت ما اصطلح على تسميته بالعصور الوسطى وافتتحت العصر الحديث بحركة الاستعمار الأوروبي[3].

---

(1) محمد عبد المحسن " عدن والمطامع البرتغالية في القرن السادس عشر" كتاب الأبحاث، الجزء الثاني، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، 1987م، ص95.

(2) لوريمر،ج،ج، دليل الخليج، ترجمة قسم الترجمة بمكتب خليفة بن حمدان أمير دولة قطر،(د.ت) القسم التاريخي،الجزء الأول،ص11.

(3) المسلم، محمد سعيد، ساحل الذهب، ط3، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت) ص169-170.

يتميز التواجد البرتغالي في المشرق الإسلامي، بمرحلتين وذلك حسب السياسة التي اتبعها في المنطقة، فقد تجنب البرتغاليون في المرحلة الأولى الدخول في صدام مع سلطات المناطق التي يصلون إليها،وكانت التعليمات الصادرة للملاحين تقضي بحسن معاملة سكان تلك المناطق، وعدم الظهور بالأسلحة والعمل على إخفائها في طيات ملابسهم للطوارئ، وعدم استخدام العنف ضد الأهالي كسباً لمودتهم وصداقتهم[1] كما ابتعد البرتغاليون في هذه المرحلة المبكرة، الاقتراب من السواحل العربية أو مداخل البحر الأحمر والخليج العربي واقتصرت رحلاتهم على المنطقة الواقعة فيما بين جنوبي القرن الأفريقي والساحل الغربي للهند،كما كان حرصهم شديداً على مغادرة السواحل الهندية قبيل وصول سفن التجار المسلمين إليها[2].

وقد ساعدت هذه السياسة على إخفاء نواياهم الحقيقية، ولهذا كان التركيز على زيادة عدد قطع الأسطول البرتغالي، وتحقيق انتشاره في المياه الشرقية والعمل على تقوية نفوذهم وتثبيت مراكزهم،وإقامة المراكز التجارية والقلاع والحصون فيها، قبل الدخول في عمل مباشر ضد السفن العربية،أو القيام بإغلاق منافذ البحر الأحمر والخليج العربي وإحكام الحصار الاقتصادي،والتصدي لأي مبادرة للمقاومة سواء من قبل الحكام المحليين أو الدولة المملوكية[3] .

بهذه الاستعدادات البرتغالية، بدأت مرحلتهم الثانية في الشرق، حيث كانت أساطيلهم من الكثيرة بحيث أمكن استخدامها، ليس فقط في القيام بأعمال القرصنة ضد السفن التجارية العربية في عرض البحر، بل في العمل

---

(1) محمد عبد العال أحمد " أضواء جديدة على ملامح فاسكو دي جاما" مجلة معهد الدراسات والبحوث الأفريقية، بجامعة القاهرة، العدد 5، سنة 1976م، ص 167-178.

(2) باخرمة، قلائد النحر في وفيات أعيان الدهر، دراسة وتحقيق محمد عبد العال، الهيئة المصرية للكتاب،الإسكندرية،1974م،ص73 .

(3) المصدر نفسه،ص 76.

على إغلاق منافذ البحر الأحمر والخليج العربي وشجعهم على ذلك عدم تعرضهم لأي مقاومة جادة ضدهم، وهكذا لم تمض خمس سنوات[1]حتى اشتدت وطأتهم في ضرب التجارة الإسلامية، إذ قام فاسكو دي جاما باستخدام أعنف أساليب القرصنة ضد التجار والحجاج المسلمين العُزل، واستولى على بعض السفن العربية ومنها سفينة خاصة بالسلطان المملوكي قانصوه الغوري [2] كما قام بتخصيص بعض قطع أسطوله للمرابطة بالقرب من باب المندب لإغلاق البحر الأحمر وفرض الحصار عليه .

وأعمال البرتغاليين في المشرق العربي بالكاد يمكن حصرها والحديث عنها، ولكن الباحث يكتفي بالحديث عن إحداها، تبياناً لما وصلت إليه أعمالهم، فيذكر المؤرخ الهندي بانيكار" إذ تصادف أن التقت العمارة البرتغالية ببعض السفن غير المسلحة العائدة من مكة فألقى فاسكو دي جاما القبض عليها... يعمد بعد إفراغ السفن مما بها من بضائع حظر أي فرد من إخراج أي عربي منها إلى إصدار الأوامر بإشعال النيران فيها [3] ". وجاء في رسالة بعثها البوكرك إلى ملك البرتغال حيثما أمكنه العثور على عربي، كان إفلاته من يده من المحال، وإنه كان يملأ بهم المساجد ويضرم فيها النار "[4] .

كان لعاملي السياسة البرتغالية الصارمة،بما تحمله من أعمال سلب ونهب وتدمير للاقتصاديات العربية في المشرق العربي، إضافة إلى تشتت القوى الإسلامية بالمنطقة وعدم مقاومة المنطقة موحدة، أمكن البرتغاليين من

---

(1) يجدر التنبيه بأن السلطات المملوكية لم تكن تعلم بالوجود البرتغالي في المياه الشرقية إلا بعد خمس سنوات من قدومهم، للاستزادة حول هذا الموضوع، باخرمة، المصدر السابق ص78-81.

(2) عمر، عبد العزيز عمير، دراسات في تاريخ العرب الحديث.

(3) بانيكار، ك، م، آسيا والسيطرة الغربية،ص40.

(4) المرجع نفسه،ص46.

فرض سيادتهم على كل من منافذ البحر الأحمر، والسواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية(ساحل اليمن الجنوبي)، إضافة الى احتلال هرمز والسيطرة على الحركة البحرية في الخليج العربي،إلى جانب تمركزهم في السواحل الهندية[1]، وبذلك اصبحوا هم سادة البحار الشرقية والمسيطرين على تجارتها،في ظل صراع إسلامي / إسلامي، بين المماليك والعثمانيين والصفويين .

(1) قلجملي، حكمت،التاريخ العثماني، رؤية مادية، تعريب، فاضل لقمان،دار الجليل،(د.ت)،ص161

المبحث الثاني

المشرق العربي والتوجه العثماني و الامتداد الصفوي

- الدولة العثمانية وتوجهها في المشرق العربي .
- الدولة الصفوية وامتدادها تجاه المشرق العربي .

ـ الدولة العثمانية وتوجهها للمشرق العربي:

قيام الدولة العثمانية .

كانت الأناضول[1] في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي، في حالة تغيير متواصل، فقد انهارت سلطنة سلاجقة الروم، أمام زحف الغزاة من المغول، وأصبح السلاطين السلاجقة في حقيقة الأمر تابعين لهم، فتعهد السلطان السلجوقي بعد هزيمته على يد المغول في عام 1243م بدفع جزية سنوية باهظة وفي نفس الوقت فإن توغل الفتوحات المغولية تجاه المشرق دفع إلى تحركات الشعوب الإسلامية، الذين اتجهوا إلى المناطق الغربية بعيداً عن سيطرة المغول، وساعد ذلك على زيادة العنصر التركي الإسلامي في الأناضول، واستقر بعض هؤلاء على التخوم البيزنطية، ولم تستطع بيزنطة- بسبب مشاكلها الداخلية-أن تضع حداً لهذا الزحف المتقدم بخطى وطيدة .

---

(1) الأناضول أو شبه جزيرة الأناضول،أشبه بلسان ضخم من اليابسة،تمتد من قارة آسيا نحو أوروبا، تقع بين البحر الأسود في الشمال والبحر المتوسط في الجنوب، وبحر إيجه و المضائق في الغرب، يحيط بها من جهة الشمال نطاق جبلي،يفصل بينها وبين ساحل البحر الأسود، أما من الجنوب يحدها جبال طوروس، تمتد من الغرب إلى الشرق في عدة سلاسل متقطعة،أما القسم الأوسط منها،فهو أشبه بحوض تكشفه جبال شاهقة الارتفاع، ويطلق عليها اسم الأناضول في معظم الأحيان على الجزء الآسيوي من تركيا، جودة، حسن جودة، على احمد هارون، جغرافية الدول الإسلامية، الإسكندرية، 1984م، ص688-689.

وقد اختلطت تلك الشعوب مع سكان الحدود الذين استقروا قبلهم،ونتيجة لهذا الوضع،ظهر في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، عدد من الإمارات الصغيرة تكونت كل واحدة من إقليم، يسيطر عليه أمير يحمل لقب "غازي " أو قائد الغزاة أو المجاهدين،طبقاً للتقاليد الإسلامية، ونجحت تلك الإمارات في أن توسع رقعة أراضيها على حساب البيزنطيين، وكانت إحدى هذه الإمارات إمارة عثمان[1].

ثمة روايتان حول تأسيس السلطنة العثمانية، يتداولها مؤرخو المرحلة العثمانية، وكلاهمة يرمزان إلى دلالة ذات معنى في طبيعة نشأة الدولة ودورها التاريخي. الرواية الأولى تجعل من أرطغول شيخ قبيلة قابي، ومن ابنه عثمان، يعملان في خدمة علاء الدين السلجوقي، سلطان قونية الذي أقطعهما أرضاً عند"سكود" قبالة البيزنطيين، وترك لهما حرية التوسع على حساب هؤلاء،فلما مات علاء الدين السلجوقي، استولى على الإمارة عثمان، فكانت إمارة هذا الأخير استمراراً لإمارة سلاجقة الروم[2].

الرواية الثانية تجعل من عثمان أحد أمراء الغزاة الأتراك، أنه صاهر شيخاً من مشايخ طرق الصوفية المرابطة في تلك الثغور، فسلمه هذا الشيخ (راده بالي) – وفقاً لتفسيره لحلم قصه عليه عثمان – منطقة الجهاد والسيف بوصفه غازياً أي مجاهداً في سبيل الله[3].

---

(1) عمر، عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي، ص 37.

(2) المحامي،محمد فريد بك،تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجليل، بيروت،1977،ص39-40 ؛ شاكر، محمد إسماعيل ياغي، تاريخ العالم الإسلامي، مكتبة العبيكان، الرياض، 1998م، الجزء الأول، ص 203؛ البستاني، بطرس، دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، المجلد4، ص428.

(3) بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1988، ص408.

مهما يكن من أمر الدقة التاريخية في الروايتين، فإن دلالتهما الرمزية ذات معنى تاريخي يشير إلى السياق والوظيفة وطبيعة النشأة والتأسيس ووجهة الاستمرارية فالسياق التاريخي هو سياق الامتداد السلطاني السلجوقي في أسرة بني عثمان، وطبيعة النشأة في منطقة الجهاد والغزو على قاعدة العلاقة بين السياسة والدين، وبين الغزو بما هو عملية استراتيجية، اقتصادية، عسكرية، وبين الجهاد بما هو عملية دينية إيمانية[1] وكل هذا تحمله عصبية تركية قوية تفيد من بينها القبلية، الرعوية والعسكرية المتماسكة.

وتوسعت إمارة عثمان على حساب الدولة البيزنطية،وبسقوط دولة السلاجقة على يد المغول الإيلخانيين، تمكنت الإمارة من استقطاب عدد من الإمارات التركية المسلمة في الأناضول ثم احتل أورخان بروسه(بوصة)[2]عام 1326م ونيقه [3]عام 1331م ليتحول العثمانيون منذ سنة 1345م إلى أوروبا الشرقية، حيث استولوا على أجزاء كبيرة منها كتراقيا وأدرنه، ولم تنجح غزوات تيمورلنك المدمرة سنة 1402 م في القضاء على الدولة العثمانية رغم سيطرته على قسمها الآسيوي [4]، إذا سرعان ما استطاعت أن تعيد حكمها في هذا القسم وأن تتوج أعمالها العسكرية في عهد محمد الثاني " الفاتح " بفتح القسطنطينية 1453 م، بعد حصار دام 53 يوماً، ففتح هذا العمل للعثمانيين مجال التقدم السريع في البلقان،وأوروبا الشرقية،وكان سقوط القسطنطينية – الذي كان هدفاً إسلامياً

---

(1) السيد، محمد،تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها،مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية،2000،ص16.

(2) مدينة في الشمال الغربي من آسيا الصغرى،هي اليوم حاضرة ولاية خداو ندكار التركية.

(3) نيقية أو أزنيق،تعرف بمدينة أستك اليومIznik

(4) دهليش، عبد اللطيف عبد الله، قيام الدولة العثمانية،مكتبة النهضة العربية، مكة المكرمة،1988م، ص39.

منذ الفتوحات الأولى – يعني بالنسبة للشرق الإسلامي عامة حدثاً ذا وقع كبير في النفوس،ففي القاهرة المملوكية قامت احتفالات كبرى بهذه المناسبة، وكان هذا في حقيقة الأمر إرهاصاً لتقبل الزعامة العثمانية الإسلامية الناشئة للعالم الإسلامي، فمنذ سنوات طويلة لم تحرز أية دولة إسلامية انتصاراً مدوياً كهذا [1] ..

- التوجه العثماني للمشرق العربي .

ما إن انتهى القرن الخامس عشر الميلادي،حتى كانت الدولة العثمانية تشمل الأناضول واليونان وشبه جزيرة البلقان، وجزائر بحر إيجه، ومع بداية العقد الثاني من القرن السادس عشر، وتحديداً في عهد السلطان سليم الأول
(1512–1520م) اتخذت الدولة أحد أهم قراراتها، حين استدارت لأول مرة منذ تأسيسها– قبل أكثر من قرنين– إلى المشرق العربي،الذي كان من أثره أن امتدت رقعة الدولة العثمانية وأصبحت دولة آسيوية، أوروبية، أفريقية [2].
حقيقة الأمر أن الدولة العثمانية، كانت لها توجهات أو اهتمامات بالمشرق العربي قبل بداية القرن السادس عشر، قبل امتدادها الفعلي، وبدأ هذا الاهتمام إبان عهد السلطان محمد الفاتح، إثر نزاع قام بين أفراد البيت في إمارة ذو القدر[3] وذلك حين احتمى شاه سوار بالسلطان محمد الثاني ضد إخوته،

---

(1) نوار، عبد العزيز، تاريخ الشعوب الإسلامية، " الأتراك العثمانيون، الفرس مسلمو الهند "، دار النهضة العربية، بيروت،1973م،ص53.

(2) أحمد تمام" السلطان سليم الأول من السلطة إلى الخلافة "، www. Islam-online.net

(3) إمارة ذو القدر أو البستان،تقع بين مرعش وملاطية شمال بلاد الشام، وتتبع أسمياً لنيابة حلب المملوكية،وقد حكمتها أسرة تركمانية منذ 1335م حتى قضى عليها سليم الأول عام 1515م، دائرة المعارف الإسلامية،مج9،ص399،ستانلي لين بول، الدول الإسلامية،ترجمة محمد فرزات، أحمد دهمان، دمشق، 1974م، الجزء الثاني، ص454.

فأقره على الإمارة شريطة أن تتبع للدولة العثمانية،لكن الدولة المملوكية ردت الإمارة إليها حين وفرت الدعم لأخيه شاه بداق، فاستمر الخلاف متقطعاً بين الدولتين إلى عهد السلطان بايزيد الثاني الذي تزوج من ابنة آخر أمرائها علاء الدين- ومنها أنجب سليم الأول- ولكن علاء الدين بالرغم من ذلك لم يكن صادق الولاء للدولة العثمانية وكان كثيراً ما تأرجح بولائه بين الدولتين[1] .

والواقعة الثانية التي تدل على الاهتمام العثماني بالمشرق العربي، الدعم العثماني للمماليك إثر التهديد البرتغالي للمشرق العربي،فبعد طلب المماليك من العثمانيين أرسل العثمانيون إليهم ثلاثين سفينة، تحمل ثلاثمائة مدفع وأخشاباً ويذكر ابن إياس أن السلطان بايزيد قدم المساعدة للمماليك دون أن يتقاضى ثمنها وقدمها هدية[2].

يُفسر الدعم العثماني للمماليك، بحرص العثمانيين على حماية مؤخرتهم في البلاد العربية من خطر برتغالي داهم يهدد استراتيجيتهم، و زعامتهم المنتظرة للعالم الإسلامي، كما أن صفة العثمانيين كغزاة يقاتلون أعداء الدين، تحتم عليهم مقاومة البرتغاليين، وحماية الأماكن المقدسة في الحجاز، ومن أجل ذلك أوقف السلطان سليم الأول الأوقاف في الأناضول للإنفاق على الأماكن المقدسة [3].

فما هي الأسباب التي جعلت الدولة العثمانية توجه جيشها للشرق (الفارسي والعربي) وتخفف من تقدمها للجهة الغربية، الأمر الذي سيدخلها في صراع طويل مع الدولة الصفوية في إيران والعراق؟وهذا ما

---

(1) رافق،عبد الكريم، بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت،دمشق،1988،ص46.

(2) ابن اياس،محمد بن احمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج4، ص201.

(3) رافق، عبد الكريم، العرب والعثمانيون 1516-1916م، مطابع ألف باء، دمشق،1974م، ص60.

سيتم تفسيره في الصفحات التالية، وهي تفسيرات لأحداث عظيمة حدثت في التاريخ، و أن لم تكن مطابقة تماماً للحقائق المعاصرة لهـــا، فأنهـــا محاولـــة للوصول إلى حقائق الأمور .

لم تتناول المصادر- التي أمكن الوصول إليهـــا- موضــوع تحـــول الفتوحات العثمانية من الغرب الأوروبي إلى الشرق الفارسي والعربي، بشيء من التفصيل بل اكتفت بالتحدث عن قدرات السلطان سليم الأول العســكرية، وتوليه الحكم ورغبته في مقاتلة الدولة الصفوية، وترى هــذه المصـــادر أن سبب توجه السلطان سليم وفتح جبهة الشرق للقتال، هو ظهور الشاه إسماعيل الصفوي في شرق الأناضول (إيران)، فيذكر نجم الدين الغـــزي فـــي هـــذا السياق، "ولما استقر على سرير السلطنة(سليم الأول) أخذ في قهـــر الملـــوك والسلاطين فبدأ بمقاتلة شاه إسماعيل الصفوي ابن شيخ حيدر الصوفي، لمـــا بلغه إشاعته للرفض، وقتله لعلماء السنة وأكابرها، فسافر إليه السلطان ســـليم إلى بلاد العجم.." [1].

بينما يذكر مصدر عثماني خطّاً أن الشاه إسماعيل هو البادي بالقتال، أي أن السلطان سليم كان مضطراً إلى التحول للشرق" وفي ســـنة920 هـــــ زحف إسماعيل شاه بجيش جرار على بلاد الدولة (العثمانية) ومعه مراد بك أخ السلطان سليم"[2] بينما يكتفي صاحب كتاب المنح الرحمانية بـــالقول"ثـــم تولى مولانا السلطان سليم.. وفرغ من دفن والده، خرج لقتال أخيه السلطان أحمد فقهره وغلبه.. ثم شرع وحمد الله في قهر أعدائه وأخذ الممالـــك مـــن

---

(1) الغزي، نجم الدين، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشر، حققه وضـــبط نصــــه، جبرائيـــل سليمان جبور، ط 2دار الأفاق الجديدة، بيروت، الجزء الأول،ص209.

(2) أصاف، عزتلو يوسف بك، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشـــأتهم حتـــى الآن،مكتبـــة مدبولي، القاهرة (د.ت)، ص57.

الملوك، فبدأ بقتال شاه إسماعيل فكسره وهزمه "[1]. وبذلك يكتفي الصديقي بذكر أحداث حرب العثمانيين دون أن يجهد نفسه بذكر أسباب هذا التحول .

لقد تعددت الآراء التي ذكرها الباحثون حول الأسباب التي أدت إلى تغير السياسة العثمانية، وتحولها ناحية الشرق، و يمكن إجمالها في أربعة نقاط رئيسة، سيجرى ذكرها ثم مناقشتها.

إن أول هذه الأسباب هو التشبع العسكري العثماني في أوروبا فمنذ عهد أورخان (1326م/1359م) بدأ العثمانيون التقدم في أوروبا البلقانية، واستمر ذلك قرابة قرنين من الزمان تقريباً، في الوقت الذي بقي الأناضول الإسلامي خارجاً عن سلطة هذه الدولة، ويرى أصحاب هذا الرأي أن الدولة العثمانية قد بلغت مرحلة التشبع في فتوحاتها الغربية بنهاية القرن الخامس عشر، وأنه كان عليها في أوائل القرن السادس عشر، أن تبحث عن ميادين جديدة للنشاط والتوسع[2].

بيد أن الزحف العثماني لم يتوقف باتجاه الغرب، بعد تحوله نحو الشرق سنة 1514م ويمكن أن يستدل على ذلك بمجموعة من الأحداث.

لم تفتر همة العثمانيين في مواصلة زحفهم نحو أوروبا، لاسيما في عهد سلطانها سليمان القانوني(1520-1566م) الذي استولى على بلغراد سنة927 هـ/1521م[3]، وبعد خمس سنوات قاد السلطان جيشاً مؤلف من مائة ألف جندي و300 مدفع، إضافة إلى 800 سفينة واحتل أجزاء من المجر، بما فيها عاصمتها (بودا) وجعلها ولاية عثمانية[4].

---

(1) الصديقي، محمد بن السرور البكري، المنح الرحمانية في الدولة العثمانية،وذيله اللطائف الربانية على المنح الرحمانية، تقديم وتحقيق وتعليق ليلى الصباغ، دار البشائر، دمشق، 1995 م، ص19.

(2) الصلابي، علي محمد،الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار البيارق، بيروت، 1999م ص223.

(3) www.islam.online.net

(4) المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص85 ؛ شوجر، بيتر، أوروبا العثمانية،ص88.

هناك رسالة بعثها الإمبراطور شارلكان إلى سفيره في بريطانيا، تدل على مبلغ الفزع الذي انتاب أوروبا من جراء التوسع العثماني، ويقول شارلكان" وعليك أن توضح للملك وللكاردينال مبلغ الخطر الذي يتعرض له العالم المسيحي ... ونكاد نعتقد أن الأتراك سينوون مهاجمة العالم المسيحي هذه السنة، وستكون أرض المعركة إما في إيطاليا أو هنغاريا(المجر) أو في البلدين معاً، في الوقت ذاته " [1].

أن ضخامة الجيوش العثمانية، و ما جاء في رسالة الإمبراطور سالفة الذكر، ماهما إلا دليلان على عدم صحة ما قيل من أن الدولة العثمانية قد وصلت حد الإشباع من أوروبا، لابد لها من البحث عن ميادين جديدة للنشاط العسكري، ولكن لا ريب أنّ مركز الثقل في التوسع العثماني قد انتقل من الغرب إلى الشرق، وستبقى الحملات العثمانية تتوالى على أوروبا في حركة مد وجزر،حتى معاهدة كارلوفينز 26 يناير 1699م التي وضعت المجر تحت حكم آل هابسبورج[2].

أما السبب الثاني الذي ذُكر عن سبب تحول الدولة العثمانية للمشرق، هو تحول الدولة العثمانية نحو المشرق من أجل إنقاذ العالم الإسلامي بصورة عامة، و الأماكن المقدسة الإسلامية بصورة خاصة، من التحرك الصليبي الجديد من جانب الأسبان في البحر المتوسط والبرتغاليين في المحيط الهندي، والبحر العربي والبحر الأحمر[3].

لاشك أن الدولة العثمانية هي دولة إسلامية منذ نشأتها، ولا يُنكر جهادها في نشر الإسلام، فلم يتأخر العثمانيون في مدّ يد العون لإخوانهم

---

(1) زين، نور الدين زين، نشوء القومية العربية، بيروت،1968م، ص 14-15.

(2) نوار، عبد العزيز، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص160.

(3) إبراهيم خليل أحمد "بدايات التوجه العثماني نحو منطقة الخليج العربي"، مجلة المؤرخ العربي، تصدر عن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العدد 43، سنة، ص1990، ص25-26.

المسلمين في السلطنة المملوكية عند ظهور الخطر البرتغالي في المياه الشرقية، ولكن إذا سلمنا بأن توجه العثمانيين لناحية الشرق كان من أجل إنقاذ العالم الإسلامي من الخطر الأوروبي، فلم لم يستمر العثمانيون بتقديم الدعم للمماليك لمواجهة البرتغاليين بدلاً من الدخول في حرب مع المماليك، وتكبدها خسائر فادحة في الرجال والعتاد، و كان من الأجدر أن يوفر لحرب أعداء الدين البرتغاليين .

ثمة نقطة أخرى، يبدو أن العديد من الباحثين قد غضوا الطرف عنها، وهي تأخر التصدي العثماني للوجود البرتغالي في الشرق حتى سنة 1537م [1]، الأمر الذي أعطى فرصة للبرتغاليين لتثبيت وجودهم في المنطقة، وهذا لا يعني التقليل من الدور الذي قام به العثمانيون في التصدي للغزو البرتغالي في المشرق العربي، ولكن ليس قبل هذا التاريخ، ويمكن القول أن رغبة العثمانيين في الوقوف أمام الخطر الاستعماري كان نتيجة وليس سبباً لاتجاه العثمانيين نحو الشرق[2].أما ثالث الآراء المتعلقة بالتوجه العثماني للمشرق، يرتبط بظهور دولة قوية بالقرب من الحدود الشرقية للعثمانيين، وهي الدولة الصفوية في إيران والعراق و بالتصدي للمد الشيعي الصفوي[3]، وهذا ما سيتم دراسته على انفراد في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

إن الآراء السابقة قد أعطت للدوافع والأحداث الخارجية المحيطة بالدولة العثمانية الدور الأبرز في تحليل تحولها للمشرق العربي دون أن

---

(1) نوار، عبد العزيز، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص140.

(2) الشيخ، رأفت غنيمي، تاريخ العرب الحديث وجهاد الأندلسيين، ط2، دار الثقافة، القاهرة، 1989م،ص25.

(3) شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة العربية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1983م، الجزء8، ص143 ؛ سلطان، علي، تاريخ العرب الحديث، منشورات مكتبة طرابلس العلمية، طرابلس، (د.ت)، ص18-20.

توجه اهتمامها للظروف الداخلية للدولة لا سيما المتعلقة بتركيبها السياسي والعسكري، والتي ربما دفعتها لفتح جبهة ثانية في الشرق، وهذا ما سيتم التطرق إليه.

كانت بداية الدولة العثمانية في الشمال الغربي للأناضول على الحدود البيزنطية في منطقة تسمى" قراجة طاغ "[1] ثم بدأ التوسع في البلقان كما ذكر سابقاً، وبذلك كانت البداية أناضولية، وسرعان ما بدأ التوسع العثماني في البلقان يتسع حتى سيطر على مضيق الدردنيل وبحر مرمرة [2]، وقد كان الامتداد العثماني على الجبهتين الأناضولية والبلقانية يسير قُدماً في زمن واحد، ولكن التوسع في البلقان كان أكبر وأقوى منه في الأناضول بمرور الوقت.

إذاً، في الوقت الذي استمر التقدم العثماني في أوروبا البلقانية بين سنتي(1345-1514م) بقي الأناضول الإسلامي خارجاً عن سلطة الدولة العثمانية وقاعدتها في الطرف الشمالي الغربي من الأناضول نفسه، وهذا أوجد نوعاً من عدم التوازن بين الدولة ورعاياها، فالامتداد الأوروبي المسيحي الخاضع للدولة العثمانية، كان أكبر وأقوى من القاعدة الإسلامية لهذه الدولة، وبذلك يتراجع توسيع القاعدة الإسلامية، وربما يتراجع معها تقلد الأتراك لمناصب الدولة، لأن الانكشارية " الدفشرمة " هم الذين سوف يقدمون للدولة رجالها مما يلي السلاطين وهم من أصول أوروبية مسيحية[3] الأمر الذي أثر على تركيبة صناع القرار داخل أجهزة الدولة، و بخاصة منصب الصدر الأعظم، ثاني أعلى سلطة في الدولة بعد منصب السلطان .

---

(1) الصديقي، محمد أبو سرور، المنح الرحمانية....،ص17.
(2) الجميل، سيار، العثمانيون وتكوين العرب الحديث، بيروت، 1989م، ص305.
(3) سلطان، على، تاريخ العرب الحديث، ص18.

يتضح ذلك من خلال تقلد منصب الصدر الأعظم في الدولة العثمانية فلم يكونوا من الترك فقط، بل كانوا من قوميات مختلفة أغلبها أوروبية/بلقانية، فبين عامي 1453-1653 م وصل إلى مرتبة الصدارة العظمى ثمانية وأربعون صدراً، خمسة منهم من الأتراك وأحد عشر من الألبان، وأحد عشر من السلاف، ستة من اليونانيين، عشرة من أصول غير معروفة، واحد جركسي، واحد إيطالي، واحد أرميني، وواحد كرجي[1].

وفي دراسة أخرى للباحث التركي إسماعيل حامي دنشمند، يتضح مدى بلوغ الصدور العظام داخل الدولة العثمانية من أوروبا عامةً ومن البلقانيين خاصة، فقد رصدت هذه الدراسة عدد الذين تولوا منصب الصدر الأعظم في تاريخ الدولة العثمانية بـ 272 صدراً 132من أصل تركي، 49 من أصل أرناؤوطي(ألباني) 23 من أصل بيزنطي، 6 من أصل سلافي 13 من أصل يوغسلافي (بوشناق)، 14 من أصل شركسي، 1 من أصل شيشاني، 1 من أصل عربي، 3من أصل أرميني، 1من أصل روسي، 1من أصل يهودي، وينتمي البقية (28) إلى قوميات مجهولة، على حد تعبير الباحث التركي[2].

يمكن القول إن تحول الدولة العثمانية ناحية الشرق، وفتح جبهة أخرى للحرب-ضد الصفويين والمماليك- لم يكن قراراً فردياً آنيا، يتعلق برغبة السلطان أو الصدر الأعظم أو غيرهم في تغيير جبهات القتال، أو إنه نتيجة الصعوبات التي لاقتها الدولة في أوروبا، بل كان هذا التحول لعدة أسباب أخرى، وإن انتقدها الباحث أنفاً فهذا لا يعني أنه لم يكن لها دور، ولو غير مباشر في تغيير سياسة الدولة، ولكن السبب الذي يبدو أكثر نجاعة في

(1) بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 488.
(2) ابوغنية، زياد، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، دار الفرقان، ط 2، 1986، ص61.

تفسير هذا التحول يكمن في عدم التوازن الذي حدث في التركيبة السكانية للدولة، فأصبح عدد المسيحيين أكثر من غيرهم بالنسبة لسكان الدولة العثمانية الإسلامية، ما شكل خطراً على الفئة الحاكمة نفسها. كذلك أن الدولة العثمانية كان لها اهتمام بالمشرق الإسلامي بشكل عام، والمشرق العربي بشكل خاص، ويتضح ذلك من خلال التدخل في إمارة ذو القدر، إضافة إلى مساعدة المماليك ضد البرتغاليين في الخليج العربي والبحر الأحمر.

عندما اتخذت الدولة العثمانية قرارها- التاريخي- بالتحول إلى المشرق كان متوقعاً أن يكون أول صدماتها مع الدولة الصفوية الناشئة في إيران والعراق.

- الدولة الصفوية وامتدادها تجاه المشرق العربي.

الدولة الصفوية دولة ذات صفة خاصة، فهي تختلف عن جميع دول المشرق الإسلامي قديماً وحديثاً، من حيث طول المدة التي عمرت بها وفرضها المذهب الشيعي وتمثل تحولاً كبيراً في تاريخ إيران[1] بعد الإسلام، ونظر الإيرانيون إليها نظرة تقدير واحترام فهي في نظرهم الدولة التي أعادت لإيران وحدتها السياسية بعد فترة طويلة من الزمن عاشت فيها مسلوبة الاستقلال السياسي وفاقدة للوحدة الوطنية والتوافق الاجتماعي .

---

(1) إيران أو بلاد فارس Persia، وفارس ولاية من ولايات إيران تقع في الشمال الشرقي من البلاد وكانت هذه الولاية تشمل عاصمة البلاد في بعض فترات التاريخ ما سبب إطلاق اسم الولاية على البلاد كلها تمجيداً للعاصمة،أما إيران معناها موطن الاريين، وقد أطلقت هذه التسمية على الهضبة المرتفعة الواقعة جنوب بحر قزوين، ثم أطلق اسم الجزء على الكل، وظلت الازدواجية في التسمية موجودة في الأوساط المختلفة، حتى سنة 1935م عندما أعلنت حكومة إيران أن الاسم الرسمي للبلاد إيران، شلبي، أحمد موسوعة التاريخ الإسلامي، ج8، ص30-31.

لقد سادت الفوضى السياسية في إيران والمناطق المجاورة لها، إثر تفكك دولة تيمور لنك المغــولي توفي (807هـــ / 1404م) [1] وكثرت المنازعـــات والحروب بين أبنائه وأحفاده فاستفادت القبائل التركمانية المقيمة في القسم الشمالي الغربي من إيران من هذا التفكك في البيت التيموري، وأخـــذت تقطع أجزاء من ممتلكات الدولة التيمورية فتمكنت قبائل القره قويونلو[2] من الاستيلاء على إقليم أذربيجان في 811هـــ/1408م، كما تمكنت قبائل الأم قويونكو[3] من هزيمة القره قويونلو والاستيلاء على الإقليم الغربي من إيران، بينما كان أبناء تيمور يحكمون الإقليم الشرقي من إيران حتى 911هـــ/1509م[4].

دفعت هذه الفوضى السياسة المجتمع الإيراني إلى حياة التصوف،والنظر إلى الحياة بنظرة تشاؤمية، فبدأ ينتشر التصوف، وتكاثرت مراكز الصوفية، وكان من بين هذه المراكز والتكايا الصوفية، تكية صفي الدين الأدربيلي، وإليه ينتسب الصفويون.

- أصل الصفويين .

تنسب الدولة الصفوية إلى الشيخ صفي الدين الأردبيلي (650-735هـــ/1252-1334م) الجد الخامس للشاه إسماعيل الصفوي - مؤسس الدولة الصفوية - الذي كان يقيم في أردبيل بإقليم أذربيجان، فعلى الرغم من

(1) أبو الحسن عطرجي " الصفويون والدولة العثمانية "، بحث في شـــبكة المعلومـــات الدوليـــة (الإنترنت) www.d-sunnah.net.p3

(2)، (3) كلمة قره قوريونلو تعني باللغة التركية الخروف الأسود، وأم قويونلو الخروف الأبيض ويطلق على الأولى أيضاً اسم البارانية، وعلى الثانية البايندريـــه، الأمـــين، حســـن، دائـــرة المعارف الإسلامية الشيعية، ط5، دار التعارف، ســـوريا، 1995م، مـــج3، ص57، دائـــرة المعارف الإسلامية مج2، ص481.

(4) القرماني، أبو العباس أحمد بن يوسف، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتـــب، بيروت، (د-ت)، ص341-342.

إدعاء انتساب الصفويين إلى موسى الكاظم، الإمام السابع للشيعة الإثنى عشرية المنحدر من صلب الحسين بن علي، فإن ذلك لم يحدث إلا بعد أن وصلوا إلى الحكم، ولم يُشر أي مصدر قبل توليهم السلطة إلى انتسابهم إلى العلويين سوى كتاب صفوة الصفوة لابن البزاز، الذي ألفه في عهد الشيخ صدر الدين بن صفي الدين، وقد حدثت في مخطوطات هذا الكتاب تغييرات كثيرة تجعله عرضه للشك[1]، وقد ذكر ابن البزاز أن سنجان أحد قرى مرو عاصمـــة خراسان، هي مسقط رأس الصفويين[2]، بينما رأى الباحث أحمد كسروي أن سنجان ينبغي أن تقرأ سنجار القرية العراقية المعروفة لتصبح بذلك الأسرة الصفوية كردية الأصل لا تركية[3]

إن ما يؤيد عدم انتساب الصفويين لآل البيت، ما كتبه رشيد الدين فضل الله وزير غازان خان المغول ثم وزير خليفته اولجايتو، في رسالته لأبنه أحمد حاكم أردبيل حيث يوصيه بالشيخ صفي الدين الأردبيلي لعلو منزلته في الدين والتصوف، حيث يقول"جناب قطب فلك الحقيقية، سباح الحقيقة شيخ الإسلام والمسلمين، قدوة الأصفياء، الشيخ صفي الله والدين.." وهذه الألقاب كانت مما يخاطب به كبار رجال أهل السنة وعلماؤها ولو كان الشيخ صفي الدين من أهل البيت لما أغفل هذا الوزير الإشارة إلى ذلك،كما أنه لو كان شيعياً لم ينعته بشيخ الإسلام، ولقال آية الله، أو حجة الله، أو غيرها من ألقاب رجال الدين الشيعة[4].

---

(1) فقد عاد الأمير أبو الفتح الحسيني بتكليف من الشاه طهماسب- ثاني ملوك الصفويين تنقـيح هذا الكتاب، مؤكداً هذا النسب في محاولة لإقرار المذهب الشيعي، جمعـة، بـديع، أحمـد الخولي، تاريخ الصفويين وحضارتهم، دار الرائد العربي، 1976م، ص 28-29(الهامش).

(2) نقلاً عن، الخولي، أحمد،الدولة الصفوية، ص26-27.

(3) الشيبي، مصطفى، الطريقة الصفوية ورواسبها، ص 16.

(4) فلسفي، نصر الله، إيران وعلاقاتها الخارجية فـي العصـر الصـفوي 1500 - 1736 م، ترجمة فتحي الريس، دار الثقافة، القاهرة، 1989 م، ص (هــ) (المقدمة) .

ثمة ما يؤيد هذا الرأي، بل ويؤكد على أن صفي الدين كان تركياً، فمؤلف كتاب عالم آراي صفوي، ينقل أول لقاء جرى بين صفي الدين وشيخه الزاهد الجيلاني ويقول : "كان من عادة الشيخ أن يعتكف في خلوته في شهر رمضان، لا يقابل أحداً، ولكنه في أحد الأعوام أدرك بلمم هدايته، أن صفي الدين وصل إلى زاويته فخرج إلى ابنه جمال الدين، وقال لـــه اذهب إلى المكان الفلاني في الزاوية، وستجد شاباً تركياً في مقتبل العمر، وهو قائم يصلي هناك وعندما ينتهي من صلاته ويسلم، قل لـــه إن أبى الشيخ الزاهد يطلبك فلما انتهى الشيخ الزاهد من اعتكافه رأى المريدون شيخهم يخرج من خلوته، وقد وضع يده في يد شـــاب تركي[1] .

معنى ذلك أن صفي الدين كان تركياً، ولم يكن علوياً، وإلا وصفه المؤلف سيداً أو شريفاً، كما لم يقل أنه فارسي، بل قـــال صراحـــ أنه تركي . ولهذا إن انتساب الصفويين لأهل البيت ليس صحيحاً لأن ادعاء النسب بعد وصولهم إلى السلطة كان ذريعة لتثبيت ملكهم، وإضفاء الشرعية على حكمهم حتى لا ينازعهم فيه منازع[2]، وهذا ما يؤيده الباحث الإيراني عباس إقبال، إذ يقول " إن هذه النسبة كاذبة ولم ترد في المؤلفات التي ألفت قبل عهد الشاه طهماسب الأول، وفي أيام الشاه إسماعيل وأجداده "[3].

بيد أن ذلك لا ينفي المكانة المرموقة التي حظي بها صفي الدين لدى الأهالي الذين كانوا يتوافدون عليه، بسبب زهده وورعه وتصوفه[4]، حتى

---

(1) مؤلف مجهول، عالم آراي صفوي، باهتمام يد الله شكري، تهران، 1355 هـــ - ش، ص 11-12.

(2) فلسفي، نصر الله، إيران وعلاقاتها الخارجية. ص (و) (المقدمة) ؛ الخولي، أحمـــد، الدولـــة الصفوية، ص27

(3) اشتياني، عباس إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام..، ص640

(4) Savory.R.op.cit.p8

قيل إن عدد الذين وفدوا على الشيخ صفي الدين من سكان مدينتي مراغة وتبريز خلال ثلاثة أشهر فقد زاد على ثلاثة عشر ألف مريد[1].

- **حلقات الإرشاد .**

كان صفي الدين (1252-1334م) من عارفي عصره المشاهير، راده كثير من المريدين والأتباع، حصلت تكيته التي أسسها في مدينة أردبيل في جنوب أذربيجان، على شهرة واسعة خصوصاً بعد أن مال الناس إلى التزهد إبان الحكم المغولي لإيران(1253-1336م)، وكان صفي الدين في بداية أمره مريداً للشيخ تاج الدين الزاهد الكيلاني، وتزوج ابنته فلما مات شيخه وحموه خلفه في مقام الإرشاد[2] وعند وفاة صفي الدين خلفه ابنه صدر الدين موسى(1335-1392م) وفي هذه الفترة التي انهارت فيها أسرة ايلخانات المغول، تجزأت إيران إلى دويلات متصارعة، زادت من ميل الناس أكثر إلى الانزواء لشدة المآسي التي اتصف ها هذا العصر[3].

أما الحدث الأبرز في سلسلة الأحداث المهمة لهذه الأسرة فقد تجلى في عهد الشيخ علاء الدين على(خواجه على سياهيوش) (1392/1448م) الذي عاصر فترة الاجتياح التيموري لعدد من البلدان الإسلامية وكسب- على خلاف معاصريه- ثقة تيمورلنك الذي زاره ثلاث مرات في مشيخته على حسب الرواية الصفوية[4] وأهم هذه اللقاءات، ذلك الذي حدث بعد هزيمة السلطان العثماني بايزيد عام 804هـ/1402م على يد تيمورلنك،

---

(1) جمعة، بديع محمد، الشاه عباس الكبير، ص 8.

(2) اشتياني، عباس اقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرة حتى نهاية الدولة القاجارية، نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة، القاهرة، 1989م، ص639.

(3) منصور، محمد، تاريخ إيران بعد الإسلام، القاهرة، 1979م، ص 739؛
Mazzaoui.M,the origins of the safavids viesbaden 1977 p52-53

(4) باستاني باريزي، إبراهيم، سياسة واقتصاد عصر صفوي، طهران، 1367هـ.ش، ص12.

وأسره ثلاثين ألفاً من الجيش العثماني، وإحضارهم إلى أردبيل، فطلب خواجة علي من تيمور لنك أن يطلق سراح هؤلاء الأسرى، فوافق تيمور ووهبهم للشيخ، ليكونوا فيما بعد من أبرز مريدي الأسرة الصفوية، وإحدى لبناتها التي ارتكزت عليها، إبان قيامها في بداية القرن السادس عشر[1] كما حصل الشيخ من تيمور على إقطاعات واسعة في أذربيجان-أردبيل وضواحيها- وفرت لــه ولمريديه موارد مالية ضخمة،كانت دون شك الركيزة الاقتصادية التي ضمنت استمرارية هذه الأسرة[2] وهكذا انتهت ملكية الوقف إلى أن يكون إرثاً يؤول إلى أعقاب الشيخ كمشيخة الطريقة، وكان يمثل الشيخ اتباعه المقيمين خارج اردبيل"خليفة" ينوب عنه[3].

ما لبث أن مات خواجة علي في فلسطين أثناء عودته من مكة، وخلفه ابنه الشيخ إبراهيم (شيخ شاه) وظل يقوم بالإرشاد لتسع وعشرين سنة إلى أن مات في عام 851 هـ/1447م تاركاً من الأبناء، جنيد، أبو السعد أحمد، سيد بايزيد، خواجة جهان ميرزا وإبراهيم جواجكي [4].

- **التنظيم العسكري :**

اكتسبت المشيخة الصفوية قدرة أكبر على الحركة، بتــولي ســلطان جنيد(1447-1460م) زعامتها، وبدأ يكشف عن رغبته في الملك تــدريجياً، بتحويله الدعوة إلى حركة سياسية تعتمد على إثبات وجودها علـــى الأعــداد الضخمة من المريدين [5].

---

(1) المرجع نفسه،ص 13.

(2) المرجع نفسه، ص15؛ الأمين،حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ج8، ص20.

(3) بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلاميــة، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1988 م، ص 493.

(4) الخولي، أحمد،الدولة الصفوية تاريخها السياسي والاجتماعي-علاقاتها بالعثمــانيين، مكتبــة الأنجلو مصرية، القاهرة،1981م، ص31.

(5) بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 494 ؛ وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن الرابع عشر- العشرين، مطبعة دائرة المعارف، 1924م، مج7، ص 187.

وأثر هذا التحول في الطريقة بتشكيل إدارة عسكرية لها، فجلب ذلك العداء للشيخ جنيد من قبل جيرانه فهرب الشيخ إلى الأناضول، وفي السنوات(1449-1456م) نجح جنيد نجاحاً كبيراً في نشر طريقته في قرمان (Karaman)، وفي جانيق (Janik) و قصطموني(Kastamuni) ، وفي ولاية تكه (Tekke) حول الأناضول، وفي جبل أرموس في شمال سوريا بين التركمان، وفي قلقيا (Cilicia) وطوروس (taurus) في شمال الأناضول[1].

أثار هذا العمل غضب جهانشاه التركماني، زعيم القره قويونلو، فأجبر السلطان جنيد على الرحيل إلى ديار بكر، حيث استقبله أوزون حسن زعيم الأق قويونلو، وأحسن وفادته وزوجه أخته خديجة بيكم[2]، وبعد مدة عاد جنيد إلى مقره السابق في أردبيل، ثم توجه بقواته التي شكلها من مريديه إلى شيروان [3]، لكنه هزم وقتل على يد حاكمها خليل سلطان على سنة 860- 1455 م[4] ولئن كانت هذه الحرب الأولى في تاريخ الصفويين، وانتهت لغير صالحهم، فأنها كانت بمثابة البداية لظهورهم على الميدان السياسي قوةً سياسيةً جديدةً .

أصبحت الحركة الصفوية أكثر قوة وتنظيماً في عهد شيخها حيدر بن جنيد (1460-1488م) والذي تزوج من ابنة خاله أوزون حسن المدعوة عالم شاه بيكوم أو حليمة بيكم التي أصبحت أماً لإسماعيل أول ملوك الصفويين[5].

---

(1) Parry.v . J , Aistory of the ottoman empire to 1730 , Cambridge university, press,1976,p63-64.

(2) The new cambridge modern history ,the renaissance 1493-1520,cambridge university press,(no.dot)vol1,p405.

(3) مدينة في غرب بحر الخرز (قزون) بناها ملك الفرس أنو شروان، وصار الاسم يطلق على البلاد الواسعة التي تمتد بين مدينة دريند شمالاً ونهر الكرج جنوباً ، قصبتها مدينة شماخي، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج 3، ص339.

(4) الخولي، احمد، الدولة الصفوية، ص32.

(5) الشوكاني، محمد بن علي،البدر الطالع من بعد القرن السابع تحقيق حسن بن عبد الله،دار الفكر، بيروت،1998م، ص203 .

وقد اتخذ حيدر لأتباعه عمامة حمراء للرأس لتميزهم عن غيـرهم، جعلها من اثنتي عشرة ذؤابة، كناية عـن الأئمة الإثنا عشر للشيعة، وسـمىّ بتاج الحيدرية [1] وقد اشتق منه المصطلح التركـي قزلبـاش(Qizilbash) " الرؤوس الحمراء "[2]، ثم صار هذا الاسم يطلق على القبائل التـي اعتمـدت عليها الدولة الصفوية في بناء قوتها العسكرية .

ويذكر المؤرخ الصفوي كاشاني، أن العلاقات قد توترت بين البيـت الصفوي والسلطان يعقوب زعيم أم قويونلو، فأضطر حيدر وأتباعـه إلـى الرحيل من ديار بكر، ثم جهز جيشاً وتوجه إلى شروان، وخاض حرباً،تلقى فيها هزيمة قاسية في رجب 893هـ أول يونيـو 1488م[3] وقُتـل وتفـرق أتباعه، وأما باقي الأتباع فقد توجهوا إلى مراكز الطريقة في أردبيل وقرروا انتخاب علي بن حيدر زعيماً للطريقـة خلفـاً لوالـده[4] علـى أن أخبـار اجتماعهم- حسب رواية كاشاني- وصلت أسماع السلطان يعقوب، فهاجمهم على حين غرة وقبض على أبناء الشيخ حيـدر الثلاثـة:علـى، إبـراهيم، وإسماعيل وأودعهم سجن قلعة أصطخر بشيراز[5].

قبائل القزلباش :

إن الأسماء التـي منحت لبعض القبائل التركمانيـة التي كانت أكثر نفوذاً، والتي عملت في خدمة الدولة الصفوية لاحقاً، هي القبائل القزلباشـية التسعة :

---

(1) القرماني، أبو العبـاس أحمـد، أخبـار الـدول وآثـار الأول فـي التـاريخ، ص 344 .
Tapper,richard,frontiernomads of Iran.cambridge,priess,1996.p42.

(2) مؤلف مجهول، تاريخ قزلباش، به اهتمام مير هاشم محدث، تهران، 1361 هـ ش، ص28.

(3) كاشاني، أحمد غفاري، تاريخ نكرستان، تهران، (د.ت)، ص361.

(4) بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 361.

(5) كاشاني، أحمد غفاري، تاريخ نكارستان، ص361-362.

1- روملو، التحقوا بحلقة الصفويين منذ أيام خواجة على، وهم الأسرى الأتراك الذين أسرهم تيمورلنك عند انتصاره على العثمانيين سنة 1402 م وأفرج عنهم بواسطة خواجة علي[1].

2- ذو القدر، كان أفرادها يسكنون ديار بكر، والتحق جمع منهم بخدمة الشيخ جنيد وبعد موته نهضوا لمساعدة ابنه الشيخ حيدر[2].

3- استاجلو، من كبريات القبائل التي ساندت الدولة الصفوية في نشأتها واستمرارها وكانت تنتشر في منطقة أذربيجان، ومن أبرز رجالها محمد خان استاجلو، حاكم ديار بكر منذ عام 913 هـ/1507م [3].

4- إفشار، هاجرت من تركستان إلى أذربيجان وشمال بلاد الشام،ثم التحقت بالأسرة الصفوية، ونالت مقابل ذلك حظوة لدى زعماء الأسرة الصفوية، وحكم أفرادها في معظم أنحاء إيران[4].

5- شاملو، تنسب إلى بلاد الشام، لقدومها من أطراف حلب وأدنه وطرسوس، وسائر التخوم الشمالية لبلاد الشام، وقد تقلد زعماؤها مناصب مهمة طوال فترة الحكم الصفوي، مثل حسن بك لله خان،أمير أمراء الشاه إسماعيل، وايشيك أُغاس وزير الشاه عباس الأول[5].

6- قاجار، تنسب إلى قاجار نويان أحد قادة المغول، وقد استوطن أفرادها أرمنستان والشام، حيث عاشوا على السلب والنهب[6]، وعندما

---

(1) اشتياني، عباس إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام...، ص 607؛ مكاريوس، شاهين، تاريخ إيران، ص 147 .

(2) كوب، عبد الحسين رزين، روزكاران تاريخ إيران از اغاتا سقوط سلطنة بهلوي، ط 2، انتشارات سخن، طهران، 1379هـ. ش، ص 661 ؛ الآمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، مج 9، ص144.

(3) مؤلف مجهول، تاريخ قزلباش، ص45-46.

(4) المصدر نفسه، ص51- 56.

(5) المصدر نفسه، ص6-11.

(6) الخولي، أحمد، الدولة الصفوية، ص 43 .

عاد تيمورلنك إلى إيران بعد هجومه على آسيا الصغرى والشام، وأحضر جمعاً من قبائل التركمان، من ضمنهم قاجار، أسكنهم لنجة وايروان وقراباغ، ثم التحق هؤلاء بخدمة الشاه إسماعيل عندما غادر لاهيجان إلى أذربيجان[1].

7- تكه لو (تكلو)، كانت تسكن على أطراف قونيه، وتنتشر في أطراف "تكه" جنوبي الأناضول، من أوائل شيوخها الذين التحقوا بالشيخ حيدر، هو حسن خليفة [2]، الذي كلفه حيدر بالعودة إلى تكه والترويج للطريقة الصفوية وتجميع المريدين، فعاد ابنه إلى إيران ومعه خمسة عشر ألف رجل، ومن أبرز زعمائها " أولمة خان " حاكم أذربيجان، ومحمد خان حاكم هراه [3].

8- ورساق، تسكن ناحية ورساق في ولاية قرامان في آسيا الصغرى، وقد نهض أبناؤها من هناك لنجدة الشاه إسماعيل [4].

9- صوفية قراباغ، لم ترد معلومات واضحة عن هذه القبيلة في المصادر الفارسية – التي أمكن الاطلاع عليها- ما عدا حسن روملو، الذي يذكرها فيقول" تجمع في مجلسه [الشاه إسماعيل] سبعة آلاف مريد صوفي من قبائل استاجلو وشاملو... وصوفية قراباغ[5]، كما ذكرها حسن الأمين ضمن قبائل القزلباش[6].

---

(1) فلسفي، نصر الله، زندكاني شاه عباس أول، ط5، طهران، 1352 هـ.ش، ص 165.

(2) والد الشاه قولي، الذي ثار ضد الدولة العثمانية في ولاية تكه سنة1511 م، انظر، ص (101-103) من هذا البحث.

(3) مؤلف مجهول، تاريخ قزلباش، 29.

(4) الخولي، أحمد، الدولة الصفوية، ص43.

(5) روملو، حسن، احسن التواريخ، بسعي وتصحيح جارلسن نارمن سيدن، انتشارات، كتاخانه صدر، تهران، 1342 هـ، ش، ص 14 .

(6) الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ج9، ص 144.

هكذا اتضح أن قبائل القزلباش، من أصول تركمانيـــة، ومعظمهـــا كانت تسكن الأناضول وفي التخوم الشمالية لبلاد الشام، وأن معظم زعمائها تسلموا مناصب عليا في الدولة أسهموا بشكل وافـــر فـــي تأســـيس الدولـــة الصفوية.

قيام الدولة :

بعد وفاة الشيخ حيدر سنة 893-1488 م حلت الأسرة الصفوية في بلاد السلطان رستم أمير الأق قويونلو، فيما يمكن تسميه بالضيافة الجبريـــة، غير أن الظروف تطورت سريعاً بعد اندلاع الحرب الأهلية بين أمراء أسرة الأق قويونلو[1] وحسب رواية القرمان، استطاع في هذه الأثناء مائتـــان مـــن أتباع ومريدي البيت الصفوي نقل إسماعيل وأخيه إبراهيم- بعد وفاة أخيهما الأكبر سلطان علي – من أردبيل إلى الركيلان وسرعان ما عـــاد إبـــراهيم، بينما بقي إسماعيل لدى حالم لا هيجان كاركيا ميرزا[2] الذي طلب من الشيخ شمس الدين اللاهيجي القيام على تربية إسماعيل تربية عسكرية ليعده للملك، ومكث إسماعيل فترة الإعداد – خمس سنوات – أتاحت فرصة كبيرة لأتباع البيت الصفوي للاتصال بعضهم ببعض[3].

في منتصف أغسطس 1499 م أصبح إسماعيل بن حيدر – وهو في السنة الثانية عشرة من عمره- القائد المعترف به للطريقـــــة الصفويـــــة، والمرشد الكامل[4] وغادر جيلان برفقة سبعة من أتباعه المقـــربين، وتـــابع طريقه من تاروم وخلخال إلى أردبيل، المركز التقليدي للطريقـــة الصـــفوية، وفي أثناء مسيره تجمع لديه عدد من الأتباع وكونوا جيشاً مؤلف من 1500

---

(1) البدليسي، شرف خان، شرفنامه، ترجمة عن الفارسـية محمـد علـى عـوني، القـاهرة، 1962م،ج2، ص117

(2) القرماني، أبو العباس أحمد، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، ص 349.

(3) أبو الحسن عطرجي، الصفويون والدولة العثمانية www.d-sunnah.net

(4) Roemer.H.R.The Safavid Period Chapter-cambridge history of Iran. vol6.p225.

رجل، وفي أردبيل زار إسماعيل ضريح جده مؤسس الطريقة صفي الـــدين، وقد قدم حاكم تلك المدينة إنذاراً لإسماعيل بالمغادرة[1] وأذعن إسماعيل لهذا الطلب وعسكر خارج المدينة، ثم توجه نحو منطقة طواليش المحاذية لبحـــر قزوين وأقام معسكره الشتوي في أرجوان (Arjuwan) وقد تم إقناعه من قبل مستشاريه أن يستدعي أعوانه في الأناضول وسوريا للتجمع في أذربيجان[2].

في عام 906هـ/1500م توجه إسماعيل إلى شـــماخي، علـــى رأس جيش من سبعة آلاف مقاتل استطاع أن يهزم جيش شيروان ويقتل حاكمهـــا [3]، ويغنم الكثير من ممتلكاته وخزائنه، وتوافد أتباعه "من كل صوب وحدب " [4]، ثم تقدم واحتل باكو المطلة على بحر قزوين ودربنـــد المطلـــة علـــى الساحل الغربي لبحر قزوين[5]. وضع هذا النصر إسماعيل، وجهاً لوجه مـــع الوند ميرزا حاكم الأق قويونلو في أذربيجان فالتقى الطرفان في شروان سنة 1501 م، وانهزم الأخير مخلفاً خسائر كبيرة، وكان من أهـــم نتـــائج هـــذه المعركة، سيطرة الشيخ إسماعيل على مدينة تبريـــز التـــي دخلهـــا ســـنة 907هـــ -1501م معلناً قيام الدولـــة الصفوية[6]، ومنصباً نفسه شاهاً علـــى

---

(1) الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لتحقيق حسين المبدي، دار الفكر، بيروت، 1998، ص293.

(2) Allouche.Adel..the origins and development of the ottoman savavid conflict 1500-1555,berlin.1983,p70.

(3) يذكر الشوكاني أن الشاه إسماعيل أمر جيشه بأن يضعوا حاكم شروان"فرخ بار" في قدر كبير ويأكلوه، الشوكاني البدر الطالع بمحاسن من القرن السابع، ص 293.

(4) الخولي، أحمد، الدولة الصفوية، ص 38 .

(5) محمد بن سليمان المراجعي" الدولة الدريندرية في بلاد القوقاز"، مجلـــة التـــاريخ العربـــي، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، الربـــاط، العـــدد 12، الســـنة 1420هـــــ - 1999م، ص65-70.

(6) البدليسي، شرف خان، شرفنانة، ج2، ص 118- 119.

إيران، وبذلك تمثل قيام الدولة الصفوية في صيغة خلع (الشيخ) إسماعيل لملابس التصوف وإبدال ذلك بوضع التاج الديباجي على رأس (الشاه) [1].

توالت انتصارات الشاه إسماعيل بعد ذلك تباعاً، فقضى جزئياً على دولة الأق قويونلو وبدأ من سنة 1503 م بسط سلطانه على أذربيجان، واستولى في نفس العام على شيراز وأخضع فارس وكرمان وخوزستان[2] وماندران واستراباد وجميع أنحاء جيلان، وفي عام 1507- 1508 م دمرت قوات الشاه إمارة ذي القدر وغزت خربوط وديار بكر واحتلت كردستان، وقد كان الشاه حريصاً على تطمين المماليك والعثمانيين بأنه ليس لديه نية عدوانية تجاههما[3].

الامتداد الصفوي نحو المشرق العربي :

أدى انتصار الشاه إسماعيل، واحتلال تبريز وإعلانها عاصمة لدولته الجديدة إلى ارتفاع المدّ الصفوي، الذي بدأ يتسع تدريجياً، فدخل الشاه في حرب مع قبائل الأوزبك[4] في منطقة ما وراء النهر، وأحتل خراسان ومرو، ووصل حدود نهر جيحون[5]، وتوسعت الدولة الصفوية إثر هذه

---

(1) أبو مغلي، محمد وصفي، إيران، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، 1985م، ص 246 ؛ عماد أحمد الجواهري" العراق والتوسع الصفوي، 1502-1530م"، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، تصدر عن جامعة الكويت، العدد 20، السنة الخامسة، 1979م، ص ؛ د هيوار، " إسماعيل الأول "، دائرة المعارف الإسلامية، مج 2، ص 175 - 176 .

(2) الموصلي، منذر، الحياة السياسية في كوردستان، لندن، 1991م، ص 78، ولبر، دونالد، إيران ماضيها و حاضرها، ترجمة عبد النعيم حسنين، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1985م، ص 86.

(3) parr.v.j.op.cit.p 65.

(4) تعني كلمة الأوزبك سيد نفسه والمستقل .

(5) اشتياني، عباس، تاريخ إيران بعد الإسلام، ص 642.

الانتصارات، وأضحى الشاه مسيطراً على فارس وأذربيجان، وأتسع نفــوذه بعد ذلك في جنوب الأناضول، محطماً تحالفاً جديداً إقامه السلطان مع آخــر أمراء الأق قويونلو، مع علاء الدولة أمير دولــة ذو القــدر[1] وهكــذا بــدأ الطريق ممهداً للصفويين للامتداد نحو المشرق العربي من الجهة الشمالية .

لقد انكشفت أمام الصفويين الأراضي العربيــة - عبــر العــراق - بمناطقها السهلية ومسالكها الإستراتيجية البرية، بعــد أن أمــن الصــفويون سيطرتهم على تلك السلاسل الجبلية التي تفصل إيران عن الأراضي العربية في حدود طبيعية لها جغرافيتها التاريخية[2] وخــلال عــام 1508-1509 م غزا إسماعيل بغداد فعلياً، إضافة إلى معظم الجنوب الغربي من إيران، فــي ظل هدوء عثماني مملوكي واضح[3]، شجع الشاه على التفكير فــي توســيع عملياته العسكرية لتشمل الموصل وشمال سورياً .

إن أول توغل للقوات الصفويــة في المشرق العربي، تمثل في غزو بغداد، الواقعة تحت سيطرة دولة الأق قويونلو، حيث بعث الشــاه إســماعيل أحد قادته المدعو حسين، وما إن وصل المدينة حتــى غادرهــا حاكمهــا " برناك "، وقام أهالي بغداد بإخراج محمد كمونه، نقيب أشراف الشيعة ببغداد، وتوليته الأمور إلى حين اتضاح الموقف، وقد بادر هذا الأخير إلى إعــلان الخطبة باسم الشاه، كما صك النقود باسمه، كما جــاء فــي روايــة أحمــد كاشاني[4] وإكمالاً لهذه الرواية فإن البغداديين خرجــوا لاســتقبال طلائــع

---

(1) الغزي، نجم الدين، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، ج3، ص 135؛ القرماني، أبــو العباس أحمد، أخبــار الــدول وأثــار لأول فــي التــاريخ، ص 344، الدولــة الصــفوية www.al-shia.com..

(2) الجميل، كوكب سيار، بقايا وجذور التكوين العربي الحديث، منشــورات الأهليــة، عمــان، 1997م، ص104، ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، نقله من التركية إلى العربيــة محمــد صبحي خــرزات، دمشق، (د. ت)، ج2، ص570.

(3) Shaw , Stanford . History of the Ottoman Empire and Modern Turky Cambridge University Press , 1977 , I ,p. 78 .

(4) كاشاني، أحمد غفاري، تاريخ جهان أرا، طهران، 1343 هــ . ش، ص271.

الجيش الصفوي الذي دخل بغداد وسرعان ما لحق به الشاه، فدخل المدينة عام 914 هـ/1508 م وقام الشاه بعد ذلك بجولة في كربلاء والحلة والنجف ثم عاد إلى بغداد، ومنها إلى سامراء [1].

لعلها من المرات النادرة التي يخرج فيها سكان بغداد لإستقبال أجنبي محتل وعلى كل حال فالمرجح - إذا صحت رواية كاشانى - أن السيد كمونه وأعيان المدينة هم الذين استقبلوا الجيش الصفوي، ويُرجع عماد الجواهري ذلك لسببين :

1- انه لم يكن في بغداد قوة عسكرية يمكن الإعتماد عليها للدفاع عن المدينة خاصة بعد هروب حاكمها من الأق قويونلو.

2- أن العناصر التي خرجت لاستقبال القوات المحتلة، كان لها ارتباطها ومصالحها التي تحرص على استمرار تقدمها خلال العهد الجديد، وهذه المسألة قد تحصل في كل زمان ومكان [2].

ولئن أفادت الرواية الصفوية، أن ثمة استقبالاً أجرى للقوات الصفوية المحتلة، فإن هناك مجموعة من المصادر التاريخية، ذكرت معلومات حول أعمال القتل والتخريب التي رافقت الاحتلال الصفوي للمدينة، ما يعزز أن الاحتلال لم يقف على أرض سهلة، فيذكر المؤرخ الموصلي العمري " أن الشاه إسماعيل حاصر بغداد وأفشى الرفض فيها بعد قتل المعارضين " [3] فيما نسب العزاوي إلى صاحب منتخب التواريخ قوله "بأن جيوش الشاه قتلت الكثير من مخالفيها بعد دخولها مدينة بغداد حتى جرت دجلة بدمائهم بدل اليم" [4]. أما العماد الحنبلي فيذكر : " واستولى على بغداد وعراق العجم

---

(1) المصدر نفسه، ص 271- 272.

(2) عماد أحمد الجواهري،" العراق والتوسع الصفوي "، ص 72.

(3) العمري، ياسين خير الله، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام. بغداد، 1968م، ص 169.

(4) العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، بغداد، 1939م، ج3، ص 342.

وقهر ملوكهم وقتل عساكرهم بحيث قتل على ما يزيد على ألف ألف .. وقتل العلماء وأحرق كتبهم ومصاحفهم " [1]. ومع الإقرار أن هناك مبالغة في وصف صورة ما جرى من أحداث بين أهالي بغداد والجيش الصفوي، إلا أن الإصطدامات التي جرت بين قوات الاحتلال وبين الأهالي هي حقيقة، وهذا ما أثبتته الأحداث اللاحقة، فقد دعم الشاه إسماعيل – وخلفه طهماسب – الوجود الصفوي في العراق عن طريق إبقاء حاميات عسكرية في كركوك والحلة ومندلي والرماحية والأحواز[2].

أدت سيطرة الشاه إسماعيل الصفوي على جزء كبير من العراق إلى تطلعه للاستيلاء على مزيد من مناطق المشرق العربي، فنجده يبعث بالرسل إلى أوروبا مفاوضاً بعض ملوكها، بأن يكونوا معه عوناً على سلطان مصر، وأنهم يجيئون من البحر، ويجيء هو من البر في حركة كماشة تؤدي إلى سقوط الدولة المملوكية ليقتسمها الشاه مع ملوك أوروبا وتكون مصر من نصيبهم، بينما يستحوذ هو على الشام مطلاً بذلك على البحر المتوسط [3].

وبعد توسع الدولة الصفوية في إيران، وجزء كبير من العراق، أصبحت في حدود مشتركة مع الدولة العثمانية، المتجهة بأنظارها للمشرق العربي، إضافة إلى دولة المماليك في الشام والحجاز، والآخذة في الضعف والانحطاط، علاوة على الوجود البرتغالي في المنطقة، أمام هذه المعطيات، بدأت تظهر صراعات عديدة في المنطقة، كان من ضمنها الصراع الصفوي العثماني، الذي شغل المشرق العربي معظم معاركه، كما أن هذا الصراع لم يكن وليد اللحظة، بل كانت له جذوره التاريخية المتمثلة بمجموعة من الأسباب أدت إلى نشأته، وأخرى أسهمت في استمراره، وهذا ماسيعالجه الفصل الثاني .

---

(1) العماد الحنبلي، أبو فلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري بيروت، (د.ت)، ج8، ص144.

(2) الحلو، على نعمة، الأحواز "عربستان" في أدوارها التاريخية، بغداد، 1969م، القسم الأول، ص 174.

(3) نوار، عبد العزيز، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 71.

الفصل الثاني

أسباب الصراع الصفوي العثماني

المبحث الأول : الادعاءات المذهبية للصراع .

- تبني الدولة العثمانية للمذهب الحنفي .
- إعلان المذهب الشيعي في إيران .
- وسائل نشر المذهب الشيعي .
- تأويل الاختلاف المذهبي للصراع .
- حروب الدولتين مع دول تتوافق معهما في المذهب .

المبحث الثاني : الأسباب الاجتماعية والاقتصادية للصراع .

- تحركات البدو على الحدود والأزمة الاجتماعية الاقتصادية العثمانية.
- طرق التجارة .
- التنافس من أجل احتكار الحرير .
- توظيف الروابط الاقتصادية

المبحث الثالث : الأسباب السياسية للصراع .

- دور السلاطين و الشاهات في اندلاع الصراع .
- الرغبة في تزعم العالم الإسلامي.
- إيواء الصفويين للأمير مراد.

المبحث الأول

الادعاءات المذهبية للصراع

- تبني الدولة العثمانية للمذهب الحنفي .
- إعلان المذهب الشيعي في إيران .
- وسائل نشر المذهب الشيعي .
- تأويل الاختلاف المذهبي للصراع .
- حروب الدولتين مع دول تتوافق معهما في المذهب .

تبني الدولة العثمانية للمذهب الحنفي .

تصديقاً للراوية التي تبناها العثمانيون رسمياً بعد فتح القسطنطينية سنة 1453 م، بشأن أصل الدولة العثمانية – والتي تمت الإشارة إليها في الفصل الأول – والتي تجعل عثمان بن أرطغول المؤسس الحقيقي للدولة، وقد اعتنق عثمان الإسلام وأصبح من أهل السنة، وتحديداً على المذهب الحنفي، منذ ذلك الوقت أصبح العثمانيون يعتنقون المذهب السني الحنفي [1] .

فبعد أن خلف العثمانيون السلاجقة في الحكم والمذهب لم تسجل المصادر المؤرخة للدولة العثمانية أحداثاً تدل على تعصبهم للمذهب الحنفي[2]، ولم توجد إشارة واضحة في براءات " مراسم التعيين " القضاة في المرحلة الأولى من عهد العثمانيين، ما يدل على انهم أصدروا أحكام طبقاً

---

(1)بسكتي، محمد اعظم بن عباسيان، برفارس إحداث ووقائع ومشايخ بستك وخنج والنجة ولارا، ترجمة وتعليق محمد وصفي أبو مغلي، مؤسسة الأيام، المنامة، 1993، ص37.

(2) هنالك من يدعي بعكس ذلك، يدعي بأن العثمانين لم يكتفوا في جعل المذهب الحنفي فوق المذاهب الأخرى بأسرها، بل عمدوا إلى ضرب المذاهب الأخرى، وسعوا إلى نشره بأسلوب الترغيب والترهيب (الدولة العثمانية والتشيع . www.alahirzi.com

للمذهب الحنفي، ولعل القضاة في تلك الفترة لم يجدوا ما يدعوهم للتصـــريح بتطبيق المذهب بالذات، لأنهم كانوا في الغالب من فقهاء الحنفية، إضافة إلي ذلك أن المذهب الحنفي مع كونه كان الراجح إلى حد بعيد في تلــك الفتـــرة، لكن لم يكن هناك تعصب مذهبي في هذا الموضوع بالقدر الــذي ستشـــهده القرون التالية . لذا من المحتمل أنهم تركوا الباب مفتوحـــا لآراء المـــذاهب الأخرى، حتى مجيء القرن السادس عشر الميلادي كان يحدث بين الحـــين والآخر أن يستعان برأي المذاهـــب الأخرى في المحاكـــم العثمانية [1].

السؤال المهم هنا، لماذا اعتنق العثمانيون المذهب السني الحنفي، على وجـــه الخصوص دون غيره ؟!

من خلال الرجوع لعدد من المصادر المتعلقة بتاريخ الدولة العثمانيـــة، لم يجد الباحث إجابة واضحة عن هذا السؤال، إلاما أعتبر إن ذلك جاء نتيجة لتأثر المنطقة – موطن العثمانيين – بأسلافهم السلاجقة الحنفيين .

فقد أخذ العثمانيون بالمذهب الحنفي أحد المذاهب الأربعة السنية، الـــذي كان يعتمد أكثر على الإجماع للاستنتاجات الفقهية، ولذلك فقـــد كـــان أكثـــر مرونة ومسامحة، وفي واقع الأمر أخذت كـــل الـــدول التركيـــة – الســـابقة العثمانية – بالمذهب الحنفي، وذلك منذ القراخانيين الذين أسسوا أول خانيـــة إسلامية تركية في آسيا الوسطى من القرن العاشر المـــيلادي حتـــى القـــرن الثاني عشر، ويرجح الباحث التركي خليل ايناليجك أن سبب ذلك، يكمن فـــي رغبة الحكام الأتراك بأن يحتفظوا بأكثر قدر من الحرية في سلطتهم السياسية والتنفيذية، فأصبح هذا الاختيار العامل الرئيسي الـــذي أعطـــى المجتمعـــات التركية طابعها الاجتماعي والثقافي المميز في العـــالم الإســـلامي، بـــل إن " إينالجيك " يرى أبعد من ذلك، ويربط بين الحركة الصفوية المعادية للدولـــة

---

(1) أوغلي، اكمال الدين إحسان " إشراف"، الدولـــة العثمانية . تاريخ وحضارة، نقله إلى العربية صالح سعداوي، استانبول، 1999،ج1، ص473.

العثمانية، وتجذر المذهب الحنفي في مؤسسات الدولة، باعتبارها دولة الخلافة الإسلامية[1]، في الوقت الذي تراجع تأثير التقاليد الحدودية وتزايد الوعي بالدولة العثمانية باعتبارها خلافة إسلامية .

يبدو أن الإجابة التي تبدو أكثر قبولاً للسؤال المطروح – إضافة إلى رأي اينالجيك – تتعلق بالمذهب الحنفي نفسه، و لها علاقة أيضا بظروف توسع الدولة العثمانية، فكما هو معروف فإن الدولة العثمانية اعتمدت بشكل كبير في توسعها أثناء الحروب والفتوحات الحربية، على رفعها راية الجهاد، وهذا ما نبه إليه الدكتور عقيل البريار، بأن سبب تبني أو اعتناق العثمانيين للمذهب الحنفي، أن هذا المذهب أكثر المذاهب الإسلامية حثاً على الجهاد [2] أي أن الدولة العثمانية اتخذته عاملاً استراتيجياً في سياستها الساعية إلى التوسع والفتح .

لئن كان اعتناق الدولة العثمانية للمذهب الحنفي قبل اندلاع حربها مع الدولة الصفوية بأكثر من قرنين، فإن قيام هذه الأخيرة وإعلانها المذهب الشيعي مذهباً رسمياً في إيران عشية بدء الصراع ذات العلاقة، وهذا ما جعل جل الدراسات – المتعلقة بتاريخ الدولتين وصراعهما – تؤكد على الاختلاف المذهبي باعتباره أحد أهم الأسباب لاندلاع الحرب وبدء الصراع .

تأسيساً على ذلك يختص هذا المبحث بمناقشة الاختلاف المذهبي بين الطرفين وتفنيده كونه أحد أسباب الصراع، وهذا يستدعي أولاً معرفة الظروف التي أعلن فيها المذهب الشيعي في إيران من قبل الدولة الصفوية .

---

(1) اينالجيك، خليل، الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد . م . الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002، ص275.

(2) البريار، عقيل محمد، محاضرات في تاريخ الدولة العثمانية " غير منشورة " جامعة الفاتح/ كلية الآداب، 1998.

- إعلان المذهب الشيعي في إيران :

إن الدارس لتاريخ إيران منذ الفتح الإسلامي إلى يومنا هذا، يستطيع أن يتبين في سهولة ويسر أنه سار في اتجاهين معاكسين، كل منهما يختلف عن الآخر اختلافاً بيناً . الاتجاه الأول منذ انتشار الإسلام في إيران إلى بداية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، الذي غلب عليه الفكر السني، وهو اتجاه سار فيه تاريخ إيران منذ الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الصفوية – باستثناء دولة آل بويه – أما الاتجاه الثاني فقد غلبت عليه الصبغة الشيعية، وهو اتجاه سار فيه تاريخ الإيرانيين منذ قيام الدولة الصفوية الشيعية وإعلانها المذهب الشيعي الاثني عشرى مذهباً رسمياً لإيران عام 907هـ / 1501 م[1].

كان لغلبة كل صبغة من هاتين الصبغتين أثر واضح في توجيه مظاهر النشاط في إيران وفي رسم سياستها الخارجية، وفي تحديد صلاتها بالبلاد الإسلامية وغير الإسلامية التي جاورتها أو اتصلت بها[2].

قبل الحديث عن إعلان المذهب الشيعي في إيران يجب الإشارة إلى الوضع "المذهبي " قبيل قيام الدولة الصفوية، فإذا رسُمت خريطة لإيران يظهر عليها التوزيع الجغرافي للسكان، يلاحظ أنّ أكبر تجمع سكاني شيعي يرتكز في الوسط باتجاه الشمال، أي في الحواضر الثلاث التي تضمنها دائرة مركزها (قم) ثم (الري) – طهران اليوم – شمالا و كاشان جنوباً، وأن هذه الكثافة تزداد كلما اقتربنا من مركز الدائرة [3]، وإذا تطلعنا خارج هذه الدائرة نجد تجمعات أخرى كقرية " أوة " إحدى قرى أصفان

---

(1) محمد غريب، " كيف تحولت إيران من السنة إلى الشيعة "، www. khayma. Com

(2) الموقع السابق .

(3) المهاجر، جعفر، الهجرة العاملية إلي إيران في العصر الصفوي، دار الروضة (د.ت)، ص105.

شيعية، أما ساوه المجاورة فقد كان أهلها شافعية[1] بينما كان ريفها شيعياً، في حين كان ثلثا أهالي تبريز " عاصمة الصفويين الأولى " من السنة [2].

إذا لا ينكر أن إيران كانت قبل ظهور الصفويين، تحتوي على عدد غير قليل من الشيعة، ولكن هؤلاء كانوا محصورين في مدن معينة : قم نيسابور، أما المدن الإيرانية لاسيما الكبرى منها، كأصفهان، وشيزار فكان معظم سكانها سنيين[3].

جرت مراسم فرض المذهب الشيعي في مدينة تبريز العاصمة، وتقول كتب التاريخ إن رجال الشاه إسماعيل الصفوي، وعلماء الشيعة أنفسهم، كانوا قد حذروه من خطورة الإقدام على ذلك الأمر، وقالوا له إن ثلثي سكان مدينة تبريز من أهل السنة، إنّ إعلان المذهب الشيعي قد يؤدي إلى قيامهم بالثورة، ما قد يعرض ملكه للخطر، ولكن الشاه قال لهم إنّ الإمام علي كلفه بهذه المهمة[4]، ثم أمر جنده بالتواجد في المسجد الجامع في يوم الجمعة الذي

---

(1) المستوفي، نزهة القلوب، ص68.

(2) الموردي، علي، لمحات إجماعية عن تاريخ العراق الحديث، كوفان للنشر، لندن، 1991،ج1، ص57.

(3) أدعى الشاه إسماعيل أنه أخذ إجازة من (صاحب الزمان : المهدي المنتظر) بالثورة والخروج ضد أمراء التركمان الذين كانوا يحكمون إيران وبينما كان ذات يوم مع مجموعة من رفاقه الصوفية خارجيين للصيد في منطقة تبريز، مروا بنهر، فطالبهم بالتوقف عنده، وعبرهو النهر بمفرده ودخل كهفاً.. ثم خرج متقلدا سيفاً، وأخبر رفقاه أنه شاهد في الكهف " صاحب الزمان " وانه قال له لقد حان وقت الخروج ... ووضع خنجراً في حزامه وقال له : اذهب فقد رخصتك، وادعي بعد ذلك أنه شاهد الإمام علي في المنام، وأنه حثه على القيام وإعلان الدولة الشيعية، وقال له بالحرف الواحد : أبني لا تدع القلق يشوش أفكارك .. احضر القزلباشية مع أسلحتهم الكاملة إلى المسجد و أمرهم أن يحاصروا الناس ... وإذا أبدى هؤلاء أية معارضة أثناء الخطبة باسم آل البيت، فإن الجنود ينهون الأمر ؛ " نظرية النيابة الملكية" www.Htinternrt.com

(4) مؤلف مجهول، عالم أراي صفوي، باهتمام يد الله شكري، تهران، 1350هـ . ش، ص64 ؛ فلسفي، نصر الله، تاريخ إيران وعلاقتها الخارجية في العصر الصفوي 1500-1736م، ترجمة محمد فتحي الريّس، دار الثقافة. القاهرة، 1989،ص " ك ".

حدده لإعلان المذهب رسمياً وصعد الشاه المنبر وهو شاهر سيفه وقرأ الخطبة باسم الإمام علي وأئمة الشيعة[1] ولقب بأبي المظفر، الشاه إسماعيل الهادي الوالي، وضرب السكة وكتب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله[2].

لا تخفي المصادر – سواء العربية منها أم الفارسية – القسوة و الشدة التي أظهرها الشاه إسماعيل في فرض المذهب الشيعي، وإن برر بعضهم عمله هذا من أجل توحيد إيران ووقوفها موحدة في وجه أعدائها في الخارج .

يقول صاحب شذارات الذهب " أظهر (إسماعيل الصفوي) مذهب الإلحاد والرفض وغير اعتقاد أهل العجم (الفرس) " إلى يومنا هذا "، يوصل الحنبلي قوله " وقتل العلماء وأحرق كتبهم ومصاحفهم ونبش قبور المشايخ من أهل السنة وأخرج عظامهم وأحرقها...."[3]، بينما يذكر الغزي أن سبب حرب السلطان سليم العثماني للشاه إسماعيل " إشاعته للرفض وقتله لعلماء أهل السنة وأكابرها "[4]، أما ياسين العمري، عند حديثه عن الشاه إسماعيل ودخوله تبريز وإعلان المذهب الشيعي فيكتفي بالقول " وملك عدة قلاع وعمل السيف، حتى قيل إنّ جملة ما قتل الشاه في هذه السنة (907هـ)، ألفاً وخمسمائة نفس[5]" وجاء في مخطوط للبهليكان (خُط بتاريخ 922هـ) " شاع من الرفض في مملكة الأعاجم وظهر فيها الشرك، واخترع مذهب لا يجب " ويستطرد صاحب المخطوط مشيراً إلى الشاه إسماعيل

---

(1) الشيباني، نظام الدين مجبير، شاهنشاهي صفوية، تهران، 1346هـ .ش، ص89.

(2) انظر الملحق، ص 289 .

(3) الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري، بيروت (د.ت)، ج8،ص ص 86-144.

(4) الغزي، نجم الدين أيوب، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ج 1، ص 209.

(5) العمري، ياسين خير الله، زبده الآثار الجلية في الحوادث الأرضية، مطبعة الأدب، بغداد، 1974، ص58.

الصفوي فيقول " فلقد ظل ظلالاً بعيدًا وخسر خسراناً مبنياً، ولـو أردت أن أصف جميع قبايحه وأستوفى جملة فضايحه لعجزت عن إحصائها ..وبالجملة فقد استطار الشر وظهر الفساد في البر والبحر هذا كما مضى وأقول وأسكت عجــزاً في أمور كثيرة .." [1] . ويقول العبيدي ملخصاً الأمر فـي جملـة واحدة " شاه إسماعيل هو أول من أظهر الرفض في بلاد العجم" [2].

في المقابل لا تختفي المصادر الفارسية الشدة التي عامل بهـا الشـاة إسماعيل معارضيه من أجل نشر المذهب الشيعي [3]، ويروي صاحب عـالم اراي صفوي، حديث الشاه عندما حذره علماء الشيعة من التسرع في فرض المذهب الشيعي " أنا لا أخشى أحداً، وبإذن الله تعالى لو قال واحد من الرعية حرفاً واحداً، فأسحب سيفي، ولن أترك أحـدًا يعـيش، ثـم أمـر الخطبـاء والمؤذنين بأن يتلوا تشهد الشيعة، " أشهد أن علياً ولي الله حي علـى خيـر العمل في الأذان " [4]، ويؤكد هذه الرواية المؤرخ الفارسي بستكي [5]، في حين يذكر غيات الدين مبسطاً الأمر " أستسلم الناس لهذا التصميم علـى فـرض المذهب الشيعي، ماعدا البعض الذين لقوا حتفهم على يد إسـماعيل، وبـذلك تمكن الشاه من فرض المذهب الشيعي بحد السيف " [6].

---

(1) بهليكان، يوسف بن علي بن محمد شاه، غزوة السلطان سليم لروافض الاعجـام، مخطـوط محفوظ بدار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة، ميكروفيلم 1678،ص7-8.

(2) العبيدي، إبراهيم، بن عامر، قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان، شمس الحقيقة، القاهرة، 1317هـ،ص36.

(3) يدعي مكاريوس " إن الشاه في نشره للمذهب الشيعي لم يلقي معارضة تذكر، لأن الإيرانيين عدوا هذا الانفصال عن بقية المسلمين استقلال لهم، وفضلوا مذهب القائلين بتكـريم الإمـام علي كرم الله وجهه . مكاريوس، شاهين، تاريخ إيران، دار المعارف العربيـة، 2003، ص 149.

(4) مؤلف مجهول، عالم أراي صفوي، ص 64 ؛ المصري، حسن مجيب، صلات بين العـرب والفرس والترك مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1969، ص ص 399- 400.

(5) بستكي، محمد أعظم عباسيان، برفارس، ص 36.

(6) خوندمير، غيات الدين بن همام الدين، حبيب السير في أخبار أفراد وبشر، مخطـوط بـدار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة، ميكروفلم 49051، ص 343 ؛ الشيباني، نظـام الـدين مجير، شاهنشاهي صفوية، ص91 .

لم تختلف نظرة المستشرقين عما ذهبت إليه المصادر سالفة الذكر فيما يخص الطريقة التي اتبعها الشاه إسماعيل الصفوي في فرضه مذهبه عنـــوة، بل زادوا عنها بطريقتهم التي لا تنأى عـــن التأكيـــد علـــى انقســـام العـــالم الإسلامي، وبغض المسلمين لبعضهم في المذهب، وسأكتفي بذكر بعض مـــن آراء هؤلاء المستشرقين، فهذا (Mccarthy) يقول " لقد قمع الصفويون بقسوة الإسلام السني في جميع ممتلكاتهم، وقاموا بنفي وقتل القادة الـــدينين الســـنة والاستيلاء على المؤسسات الدينية السنية، وكجزء من حملتهم لجعل المذهب الشيعي مهيمنا في إمبراطوريتهم، فإن الصفويين ســـلبوا المـــزارات الســـنية المقدسة في القرى التي سيطروا عليها[1]، ويقول دونالد ولبر) D, Wiledr)، إن إسماعيل لم يعط فرصة للمعارضة في اعتناق هذا المذهب، وإنه استعمل القوة الغاشمة في تغيير مذهب رعاياه إلى التشيع[2]، بينما اكتفـــي مورجـــان (morgan) بمبالغـــة الشاه إسماعيل بسفك دماء أهل السنـــة[3]، أمـــا جـــان لوي، وريتشارد، فيشيران إلى نقطة أخرى إلى جانب تأكيدهما علـــى الآراء السابقة، وهي أنّ الممارسات الدينية الشاه إسماعيل وأتباعـــه القـــز لبـــاش، أصبحت بعيدا جدا عن الشيعية الحقيقية، نتيجة لإدخالهم عقائد مأخوذة مـــن الشامانية القديمة المميزة لسكان البراري[4].

يوافق د.عباس إقبال على الأقوال السابقة مضيفاً ومعللا الأمـــر مـــن وجهة نظره – باعتباره مواطناً ايرانياً – فيقول " يعد الشاه إسماعيل بلا شبهة أحد أرشد وأكبر ملوك إيران، ومع أنه تخطي جادة الإنصاف والمروءة فـــي

---

(1) Mccarthy . Justin . The Ottoman Turks An Troductin History . Landan . 1923.p90.

(2) ولبر، دونالد، إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة عبـــد المـــنعم حســـنين، ط2، دار الكتـــاب المصري، القاهرة، 1985، ص86.

(3) Morgan . David . Medieval Persia 1040 - 1797 Largman . London . 1988 . p120.

(4) مانتران، روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص 210 ؛

Tapper . Richard . Frontier Nomads Of Iyan . Cambridge University . 1996 .p43.

تحميل مذهب التشيع على شعب إيران وكان أغلبهم حتى ذلك الوقت من السنة، سفك دماء كثير من الأبرياء بقسوة، الا أن سياسته في هذا السبيل أي إيجاد الوحدة المذهبية في إيران وجعل المذهب الشيعي رسميا واختيار السيرة التي سار عليها خلفاؤه، قد أفضت إلى نتيجة هامة جداً، هي حفظ المجتمع الإيراني من شر هجمات السلاطين العثمانيين "[1].

بعد هذا العرض السريع لما جاء في كتب المصادر والمراجع المختلفة، والتي أكدت بمجملها على قسوة فرض المذهب الشيعي من قبل الشاه إسماعيل، أود تسجيل ملاحظة تتعلق بظروف فرص المذهب الشيعي على الأرض التي حكمها الصفويون ، إن المصادر المعاصرة للصراع بين الدولتين العثمانية والصفوية، لم تسجل ارتداد جماعات أو جنود من جيش الصفويين عند المذهب ونزوحها للطرف الآخر : العثماني السني، من ذلك يمكن أن يستنتج ملاحظتين مهمتين يبدو أن العديد من الباحثين في هذا الموضوع قد أهمالوهما :

الأولى، وجد نوعٍ من التقبل للمذهب الشيعي لدي مجموعات كبيرة من سكان المنطقة [2]، ولعل ذلك راجع إلى نشاط الدعاة الذين أرسلهم الشاه إسماعيل للتبشير بمذهبه[3] أو بسبب الخلفية الاجتماعية والاقتصادية لسكان المنطقة التي ستضح لاحقا ضمن المبحث الثاني من هذا الفصل .

الثانية، أنّ تقبل المذهب الشيعي من جهة، وعدم الإرتداد هذا من جهة أخرى، يشير إلى عدم صحة الآراء القائلة، إنّ سبب هذا الصراع هو الاختلاف المذهبي بين الدولتين، وهذا ما تحاول هذه الدراسة تأكيده .

---

(1) اشتياني، عباس إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام، ص 646-647.
(2) الصدقي، رزق الله، تاريخ دول الإسلام، مطبعة الهلال القاهرة، 1908،ج3،ص 182.
(3) أبو الحسن علوي، عطرجي، " الصفويين والدولة العثمانية " www.d-sunnah.net

- وسائل نشر المذهب الشيعي .

تمثلت وسائل نشر المذهب الشيعي، بإرسال الشاه للمئات من الدعاة الصفويين للأناضول و يعرف الواحد منهم باسم (خليفة) [1]، وكـذلك كـان للديوان المنسوب للشاه إسماعيل نفسه تأثير واضح فـي نشـر المـذهب، إذ يصاغ في قالب يعرفه التركمان جيداً منذ العهـد الشـاماني، ويقـرأ عـادة بمصاحبة الرباب، بشكل يناسب المعتقدات الشيعية الأساسية الموجودة حـول الهالة القدسية للإمام علي والأئمة الاثني عشر وحادثة كـر بـلاء[2]، فيمـا يلاحظ تغير في وسائل نشر المذهب في عهد خليفة إسماعيل وابنـه طهمـا سب(1524-1576 (الذي اتخذ من الشعراء والعلماء وسيلة لمساعدته في نشر المذهب[3]. لقد اتخذ الشاه إسماعيل وسيلة أخرى للدعاية والإقناع النفسـي، حيث أمر بتنظيم الاحتفال بذكرى مقتل الحسين بن على، علمـا بـأن هـذا الاحتفال كان قد بدأ به البويهيون في بغداد في القران الرابع الهجري، ولكنه أهمل وتضاءل شأنه من بعدهم، فجاء الشاه إسماعيل فطوره و أضاف إليـه "مجالس التعزية " بحيث جعله قوي الأثر في القلوب، قد يصح القول إنه كان من أهم الوسائل في نشر التشيع في إيران، لأن ما فيه من مظـاهر الحـزن والبكاء، وما يصاحبه من كثرة الإعلام ودق الطبول، يؤدي إلى تغلغل العقيدة في أعماق النفس والضرب على أوتارها الكامنة[4].

---

(1) سـمير، حلبـي، " جالـديران :الطريـق إلـى المشـرق العربـي " www.ldlamonline.net

(2) أوغلي، إكمال الدين حسان، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، نقلة من التركية إلى العربيـة، صالح سعداوي، أستا نبول، 1999، ج2، ص 196 ؛ إينالجيـك، جليـل، تـاريخ الدولـة العثمانية، ص294.

(3) كوب، عبد الحسين زين، روزكاران تاريخ إيران از اغـارتا سلطنت بهلـوي، انتشـارات سخن، ط2، تهران، 1379 هـ. ش، ص666 ؛

(عصر الدولة الصفوية) WWW. Mogatel . com

(4) الموردي، علي، لمحات من تاريخ العراق الحديث، ص 59.

إضافة إلي ذلك اتخذ الشاه، سب الخلفاء الثلاثة وسيلة لامتحان الإيرانيين، فمن يسمع السب منهم يجب عليه أن يهتف قائلا " بيش بادكم باد" هذه العبارة تعني باللغة الأدربيجانية أن السامع يوافق على السب ويطلب المزيد منه أما إذا امتنع السامع عن النطق بهذه العبارة قطعت رقبته حالاً[1].

لدى إعلان المذهب الشيعي مذهباً رسمياً في إيران، كانت الكتب التي تبحث في المذهب الشيعي الاثني عشرى نادرة، الأمر الذي تعذر معه اسيتضاح أصوله وقواعده، فأخرج القاضي نصر الله الزيتوني الجزء الأول من كتاب قواعد الأحكام الإسلامية[2] لجمال الدين بن علي المصهر الحلي، وأصبح الأساس في تعاليم الشيعة[3]، ثم بدا الشاه يفكر في جلب أتباع الأسرة الصفوية من آسيا الصغرى وممتلكات الدولة العثمانية، فبعث إليهم بالرسل، بل إنه كتب إلى السلطان العثماني بايزيد الثاني (1481-1512 م) أن يأمر ولاته بالسماح لمريدي البيت الصفوي بزيارة أردبيل، المقر الروحي للصفويين، وأن لا يضعوا العراقيل أمامهم[4].

رغم هذه السياسة التي اتبعتها الدولة الصفوية في نشر المذهب الشيعي، فقد نجحت في مساعيها إلي حدٍ كبير، ساعدها على ذلك الضغط الذي كانت تتعرض له إيران وبذلك يمكن القول إن الضغط الخارجي سواء من جانب العثمانيين في الغرب أو قبائل الاوزبك في الشرق ضد الصفويين، كان عاملاً مؤثراً في توحيد إيران والتفاف شعبها حول ملوك الصفويين والمذهب

---

(1) أبو الحسن عطرجي، " الصفويون والدولة العثمانية " WWW.d-sunnah. Net

(2) بينما يذكر أكمال الدين أوغلي ان الشيعة في تلك الفترة قد اعتمدوا على كتاب " الوصية " للإمام جعفر الصادق، اوغلي، أكمال الدين إحسان، الدولة العثمانية، ج2،ص 197.

(3) جمعة، بديع، أحمد الخولى، تاريخ الصفويين وحضارتهم، دار الرائد العربي،(د .م)، 1976، ج1، ص 56 ؛ الخولي، أحمد، الدولة الصفوية، ص 52.

(4) الشيباني، نظام الدين مجير، في تشكيل شاهنشاهي صفوية، ص 91.

الشيعي[1]، وأصبحت الكتلة الشيعية تفصل بين السنيين في وسط آسيا والهند وأفغانستان والسنيين في تركيا والشام وغرب العراق ومصر[2].

تأويل الاختلاف المذهبي للصراع :

في مطلع القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي كانت الدولة العثمانية المتمركزة في القسطنطينية، ومعظم أراضي الأناضول إضافة إلى سيطرتها على معظم الأراضي البلقانية، قد تحولت توسعاتها الحربية من الغرب في أوروبا إلى الشرق (الفارسي والعربي) وكانت تتخذ المذهب السني الحنفي مذهبا رسمياً للدولة، دون أن تسجل المصادر تعصبها له، وإن ميزته وقدمته على المذاهب السنية الأخرى (الحنبلي، الشافعي، المالكي) . في المقابل كانت الدولة الصفوية الناشئة في إيران– شرق الدولة العثمانية – قد مدت نفوذها على الأراضي الإيرانية وشمال ووسط العراق " الموصل وبغداد "، وديار بكر، ناشرةً المذهب الشيعي.

إذا كانت الدولتان العثمانية والصفوية متجاورتين وتقسمان الحدود، كل منها تعتنق مذهب مغاير لمذهب الأخرى، بذلك ساد الاعتقاد لدى العديد من المؤرخين، أن الصراع الصفوي العثماني، هو صراع " شيعي – سني " توقفا عند العديد من المظاهر الموحية بهذا الاعتقاد، كمحاولات الانتقام التي رافقت الحرب والمعارك تجاه السكان الشيعة في أماكن تواجدهم، أو السكان السنة في أماكن تمركزهم، وموجات التهجير والاقتلاع المتبادلة، ثم شيوع فتاوى التكفير التي كانت تصدر عن الفقهاء، وأشكال التعبئة المذهبية التي لجأ إليها الجانبان .

---

(1) روملو، حسن، احسن التواريخ، بسعى وتصحيح جارلسن نارمن، تهران، 1349هـ .ش، 309؛ بدوي، جمال، الشيعة قادمون، القاهرة، 1988،ص 67.

(2) " الصراعات الإقليمية ومحاولات الاستقلال " العصر الصفوي " www. mogtel . com

بيد أن الرؤية المقترحة في هذه الدراسة تنحو منحى يختلف كلياً عن هذا الرأي بل وتنفي السبب المذهبي للصراع، مدعمةً ذلك بأدلة وأحداث تاريخية ستطرح تباعاً، ويبدو أن الطريق الأمثل لذلك يتمثل أولاً البحث في صفحات التاريخ عن السبب الذي جعل الدولتين المتحاربتين تتستر بالشعار المذهبي، وتدعي أن حربها من أجل الدين الإسلامي ونصرته، أي رفع راية الجهاد لمحاربة أعداء الدين، ثانياً للتأكيد على بطلان الادعاء المذهبي للصراع سيتم ذكر حروب الدولتين " العثمانية والصفوية " مع دول تتوافق معهما في نفس المذهب .

في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، عندما تمركز العثمانيون في غاليبولي (سنة 1354م) واحتلوا أنقره، وبدأ التوسع العثماني في المناطق الداخلية الإسلامية، وهذا ما أوقع العثمانيين في خلاف مع أميري سيواسى وكرمان[1]، اللذين التقى حولهما أمراء الغزاة المسلمين في الأناضول – إمارة توقات بزعامة الغازي برهان الدين، إمارة اسفنديار قسطموني أميرها الغازي بايزيد – الذين أخافهم التوسع العثماني، إلا إن مراد الأول (1359-1389) هاجم قونيه، ولم يستطع أن تقضي على إمارة كرمان، لأن الأمر كان يتعلق بمحاربة العثمانيين لإمارات مسلمة .

بيد إن أبنه وخلفته بايزيد الأول يلدرم [2] (1389-1402) عزم على القضاء على هذه الإمارات الإسلامية، وتم له ذلك بمساعدة فرق بلقانية، غير أن حرب بايزيد أدى إلى أزمة في الدولة العثمانية، كادت أن تقضي عليها[3] لماذا ؟ .

---

(1) المحامي، محمد فريدبك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص48-49 (بتصرف)

(2) لقب بايزيد الاول بيلدرم أي البرق أو الصاعقة، لخفته ومهارته في القتال، عامر، محمد علي، الدولة العثمانية تاريخ ووثائق، دار الرحاب، دمشق،2001، ص134.

(3) عبد الرحيم، مصطفى، العرب في ظل الرابطة العثمانية، العلاقات العربية التركية من منظور عربي، معهد الدراسات والبحوث العربية، القاهرة، 1991، ج1، ص130 ؛ رافق، عبد الكريم، العرب والعثمانيون 1516 – 1916، مطابع ألف با، دمشق، 1974، ص 38.

إن الإطاحة بأمراء هذه الإمارات الذين كانوا قبل كـل شـئ مسـلمين واستخدامه – أي يـزيد – قوات غير مسلمة، أثار عليه نقمة الغزاة والعلماء لأن الدولـة كانت، كما هو معروف ترفع راية الجهاد فـي توسـعها ضـد الأراضي البيزنطية، وفي محاولة منه ليسبغ على عمله في القضاء على هذه الإمارات المسلمة صفة شرعية، فإنه أرسل في عام 1394 م يطلـب مـن الخليفة العباسي في القاهرة منحه لقب سلطان الروم[1]، ثم قام بايزيد بإرسال جيشٍ لحصار القسطنطينية المنيعة، ليؤكد للعالم الإسلامي أنه لا يزال زعـيم الغزاة المسلمين، في حين لجأ أمراء الغزاة الذين هربوا من وجه العثمـانيين في الأناضول إلى تيمورلنك، وشجعوه على مهاجمـة العثمـانيين[2]، فقـام تيمورلنك بالزحف نحو أنقرة وهزم العثمانيين وأسر سـلطانهم بايزيـد فـي 1402 م[3].

في بداية القرن السادس عشر الميلادي / العاشـر الهجـري، عنـدما أرادت الدولة العثمانية أن تدخل في حرب مع الدولة الصوفية المسـلمة فـي إيران لأسباب اقتصادية وسياسية ستذكر لاحقاً، كان عليها أن تسـتفيد مـن الخطأ الذي وقع فيه بايزيد الأول إذ أن الإجراءات التي قام بها آنذاك لـدفع الخطر عن إمارته لم تعد تجدي، فكان على الدولة أن تجد مبرراً وسبباً مقنعاً للدخول في حرب مع الصفويين .

حيث إن الدولة العثمانية دولة إسلامية جهادية قائمة على الفتح و الغزو أي أنها تحمل لواء الجهاد من أجل نشر الإسلام والـدفاع عـن المسـلمين وعندما تفكر في تحول جبهة فتوحاتها ناحية المشرق الإسـلامي " الفارسـي

---

(1) السيد، محمد، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، مؤسسة شـباب الجامعـة، الإسـكندرية، 2000، ص22.

(2) رافق، عبد الكريم، العرب و العثمانيين، ص38.

(3) الحموي، أحمد بن محمد، فضائل سلاطين بن عثمان، تحقيق محسـن سـليم، دار الكتـاب الجامعي، القاهرة، 1993، ص 25– 26.

والعربي " فإن هذا يتنافي مع فلسفة أو عقيدة الدولة، فكان لزاما على ساسة الحكم العثمانيين إقناع " الرأي العام العثماني "، من غرض التوجه ناحية المشرق الإسلامي، لذا فإن الدولة العثمانية لم تكن لتقدم على قتال الصفويين دون استصدار فتوى [1] دينية، تعطى للسلطان الشرعية والحق عند دخوله الحرب على أنه جهاد في سبيل الله.

وبناء على ذلك أصدرت الدولة العثمانية عبر أعلى مرجع ديني في الدولة أي شيخ الإسلام حمزة كوريز (Hamza Saru Gorez) [2]، فتوى دينية تجيز ذبح الصفويين حتى آخر رجل واسترقاق نسائهم وأطفالهم، ومن هنا فإن هذه الفتوى تضفي الشرعية على دخول الحرب ضد الصفويين[3] ففي هذه الفتوى نُعت القزلباش بالباغيين والكفرة، كما لم يُعترف بهم أتباعاً لأحد المذاهب الشيعية حتى كمسلمين، ثم تضمنت الفتوى أمثلة على كفرهم وضلالهم وأفردت الحجج الشرعية لقتالهم، بل واعتبرت القضاء عليهم أكثر ضرورة وإلحاحاً من القيام بأي عمل آخر[4]، وكمثال على ذلك قتال أبي بكر للمرتدين بعد وفاة الرسول عليه السلام، مؤجلاً الفتوحات الإسلامية في الشام إلى أن ينتهي من القضاء عليهم[5].

---

(1) Alloche . Adel, op. cit . p. 110; Repp . r . c . The Mafti Of Istambul . Oxford. 1986. p76.

(2) يوجد نص هذه الفتوة في ملحق الرسالة، الوثيقة الأولى، ص 260: 262 .

(3) الحموي، احمد بن محمد فضائل سلاطين بن عثمان، ص 34؛ الدجيلي، حسن، العلاقة العراقية الإيرانية خلال خمسة قرون، ط3، دار الأضواء، بيروت، 1991، ص23 ؛ مانتران، روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ص209 ؛ عبد المنعم، صبحي، الشرق الإسلامي، العربي، القاهرة، (د.ت)، ص 98؛ عبدَ المنعم الجميعي " دور الدين في التوجه السياسي للدولة العثمانية " مجلة تاريخ العرب، العدد20، السنة 1422هـ، 2001، ص ؛ حسنين، عبد المنعم، ماذا بعد البصرة ؟ المكتب العربي الإسلامي، القاهرة 1988، ص23 مغنية، محمد جواد، الشيعة والحاكمون، ط2، المكتبة الأهلية، بيروت، 1962

(4) تضيف الرواية الصفوية أن الفتوى تضمنت أيضا " من يقتل شيعيا يساوي قتل سبعين كافراً مسيحيا " مهدوي، عبد الرضا هوشنك، تاريخ روابط خارجي إيران، ص 19.

(5) العربي، توفيق حسن، الصراع العثماني الصفوي 1520-1622 على ضوء المصادر والوثائق التركية، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة 1993، ص12. Alloche . Adel. op.cit.p112

تتضح هذه السياسة جلياً ، من خلال الرسائل التي بعثها السلطان العثماني سليم الأول (1512- 1520م) - قبل معركة جالديران - للشاه إسماعيل الصفوي

تتضمن نصيحة للصفويين بترك الرفض " التشيع " والرجوع إلى الدين الحنيف، وإلا اضطر العثمانيون للحرب وإجبارهم بقوة السلاح للعودة إلى الإسلام، فقد جاء في رسالة [1] بعثها السلطان سليم إلى الشاه إسماعيل (920 هـ)، " فقد حق على كافة المسلمين أن يقوموا بالواجب المقدس القاضي عليهم بمحاربتك دفاعاً عن حرمة الإسلام وذباً عن بيضة شريعة سيد الأنام واستئصالا لشافة الكفر والفساد، وقطعاً لدابر الإلحاد الذي نشرته بين العباد، وإذ قد أفتى العلماء الذين بين ظهرانينا بوجوب قتلك ومقاتلة قومك، فقد حق علينا أن ننشط لحربك، ونُخلص الناس من شرك ... " [2].

في ذات السياق استفادت الدولة العثمانية من الأعمال التي قام بها الصفويون سواء في إيران أم في العراق، بإجبارهم الأهالي على اعتناق المذهب الشيعي بالقوة[3]، حيث اتخذ العثمانيون من ذلك حجة على محاربتهم ورفع الظلم عن رعايا الصفويين وكان شعار العثمانيين " نحن مذهب الحق

---

(1) توجد نسخة من هذه الرسالة في ملحق الرسالة، الوثيقة الأولى، ص 243 - 245، وترجمة لهذه الرسالة، ص 263 .

(2) كان السلطان بايزيد والد السلطان سليم قد بعث برسالة مماثلة سنة 917هـ، إلى الشاه إسماعيل جاء فيها " أيها الشاب قليل التجربة اسمع نصيحة من والد، ولا ترق دم المسلمين، من اجل قبول مذهبك الجديد، ولا تفعل الوعيد القائل " من قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالداً فيها " واجعل طريقة أجدادك العظام أنار الله برهانهم منهجا لك، الخولي، احمد، الدولة الصفوية، ص73 .

(3) في هذا الشان استفادت الدولة العثمانية من آراء علمائها الدينيين في إضفاء الشرعية على سياستها، في مؤلفاتهم الدينية كاهتمامها بمؤلفات العالم والفقه العثماني ابن كمال، الذي حاول في مؤلفاته أن يستخدم الأدلة الدينية ليثبت شرعية الجهاد ضد الشيعة ؛ اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية، ص 164.

مذهب السنة ضد الشيعة الكفار " على حد قول الباحث الروسي بيكولوسايا[1] وليس هناك ما يؤيد رأي محمد فروخ، بان الدولة العثمانية اتجهت للمشرق العربي حيث استنجد بها أهل العراق السنيون الدين كانوا يعانون من نشر المذهب الشيعي[2].

لئن كانت هذه وجهة النظر العثمانية في تعبئة " الرأي العام العثماني " في خوض الحرب ضد صفوي إيران، فإن الطرح الصفوي لهذه التهيئة لم يختلف كثيراً عن العثمانيين، وان سلك طريقا آخر .

قبل إعلان قيام الدولة الصفوية (1501 م) رفع أجداد الشاه إسماعيل راية الجهاد ضد مسيحي جورجيا، حيث قام الشيخ جنيد بعمليات ناجحة بين سنتي (1483- 1487 م) في تلك المنطقة[3]، فكان لهذه الراية تأثير فعال في التأسيس لبدايات التوسع الصفوي، ونظراً للحماس الذي شحن الشاه إسماعيل به أتباعه ومؤيديه، وبخاصة شخصيته الكارزمية [4] واعتقد بعضهم بأنه تجسيد الله على الأرض[5]، لم يكن بحاجة إلى إصدار فتاوى دينية لتدعيم موقفه في حرب العثمانيين، لاسيما وأن القزلباش كان ولاؤهم في المقام الأول لأفراد الأسرة الصفوية[6] ثم للمذهب الشيعي[7] إضافة إلى

(1) فروخ، محمد، الأمة العربية على طريق وحدة الهدف، دار الفكر العربي، (د.ت)، ص13.

(2) بيكولو سايا . ن . و، تاريخ أيران از دوران باستان تاپايان سدة هيجدهم ميلادي، نقلة إلى الفارسية كريم كشاوز، ط4، انتشارات بسسام، تهران، 1954، ص475.

(3) The Milddle East Intelli Gence Hand Books . p264.

(4) مانتران، روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ص 164. ط

(5) Tapper . Richard , op. cit, p42.

(6) ذكر تاجر أيصالي زار تبريز سنة 924هـ-1518 م، أن الناس يحبون الصوفي " الشاه إسماعيل" ويعتبرونه مثل الله، وخاصة جنوده فكثير منهم يخوض المعارك بدون سلاح معتقدين أن سيدهم إسماعيل يحفظهم في الحرب عبد المؤمن، محمد سعيد، الظواهر الأدبية في العصر الصفوي، الأنجلو مصرية، القاهرة، 1978، ص43.

(7) العربي، توفيقهم، الصراع العثماني الصفوي على ضوء المصادر والوثائق التركية، ص 7.

ذلك فإن الأسرة الصفوية رافق صعودها في إيران شعور عاطفي قوي، بسبب حب الإيرانيين لآل علي[1] فإسماعيل الصفوي كان قد أعلن أنه سليل الإمام السابع عند الشيعة الإثني عشرية (موسى الكاظم) [2] . علاوة على ذلك فإن القزلباس يطلقون على أنفسهم أهل الحق وهو اسم من أسماء الله، في الوقت نفسه فإن كلمة الحق تساوي بحساب الجمل "108 " وإذا تم حساب نقطتي القاف يصبح مجموعها "110"، وكذلك كلمة علي تساوي بحساب الجمل أيضا " 110 " وبذلك يمكن أن يقال " أهل علي " بدلاً من أهل الحق[3]، بناءً على ذلك فإن حربهم مع العثمانيين هي حرب أهل الحق مع أهل الباطل حسب اعتقادهم .

إن عدم الحصول على أي فتوى، يمكن أن تكون قد أصدرت من قبل فقهاء الشيعة الصفويين في إطار حربهم مع العثمانيين، تجعل الباحث يعتقد أن دور هؤلاء الفقهاء والعلماء في إيران قد تركز على نشر المذهب في الأراضي التي تتم سيطرة الدولة الصفوية عليها[4]، مثلما كان الأمر مع أشهر علماء الشيعة في العصر الصفوي نور الدين الكركي[5]، الذي كلفه الشاه إسماعيل مع مجموعة من علماء النجف بنشر المذهب الشيعي الاثنى عشري في المناطق الشرقية التي فتحها الشاه سنة 1510 م[6].

---

(1) Sykes , Percy , Hisory Of Persia , Macmillan And Co . Limited . 1951 . Vol . p72

(2) العربي، توفيق حسن، الصراع العثماني الصفوي على ضوء المصادر و الوثائق التركية، ص 10.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) WWW. Khayma.com

(5) صاحب كتاب اللجاج في تحقيق حل الخراج، وكتاب صلاة الجمعة، توفي سنة 940هـ، وقيل أنه مات مسموما من قبل بعض أمراء القزلباش، الذين لم يوافقوا على تعيينه من قبل الشاه طهماسب، نائباً عن الإمام المهدي، وشيخاً للإسلام، للمزيد انظر :" نظرية : النيابة الملكية "WWW.bt. intente . com

(6) كوثراني، وجيه، الفقيه والسلطان، دراسة في تجربتين تاريخيين : العثمانية والصفوية – القاجارية، دار راشد، بيروت، 1989، ص 143.

إن السنيين قد تغير أو تقلل من حماس أتباع ومريدي الأسرة الصفوية الحاكمة، لاسيما أن حروبهم مع العثمانيين استمرت أكثر من قرنين، فإنها تحتاج بين الفينة والأخرى إلى مبررات وأساليب تقوى من عزيمة أتباعها، ولعل أهم هذه الأساليب الفتوة الصفوية[1]، حيث أعلنوا أن الجهاد – ضد العثمانيين والأوزبك السنة – فريضة على كل فرد في الدولة، وأن الفتوة هي الوسيلة الوحيدة للانتصار على العدو، و أوجدوا المعسكرات في طوال إيران وعرضها، لتدريب الشباب على الفتوة[2].

– حروب الدولتين مع دول تتوافق معهما في المذهب :

في إطار تفنيد الادعاءات المذهبية لحقيقة الصراع الصفوي العثماني، يمكن أن يعرض الباحث بشيء من الإيجاز الحروب التي خاضتها الدولتان مع الدول أخرى تتوافق معهما في المذهب نفسه، وفي حقيقة الأمر لا يقصد من ذكر هذه الحروب أنها دليلُ قاطعُ على أن الاختلاف المذهبي لم يكن سبباً من أسباب الصراع الصفوي العثماني، بل إن المقصد من ذلك يكمن في الطريقة التي تمت بها هذه الحروب أو الحجج التي أعلنت كسبباً لها و لتكن البداية بحرب الدولة الصفوية لإمارة آل المشعشع .

---

(1) الفتوة، لفظ أستعمل للدلالة على مجموعة من الصفات أهمها الشباب، القوة، الكرم، الشجاعة، الوفاء، الفصاحة، الإيثار، وغير ذلك من الصفات الحميدة، وقد وردت في القران الكريم في أكثر من مرة " إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وبطنا على قلوبهم " سورة الكهف. آية 13، " قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم " سورة الأنبياء، آية 60، لكن الصفويين جعلوها شيعية، و أعلنوا إن كلمة " فتى " نزلت من السماء على علي بن أبي طالب، بلسان جبريل في غزوة بدر الكبرى، للاستزادة، عبد المؤمن، محمد سعيد، الأدب في العصر الصفوي، ص ص 1-71.

(2) حسنين، عبد المنعم محمد، ماذا بعد البصرة، ص 23.

هي إمارة عربية شيعية المذهب، قامت في إقليم عربستان [1]، أسسها محمد ابن فلاح المعروف بالمشعشع سنة (820 هـ - 1440 م)، في أواسط، وقد دانت لها أغلب قبائل المنطقة ووصل نفوذها في فترات قوتها إلى بغداد[2]، والبصرة وسواحل الخليج العربي إضافة إلى القبائل البنحتارية ولورستان، وضرب آل المشعشع النقود باسمهم في تستر[3].

وفي عام 1508 م بعد فراغ الشاه إسماعيل من بغداد توجه إلى آل المشعشع وخاض حرباً ضروساً مع أميرها على بن محسن و أخيه أيوب، وتقول الرواية الصفوية " عندما هاجم الشاه إسماعيل بغداد توجه صوب الحويزة ولما كان علي من المنتمين إلى المذهب الشيعي، فإنه لم يخف هجوم الشاه، واستقبله باطمئنان تام مبدياً له الإخلاص والتواضع، ولما كان الشاه متأكداً من خروجه عن الدين، أمر بقتله، وقتل أخيه، وجميع رو ساء المشعشعين "[4].

هكذا لم يراع الصفويون الإمارة المشعشية التي تعتنق مذهبهم، بل ساروا إلى ضربها وإزاحتها عن طريقهم، علماً أن هذه الأمارة قد خلت في حروب مع العثمانيين عندما كانت علاقتهم مع الدولة الصفوية جيدة[5]، وفي الوقت الذي قامت فيه الدولة الصفوية بالقضاء على الدولة البايندارية (أق

---

(1) إقليم عربستان يقع على الخليج العربي بين جبال البختيارية شمالاً التي تفصله عن باقي الأراضي الفارسية، وبين شط العرب من الغرب، ويعرف باسمه الفارسي " ولاية خوزستان " مساحة 185ألف كم2، وفيه عدة مدن رئيسة وهي عيدان، المحمرة، الاحواز، والحويزة " عربستان ".www.Mokatle. Com

(2) عزيزي، يوسف، القبائل العربية في خوزستان، عربه عن الفارسية جابر أحمد، دار الكنوز الأدبية، بيروت، 1996، ص 98 ؛ كوب، عبد الحسين رزين، روزكاران تاريخ إيران أز اغازتا سقوط سلطنت بهلوي، ص 668.

(3) الحلو، علي نعمة، الاحواز " عربستان "، بغداد، (د.ت)، ص 167.

(4) مؤلف مجهول، تاريخ عربستان خلال خمسمائة عام، تاريخ المشعشعين في عربستان، عربه عن الفارسية، سعيد السيد الباجوري، دار الثقافة، مصر، 1984، ص 60- 62 .

(5) " تاريخ الاحواز " www.Al - Ahwaz . com

قوينلو) أي الخروف الأبيض، باستيلاء الشاه إسماعيل على بغداد سنة 1508م[1].

إن دولة اق قوينلو السنية – قبل أن يقضي عليها الصفويون – كانت قد دخلت في حروب طويلة مع الدولة العثمانية خاصة في الفترة (1463-1474م) في عهد سلطانها أوزون حسن، حيث اعتبره " نيقولا فاتان " الخصم الأول للسلطان العثماني محمد الثاني (1451-1481م)، ففي صيف 1472 م غزت قوات أق قونيلو الأراضي في قرمان، وتتحقق بعض الانتصارات، وفي أكتوبر من نفس السنة غزت قوات أق قوينلو " قونيه " العثمانية، وأجبرت الأمير مصطفي بن السلطان محمد الثاني إلى الانسحاب منها بعد أن قتل من جيشه اثني عشر ألف جندي[2]، نتيجة لهذا الخطر الذي يتهدد الدولة العثمانية أمر السلطان محمد الثاني بحشد الجيوش وتوزيع مقدمات رواتب وهدايا على الجنود، وعاد الأمير مصطفي وهزم قوات الأق قونيلو في قرمان، وفي أغسطس 1473 م، تكبدت قوات الاق قوينلو هزيمة ساحقة في (اوتلوكبيلي) قرب باشكت، ما جعل أوزن حسن يدخل في مفاوضات مع البنادقة أعداء الدولة العثمانية[3].

النموذج الأخير لهذه الحروب، حرب الدولة العثمانية مع دولة المماليك في " مصر والشام " السنية أيضا، ولم يحتج العثمانيون إلاّ إلى معركتين فاصلتين من أجل القضاء عليها، والسيطرة على ممتلكاتها في مصر والشام والحجاز، الأولى في أغسطس 1516 م، في (مرج دابق)، والثانية

---

(1) الورد، باقر أمين، حوادث بغداد في اثني عشر قرناً، مكتبة النهضة، بغداد، 1989، ص 180؛ الحسني، عبد الرزاق، عبد العزيز الدروي، بغداد، دار الكتاب اللبناني، 1984، ص125.

(2) الخولى، أحمد، الدولة الصفوية، ص 17؛ السيد، محمد، تاريخ الدولة العثمانية، ص 99-100.

(3) Mccarthy , N . Op.Cit . p81.

في (الريدانية) 1517 م[1]، لتطـوي بذلك صفحة دولة المماليك وتنتقل من مسرح التاريخ إلى كتبه .

إن المتتبع لتاريخ الدولـة الصفويـة، يلاحظ أنها دخلت في حـروب مستمرة – في الوقت إلى تحارب فيه العثمانيين – مع دولة الأوزبـك في الشرق منذ قيامها حتى سقوط، علماً بان الأوزبـك كـانوا علـى المـذهب السني[2]، بيد أن الغريب في الأمر أن هذه الحروب (الصفوية الاوزبكية) لم يتناولها الباحثون من ناحية مذهبية كما حـدث لحـروب العثمـانيين مـع الصفويين وهذا موضوع جدير بالدراسة .

ثمة نقطة في غاية الأهمية تكونت نتيجـة الفهـم الخـاطئ لمسـببات الصراع الصفوي العثماني، وبخاصة التأكيـد علـى الاخـتلاف المـذهبي للصراع، وهي إضفاء العامل القومي على الصراع، بوصفه صـراعاً بـين دولتين قوميتين[3]، يقف فيه الأتراك العثمانيون ضد الإيرانيين الصفويين، إن هذا التصور لا يمكنه الصمود لفحص منطقي دقيق، فالشاه إسماعيل الصفوي هو سليل لأسرة تركية – ينسب إلى أسرة كردية في بعض الأحيان[4] – بينما جهازه الإداري يتألف من الكتبة الإداريين المجربين الموروثين من الولايـات

---

(1) سيار، الجميل، بقايا وجذور وتكوين العرب الحديث، ص 117-121؛ الجميعي، عبد المنعم إبراهيم، العثمانيون في الميزان الإسلامي والعربي، القاهرة، 1995،ص 37-38.

(2) بييرنيا، حسن، عباس إقبال، زاغارتا أنقراض قارجارية، انتشارات كتابة جانة خيـام، ط6، تهران 1730هـ . ش، ص 665.

(3) أنيس، محمد، تاريخ الشرق الأوسط الحديث 1516-1914، دار العلم العربـي، القـاهرة " د.ت "، ص ص 34؛ لويد سيتون، الرافدين نقلة إلى العربية طه بـاقر، بشـير فرنسـيس، مطبعة جامعة أكسفورد،(د.ت)، ص239

(4) الشيخ، رأفت، محمد رفعت، أسيا في التاريخ الحديث والمعاصر، عين للدراسـات، 2001، ص 246؛ نوار عبد العزيز، وآخرون، العلاقات العربية – الإيرانية، الاتجاهـات الراهنـة وأفاق المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1996، ص111 ؛ " الكرديين الماضي الحاضر " : www.Alayislam.com

التركية السابقة التابعة لإيران[1]، إضافة إلى إن جزءاً من الجيش العثماني الذي انهزم في معركة أنقرة 1402 م، أمام تيمورلنك، صار أحد الفصائل الرئيسية للقزلباس منذ عهد الشيخ الصفوي علي بن صدر الدين موسى (1392- 1448 م) [2].

إن الملاحظات السابقة التي استهدفت وقائع وأحداث تاريخية، إنما تشير إلى أن الاختلافات المذهبية [3]، لم تكن إلا وقوداً للمعارك أو مسرح التعبئة لها في الصراع الصفوي العثماني، ولذا وجب البحث عن أسباب مقنعة، توضح وتفسر سبب هذا الصراع .

إن دراسة للظروف الاجتماعية و الاقتصادية لمنطقة الصراع، يمكن أن تعطي تفسيرا اكثر قبولاً، مع التشديد على تداخل وتكامل كافة الأسباب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الصراع، وإن الفصل بينهما ما هو إلا فصل لضرورات البحث والدراسة ليس إلا .

---

(1) ما نتران، روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ص 210.

(2) صباح، عباس إسماعيل، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية الحرب والسلم بين العثمانيين و الصفويين، دار النفائس، بيروت، 1999،ص40.

(3) أن حدثاً تاريخياً جديراً بالذكر – وأن لم يكن ضمن الفترة الزمنية للدراسة – قد يقلل من أهمية الأختلاف المذهبي في الصراع، فبعد نهاية الدولة الصفوية، سنة 1722م، قامت على أنقاضها، دولة أخرى في إيران هي الدولة الافشارية، ورغم اعتناق زعيمها للمذهب السني دخلت في حروب مع العثمانيين، توصف في بعض الأحيان بأنها أقوي من الحروب العثمانية الصفوية قدم أثناءها نادر شاه حلاً " للمسألة السنية – الشيعية " لوحدة العالم الإسلامي، وكان هذا الحل يقضي بأن يقبل العثمانيون الأمامية الاثني عشر تحت أسم الجعفرية، كأحد المذاهب الخمسة للإسلام إلى جانب " الحنفية، المالكية، الشافعية، الحنبلية " وقدمت اقتراحات عملية للسلطان العثماني في هذا الشأن، وهي أن يخص للأمامية الجعفرية محراباً في مسجد مكة، وأن يسمح لهم بإيفاد أمير وقافلة حج عبر بلاد الشام، رفض العثمانيون هذا الحل لخشيتهم أن يصبح نادر شاه الزعيم المحقق لوحدة العالم الإسلامي، لذلك لم يتأخر السلطان العثماني بالرفض مرتكزاً بذلك إلى فتوى شيخ الإسلام . كوثراني، وجيه، الفقيه والسلطان، ص 58 – 59؛ نوار عبد العزيز، الشعوب الإسلامية، ص 301-313 ؛ " العصر الافشاري WWW. Mogatel. Com . "

المبحث الثاني

الأسباب الاجتماعية والاقتصادية للصراع الصفوي العثماني

- **تحركات البدو على الحدود والأزمة الاجتماعية الاقتصادية العثمانية.**
- **طرق التجارة .**
- **التنافس من أجل احتكار تجارة الحرير .**
- **توظيف الروابط الاقتصادية .**

إن التعبئة الفكرية والروحية تندرج في العامل الأيديولوجي وهو إن كان يلعب في بعض الأحيان والظروف دوراً حاسماً في معركة أو انتفاضة، فإنه يبقى جزءاً من مشروع كبير يقوم على عوامل ومقومات، تحتل فيها العناصر الاستراتيجية والجغرافية – السياسية والعناصر الاجتماعية والاقتصادية حيزاً لا يستهان به، وإن لم يعلن عنه، وغالباً ما يطمر هذا الحيز " الاجتماعي والاقتصادي " تحت ركام من الادعاءات التي تصدرها مؤسسات وأجهزة الدولة .

ولم تكن الدولتان العثمانية والصفوية في صراعها بعيدتين عن هذا التصور، وإن فترة هذا الصراع " القرن السادس عشر الميلادي / العاشر الهجري " تكشف عن أسباب اجتماعية واقتصادية، أدت دوراً فاعلاً في قرارات الحرب لدى كل طرف : تأسيسا على ذلك يناقش هذا المبحث مجموعة من النقاط، في ظاهرها تعطي فكرة عامة عن أهمية منطقة الصراع، وفي باطنها تعد أسباباً حقيقة لاندلاع الصراع بين الدولتين .

أولاً : تحركات البدو على الحدود و الأزمة الاجتماعية الاقتصادية العثمانية.

يمكن ربط الأحداث السابقة لبداية الصراع الصفوي العثماني بمجموعة من الأحداث، جرت برمتها فوق أرضية اقتصادية و اجتماعية، كان لها بالغ الأثر في تحول ولاء مجموعات كبيرة من سكان المناطق الحدودية لصالح أحد الطرفين .

إن مجموعات التركمان " البدو " التي اعتنقت الإسلام في آسيا الوسطى، ثم هاجرت إلى الأناضول، وحافظت على نفس بنائها هناك في عهد السلاجقة، كما حافظت على إسلامها وظلت متمسكة بتركيبتها الاجتماعية والدينية منذ القرن العاشر الميلادي، دون تغيير يذكر، حتى بلغ بها القرن السادس عشر الميلادي / العاشر الهجري مستقلة في كثير من الأحيان عن سيطرة الدولة، وكانت مرحلة النظام المركزي الصارم في الحكم العثماني، قد بدأت في النصف الثاني من القرن الخامس عشر – خاصة في عهد محمد الثاني "1451م– 1481 م" فاضطرت الدولة هذه المجموعات في نهاية المطاف إلى حياة الاستقرار بغية السيطرة وسهولة فرض الضرائب عليها، فتعرضت أثناء ذلك لضغط واضطهاد شديد(1).

كل ذلك كان يحدث في ظل حدود مشتركة بين الدولتين العثمانية والصفوية، سيما بعد أن قضت الأخيرة على الدول التركمانية دولة القره قوينلو " الخروف الأسود "، والإق قوينلو " الخروف الأبيض " في الوقت الذي دب فيه الضعف إلى دولة المماليك، ولم تكن الحدود مضبوطة بين الدولتين، و بخاصة أن المناطق الحدودية تضم عناصر مختلفة من أكراد و تركمان وعرب وأتراك(2) . كذلك لم يكن مفهوم الحدود واضحاً في أذهان

---

(1) أوغلي، أكمال الدين إحسان، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج2، ص 195" بتصرف" ؛ Alloche . Adel, op. cit , p. 104.

(2) أنيس، محمد، تاريخ المشرق الأوسط، ص 35 .

شيوخ القبائل، و إنما كانت القبائل تنتقل إلى المشاني، حتى لو كانت داخل أراضى الدولة العثمانية، أو المصايف حتى لو كانت داخل إيران[1].

وقد شجعت الإجراءات الإدارية المرنة التي اتخذها بايزيد الثاني (1481-1512 م) العناصر الساخطة في الأناضول (ملاك الأراضي من العائلات العريقة والجنود السابقين الذين لم يعد لهم مصدر للدخل، وبخاصة القبائل الرحل) على التمرد ضد الحكم العثماني[2]. ومن ناحية أخرى كانت المجموعات القوية للتركمان في سهول الأناضول الأوسط وجبال طوروس ومرتفعات طوقات وسيواس، تقاوم باستمرار النزعة المركزية للإدارة العثمانية، فقد أرادت الدولة من ناحيتها – وذلك لأجل حماية السكان المحليين وحماية المحاصيل الزراعية – أن تسيطر على هذه القبائل بتسجيلها في الدفاتر المحلية لكي تدفع الضرائب باستمرار، فالنظام العثماني لم يكن ينسجم مع الاقتصاد المتنقل ومع القانون العرفي العشائري، وهكذا اتجه هؤلاء بطموحاتهم الاجتماعية والاقتصادية إلى الطريقة الصفوية بإيران.

في هذا الأثناء كانت الدعاية الصفوية على أشدها في استقطاب أنصارها وعاملة في نفس الوقت على خلخلة الدولة العثمانية من الداخل، فاختارت الدولة الصفوية هذه التجمعات الغاضبة على دولتها لتكون هدفاً لدعايتها، فعملت على استقطابها .

وبعبارة أخرى إن استقطاب هذه التجمعات كان نتيجة المتاعب الإدارية والاجتماعية والاقتصادية التي عاشتها في الأناضول منذ القرن الخامس عشر إلى السادس عشر الميلادي، وهيَّأتْها لقبول الدعاية الصفوية[3]، فكانت

---

(1) جمعة، بديع محمد، العلاقات العربية الإيرانية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1993، ص 49 انيالجيك، أيضًا خليل، الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص 51 .

(2) المرجع نفسه، ص 52 .

(3)) يلماز، أوزو تونا، الدولة العثمانية، ص 203 ؛

Tapper . Morgan . David . op. cit . p116 ; Richard . op. cit . p 44

الاستفادة الصفوية من هؤلاء كبيرة، فكما يؤكد توبيني أن الدولة لا تقوم بدون زرّاع وصنّاع وتجّار يدفعون لها الضرائب ولا بدون جيش مدربٍ موال لها[1]، فتم جلب العديد من الأنصار للدولة الصفوية الذين سيكونون من أشد المؤيدين لها " القزلباش " بالتالي وقوداً للصراع اللاحق مع العثمانيين، بل إن الأمر قد تعد ذلك، كيف ؟ .

إن وثائق الأرشيف العثماني تؤكد أن " قطاعاً من البدو شبه الرحل من أهل السنة " من مواطني الدولة العثمانية الذين عجزوا عن تأمين سبل معيشتهم بسبب سوء الإدارة المركزية وظلمها أحياناً، قد انضمت إلى الدولة الصفوية وحاربت في صفوفها ضد الدولة العثمانية[2]، والأهم من ذلك أن الأرشيف العثماني يؤكد في موضع أخر أن السباهية (الفرسان) العثمانيين أصحاب التيمارات قد انضموا إلى صفوف الصفويين[3]، وذلك يفسر ما قامت به السلطات العثمانيــة – في نفس الفترة – من عزل التيماريين المتواطئين، وإعدام المتآمرين المعروفين[4].

في الجانب الآخر كان أمراء التركمان في الأناضول، قد فقدوا كافة امتيازاتهم تحت وطأة الإدارة المركزية، وأصبحوا مواطنين عاديين، وكانت الامتيازات بالنسبة لهم أهم من مسألة المذهب، لذلك لم يترددوا في الذهاب إلى إيران واعتناق المذهب الشيعي بينما كانوا سنيين في الأنــاضول، حيث إن والى الإيالة هنــاك يكون قائداً وتستمر امتيازاته كلها، أما في الأناضول فكانوا تحت إمرة الموظف الصغير الذي ترسله الدولة العثمانية، ولذا لا يمكنهم جمع الضرائب وحشد الجنود أو ممارسة السلطة[5].

---

(1) توبيني، أرنولد، تاريخ البشرية، ترجمة نقولا زيادة، الأهلية للدراسات والنشر، بيروت، ج2، 1981 م، ص 184.

(2) نقلاً عن أوغلي، أكمال الدين، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج 2، ص 196.

(3) المرجع نفسه، ص 201.

(4) مانتران، روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ص 209.

(5) يلماز، اوزوتونا، الدولة العثمانية، ص204 .

بعبارة أخرى كانت الظروف الاقتصادية التي يعيشها هؤلاء التركمان تجشع الشاه إسماعيل الصفوي على إرسال مئات " الوعاظ " الدين نجحوا في نشر الدعاية الصفوية[1] .

الأمر الذي فسره العثمانيون بأنه تهديدُ خطيرُ، إذ سُمح للصفويين بحرية تنظيم التركمان، فسوف تقوض الحكم العثماني في ولايات الأناضول كافة[2] بخاصة أن تركمان الأناضول قد حافظوا على علاقتهم الوثيقة بإيران، ما جعلهم يتصرفون كما لو كانوا تابعيين للصفويين، وهكذا كان الشاه يعين ممثلين له من بينهم ويرسل إلى كل واحد منهم كتاباً بتعيينه وعباءة وسيفاً ومالاً، وفي المقابل كان أتباع ومريدي الشاه في الأناضول يرسلون بانتظام إلى الشاه ضريبة تسمى " حق الشاه "، بالإضافة إلى النذور، ولم يكن هؤلاء يذهبون إلى مكة للحج، بل إلى أردبيل في إيران حيث يرقد هناك صفى الدين الجد الأعلى للصفويين[3].

إن الرد العثماني من الاستفادة الصفوية للأزمة الاجتماعية لتركمان الأناضول، قد جاء من السلطان بايزيد الثاني، الذي أمر أتباع عديد من الشيعة أن يرحلوا من تكة) انطاليا (إلى المناطق التي انتزعت مؤخراً من البنادقـة في مودون (Modon) و كورون(Coron) في الموره[4] يقدر عددهم عادل علوجي بحوالي 30 ألفاً من القزلباش[5]، ورفض احتجاجاً من الشاه إسمـاعيل الـذي اشتكـى أن الموالين لـه في الأراضـي العثمانية قد

---

(1) Shaw. Stanford . op.cit. p.77 ; Mccarthy, Justin.op.cit. p83.

(2) Parrye . V. J, Op.Cit . p 64.

(3) اينالجيك، خليل، الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ص 297.

(4) مهدوي، عبدالرضا هوشنك، تاريخ روابط خارجي إيران أز ابتدي دوران صـفوية تايابـان جتك دوم جهاني، انتشارت أمير كبير، تهران، 1340 هـ.ش، ص16-17.

(5) Allouhe. Adel . Op. Cit. p112

منعوا من الذهاب إلى بلاد فارس" إيران "[1] ويضيف المؤرخ الإيراني شيباني أن سبب منعهم من قبل السلطات العثمانية هو الجندية وليس زيارة مدنهم المقدسة[2].

بيد أن هذه الإجراءات لم تقلل من الخطر الصفوي، ما حدا بالسلطان العثماني إلى إغلاق الحدود في صيف 1502م، وهكذا لم يعد بوسع هؤلاء التركمان لا الخروج من الدولة العثمانية ولا معاودة الدخول إليها، على أن هذا الإجراء كان قليل الأثر لأن المحرضين التابعيين للشاه الصفوي مستفدون من السماح للقوافل التجارية بالمرور، قد تغلغلوا في الأناضول العثمانية[3]، فضلاً على ذلك فإن مناطق الحدود هذه كانت لها أهميتها الاقتصادية، باعتبارها جزءاً من المناطق التي تخترقها طرق التجارة الدولية .

- الطرق التجارية .

يلاحظ في الرقعة التي امتدت عليها الدولتان " العثمانية والصفوية " وجود تنوع في التضاريس من بحار وجبال وهضاب وسهول وصحاري، وعلى الرغم من كل هذه التضاريس التي تعد بحد ذاتها حداً فاصلاً بين الدول أو الأقاليم أو التجمعات البشرية فإن الدولتين تجاوزتا هذا المفهوم في القرن السادس عشر الميلادي / العاشر الهجري بحكم تداخلها الجغرافي والاقتصادي والبشري .

فالبحار التي تحيط أو تتخلل مناطق الصراع بين الطرفين، تعد ذات أهمية كبرى في حركة التجارة الدولية، فهذه البحار: بحر قزوين والبحر المتوسط في الشمال، والبحر المتوسط في الغرب، وبحر العرب وخليج عمان

---

(1) .Parrye . V J . op. cit . p 64 ; Allouehe . op.cit, p 75.
(2) الشيباني، نظام الدين مجير، تشكيل شاهنشاهي صفوية، ص15.
(3) مانتران، روبير، الدولة العثمانية، ص 164.

في الجنوب، بالإضافة إلى بحرين يتخللا هذه الرقعة هما : البحر الأحمر من جهة الغرب، والخليج العربي إلى جهة الشرق، تزيد من أهمية الموقع من الناحية الجغرافية والاستراتيجية [1].

وأهم من تلك البحار المضايق، التي تصل المسطحات المائية الكبيرة (المحيطي الأطلسي والهندي) بالأذرع (البحر الأحمر والخليج العربي)، كمضيق البوسفور الذي يفصل قارة أوروبا من قارة آسيا، ويصل البحر المتوسط ببحر مرمرة والدردنيل الذي يفصل قارة أوربا عن الأناضول، ويصل بحر إيجه ببحر مرمرة، أو كمضيق باب المنذب الذي يفصل آسيا الجنوبية عن أفريقيا، ويصل البحر الأحمرر بخليج عدن[2]، وكمضيق شبه الجزيرة العربية عن الهضبة الإيرانية، ويصل الخليج العربي بالمحيط الهندي، إن هذه المضائق تجعل المسيطر عليها متحكماً بمصائر شعوب المنطقة ودولها، بل ما يليها، على صيغة هيمنة استراتيجية تستأثر بمجمل متاجر العالم بين الشرق والغرب[3].

أما بالنسبة للجبال، أهمها سلسة جبال طورس التي تفصل بين الهضبة الإيرانية والمشرق العربي، حيث تمتد من الغرب إلى الشرق حتى تصل بحيرة (وان) إلى الشرق من خليج الإسكندرية على السواحل الشرقية للبحر المتوسط، وإلى الشرق من جبال طورس تمتد سلسلة جبال زاغروس التي تطل على سهول العراق والخليج العربي إلى خليج عدن[4]، وعلى الرغم من أن الجبال تشكل عوائق طبيعية بين السهول والهضاب، إلا أن

---

(1) بردويل، فرناند، البحر المتوسط، ترجمة، عمر سالم، تونس، 1990، ص 57.

(2) إيوار، " مادة الدردنيل "، دائرة المعارف الإسلامية، مج9، ص 192؛ مادة المنذب، مج13، ص243.

(3) الخوند، مسعود، الموسوعة التاريخية الجغرافية، بيروت، 1995، ص 29 .

(4) سيار، الجميل، العثمانيون وتكوين العرب الحديث، ص 300؛ جودة حسنين، وعلي هارون، جغرافية الدول الإسلامية، ج5، ص 569.

الفرضات التي تفصل بين سلاسلها تفسح المجال لتنفذ من خلالها الطرق التي تصل بين شتى المناطق، أما الصحاري كصحاري شبه الجزيرة العربية (الربع الخالي والنفوذ) وصحاري إيران (صحراء لوت وصحراء كوير) [1]، إضافة إلى بادية الشام، فعلي الرغم من جفافها وقساوة مناخها، إلا أنها كانت وما تزال تسمح بمرور الطرق التجارية، متخذة من واحاتها مناطق للراحة ومحطات للتموين .

بعد هذا العرض المختصر لتضاريس المنطقة المعنية بالدراسة، يمكن الحديث عن أهم الطرق التجارية المارة بها .

- الطريق الأول :

وهو أقدم الطرق وأشهرها، ويربط بحر الصين والهند عبر المحيط الهندي ثم الخليج العربي، ثم فروعه النهرية والبرية من البصرة إلى بغداد عبر مجاري الأنهار، ومن بغداد تتفرع طريقان بريتان الأولى تتجه شمالاً نحو ديار بكر، والثانية تتجه غرباً إلى دمشق، ومنها إلى العراق ثم الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط، ويتبع هذا الطريق الساحل جنوباً باتجاه مصر، فيمر بعكا وغزة ويخترق صحراء سينا، وصعوداً حتى القاهرة، ومنها نزولاً عبر النيل إلى الإسكندرية[2]، ومن دمشق يتفرع طريق بري شمالاً إلى حلب ومنها إلى آسيا الصغرى، حيث يلتقي بالطرق القادمة من وسط أسيا باتجاه القسطنطينية، ومنها إلى أوروبا عبر البلقان[3]، وقد فقد هذا الطريق اتصاله بالطرق القادمة من وسط آسيا خلال غزوات المغول في القرن الثالث عشر،

---

(1) جودة، حسنين، علي هارون، جغرافية الدول الإسلامية، ج 5، ص 595 .

(2) خادم، سمير علي، الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، عبر العلاقات بين المدن الإيطالية وشرقي البحر المتوسط 1450- 1517 (رسالة دكتوارة)، دار الريحاني، 1989، ص 37؛ الصيرفي، نوال حمزة، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي، ص 42.

(3) خادم، سمير علي، الشرق الإسلامي والغرب المسيحي...، ص 37-38.

ثم عاد للاتصال بعد ذلك عندما سيطر العثمانيون على آسيا الصغرى، وأمنوا الطرق المارة بها، حتى أصبح يمثل الطريق الاحتياطي للتجارة الشرقية كلما تعطلت الطرق الأخرى[1].

الطريق الثاني :

طريق بحري يمتد من سواحل الصين، ويدور حول شبه القارة الهندية، ثم يجتاز ليصل إلى البحر المتوسط عبر البحر الأحمر، تتخلله بعض الفواصل البرية في مصر وبلاد الشام، وسرعان ما ينتهي إلى حوض البحر المتوسط من جهته الشرقية ليصل الشرق الآسيوي بالغرب الأوروبي[2]، وعليه كانت السفن الآتية من الصين تبحر من سيلان الواقعة قبالة الطريق الجنوبي لشبه القارة الهندية و في شهر سبتمبر عندما تهدأ الرياح الموسيمة الجنوبية الغربية، يسير الطريق صعوداً صوب الشمال بمحاذاة الشواطئ الغربية لشبه القارة الهندية، ليصل إلى جزيرة ديو على سواحل إقليم كجرات في شمال غرب الهند، ومن ديو تسير السفن إلى دبيل على شواطئ باكستان حيث تردها السفن الآتية من الصين والشوطىء الجنوبية للهند، ومنها تسير السفن إلى إقليم مكران قبالة عُمان، ثم تقطع السفن خليج عمان لتصل إلى مسقط الواقعة جنوب شرق شبه الجزيرة العربية ثم إلى عدن، حيث يلتقي هذا الطريق بالطريق البحري الآتي من زنجبار على الشاطئ الشرقي الأفريقي[3]، ثم تتجه إلى جدة، ومنها يتفرع الطريق إلى فرعين الأول يسير إلى دمشق ثم حلب، حيث يلتقي مع الطريق العام من

---

(1) فهمي، نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، القاهرة 1973، ص 118.

(2) Mccaarthy. Justin. op. cit. p 90.

(3) حلاق، حسان، مدن وشعوب إسلامية، بيروت، (د.ت)، ج4، ص 403 ؛ الخوند، مسعود، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج5، ص 64.

الشرق والذاهب إلى سواحل بلاد الشام فأوروبا، أما الثاني بحري يسير إلى ميناء السويس عبر خليج ضيق، ثم يبدأ طريق بري ينحرف إلى جهة الغرب ليصل إلى القاهرة ومنها إلى الإسكندرية نقطة الاتصال المباشرة مع أوروبا، حيث كانت بوابة مصر بالنسبة للتجار الغربيين[1].

الطريق الثالث :

أما الطريق الثالث الرئيسي، فهو طريق بري من وسط آسيا ومن الهند عبر جبالها وممراتها إلى الاثيل ويتقابل مع القوافل الوافدة من الصين، ثم يسيران معاً حتى بخارى حيث يتفرع فرعان الأول إلى بحر قزوين فنهر الفلجا وبلاد البلغار، والثاني يتجه إلى البحر الأسود وموانيه، ثم القسطنطينية وأوروبا وتخرج منه فروع جانبية إلى حلب وساحل البحر المتوسط، وآخر إلى بغداد وديار بكر[2].

بالرغم من سيطرة القوات العثمانية على هذا الطريق قبل سقوط القسطنطينية، فإن التجارة لم تتوقف منه، بل وصلت قوافل الصين والهند حاملة معها الأنسجة المطرزة والسجاد من إيران (شيزار وأصفهان) وكردستان وما بين النهرين والجلود والفراء والحنطة، والعبيد من بلاد البلغار عن طريق نهر الفلجا لتتقابل مع السلع الواردة من الشرق الأقصى، وتتجه إلى آسيا الصغرى، ثم إلى البحر المتوسط أو القسطنطينية وأوروبا، والقادة في هذه التجارة هم تجار البندقية وجنوه وفلورنسا، وآخر نقاط وصولهم شرقاً هي مصب نهر الفلجا، عند تقابل طرق الشرق والوسط والشمال ويقومون بعد ذلك بنقلها إلى القسطنطينية أو مواني الشام[3].

---

(1) فهمي، زكي نعيم، طرق التجارة الدولية، ص 132.

(2) المرجع نفسه، ص 154.

(3) المرجع نفسه، 155.

الطريق الرابع .

أطلق عليه العرب قديما طريق خراسان العظيم، وهو طريق بري يأتي من حدود الصين، مبتدئا من طشقند من بلاد ما وراء النهر " نهر جيجــون" إلى سمرقند ثم يتبع سيره إلى بخارى، التي تتلاقى فيها العديد مــن الطــرق أهمها الطريق الذاهب إلى ترمذ والواصل إلى كابول عبر بلغ[1]، ومنها إلــى إقليم خراسان بإيران في أول محطاتها (مرو) ثم إلى سرخس، ومنهــا إلــى مشهد (عاصمة الإقليم) حيث يلتقي مع الطريق الآتي من الهند عبر كــابول وهراة، ثم يسير إلى نيسابور التي تجتمع فيها البضائع الآتيــة مــن الهنــد والأخرى الآتية من الصين[2]، ولعل من أهم السلع المتاجر بهــا فــي هــذا الطريق هو الحرير وبخاصة الحرير الإيراني .

التنافس من أجل احتكار تجارة الحرير :

اشتهر الحرير الإيراني بجودته منذ فترات تاريخية ســابقة لظهــور الدولة الصفوية ومن أشهر المدن التي تنتج الحريــر : شــيزار وأصــفهان، إضافة إلى منطقة ديار بكر التي سيطر عليها الشاه إسماعيل ســنة 1502 م، وصارت من أملاك الدولة العثمانية فيما بعد عام 1517 م، وفي عصر لــم يكن فيه الاهتمام بالأرقام، يكون فيه من الصعب تقديم إحصاءات عن قيمــة المنتجات أو الصادرات بالنسبة للحرير الإيراني، ولكن تؤكد بعض الدراسات أن صادرات الحرير لمنطقة ديار بكر وحدها تساوي مجموع الــدخل العــام للدولة العثمانية من ولاياتها في البلقان في سنة 1528 م، (حوالي 25 مليون أقجة عثمانية) [3] لذلك كان التنافس شديداً بين العثمانيين والصفويين في ظل احتياج صناعة أقمشة الحرير العثمانية للمواد الخام القادم من إيران .

---

(1) لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوريس عواد، بغــداد، 1954، ص 474.

(2) الخوند، مسعود، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج4، ص 209.

(3) السيد، سيد محمد، دراسات في التاريخ العثماني، القاهرة، 1996، ص 76؛ صباع، عبــاس إسماعيل، تاريخ العلاقات الإيرانية، ص19؛ سلطان، علي، تاريخ العرب الحديث، ص20.

منذ السنوات الأخيرة من القرن الخامس عشر الميلادي، وصل الحرير الإيراني إلى جنيوس " جزء من استانبول "[1]، معنى ذلك أن تجارة الحرير لم تصبح مشكلة في العلاقات بين العثمانيين والدول المتواجدة في إيران آنذاك (القره قوينلو، الاق قونيلو) بيد أن إقفال الحدود العثمانية أمام أتباع الأسرة الصفوية وكذلك التجارة سنة 1501 م شكل أزمة اقتصادية بين الطرفين[2] لاسيما عندما أتضح أن بورصة (Bursa) - أكبر المدن العثمانية في صناعة الأقمشة - كانت تعتمد بشكل أساسي على الموارد الخام في إيران[3].

وبفضل تجارة الحرير الإيراني نمت بورصة وازدهرت في ذلك الوقت ففي القرن الخامس عشر كانت صناعة الحرير الأوروبية قد توسعت وتحولت بورصة إلى سوق عالمي للحرير الخام، حيث كانت تباع خيوط الحرير الممتازة التي تنتج في اتسرباد وجيلان (شمال إيران) . وبدءً من سنة 1501 م، كانت تصل قوافل كثيرة للحرير من إيران إلى بورصة ثم تنقل إلى إيطاليا عن طريق التجار الإيطاليين وبخاصة البنادقة، وفي الواقع كانت هذه التجارة مجزية لأن كل فردة (Fardello) (150 كيلو جرام) كانت تدر الربح في إيطاليا ما بين 70-80 دوقية ذهبية، وكانت القافلة الواحدة في المتوسط تحمل إلى بورصة مائتي " 200 " فردة من الحرير[4]، والجدول (في ص 220) يبين واردات الجمارك من الحرير في بورصة خلال عدة سنوات يمكن أن يتضح من خلالها حجم الاستيراد الكبير للحرير، رغم تشديد السلطان العثماني سليم الأول على إغلاق الحدود وتحريم التعاون مع التجار

---

(1) بيكولوسايا، ن . و، تاريخ إيران أزد وار باستان نايابان، ص 490.

(2) مانتران روبير، الدولة العثمانية، ص 164.

(3) Inalcik . Halil ,Bursa And The Commerce Of The Levant , Journl Of Econ Omicand Social History Of Orient .Vol I I I . 1960,P 52.

(4) اينالجيك، خليل، تاريخ الدولة العثمانية، ص 173.

الإيرانيين، فإن الأرباح الهائلة من تجارة الحرير الإيراني، قد أغرت العديد من التجار والقادة العثمانيين بالتعاون مع الإيرانيين، فالوثائق التي أطلع عليها (د. فاروفي) تؤكد تورط الحاكم الكري لبتليس إدريس البدليسي – حليف السلطان سليم – في تجارة الحرير الإيراني، وكذلك الحال لحاكم ديار بكر محمد باشا[1].

ثمة احتمال أن القصر العثماني وكذلك الوزراء وحكام الولايات هم المشتري (الزبون) الرئيسي للحرير، حيث كانوا يرتدون الملابس المصنوعة من الحرير[2]، رغم ذلك فأن الإدارة العثمانية قد أصرت على إيقاف استيراده من إيران الصفوية بقصد السيطرة عليه ما أدى إلى تدهور العلاقات بين الدولتين[3] وبخاصة أن الحرير الإيراني المصدر إلى أوروبا[4]، يمكن أن يخضع للسيطرة العثمانية عبر طرق تقليدية .

فقد كانت تجارة إيران الخارجية تعتمد بشكل كبير على الحرير الإيراني – ذي الشهرة العريضة في أوروبا – وكانت قوافل الحرير تتخذ الطرق التالية .

- الطريق البري عبر العراق والشام، ومن الشام تنقل بحراً إلى أوروبا .
- الطريق الثاني طريق بحري حيث يرسل الحرير إلى ميناء هرمز في جنوب الخليج، ومنه إلى المحيط الهندي، أما باتجاه الهند أو باتجاه أوروبا عبر راس الرجاء الصالح .

---

(1) Faroghi . Suraiga , Making Alivinc In The Ottoman Lands ,1480.to 1820.p121.

(2) Idid . P117.

(3) Inalcik . Halil . Eincyclopadia O f Isalm , Luzac, London , 1971 , VolIII, P213.

(4) كان يهدف العثمانيون حرمان الصفويين عدة الحرب من أوربا، فقد كانت إيران تعتمد على تجارة الحرير في صادراتها إلى الغرب الذي يقوم بمقابلتها بالحديد والنحاس، الجميل، سيار، العثمانيون وتكوين العرب الحديث، ص81-82.

- الطريق الثالث عبر الأراضي الروسية ومنها إلى أوروبا[1].

ولئن كان الحرير الإيراني ينقل من تبريز إلى أوروبا عبر الطريق الثاني والثالث فإن بعضه يغزل في مغازل بورصة والباقي تتسمله أوروبا في شكله الخام وأن الدولة الصفوية قامت دولة داخلية لا شواطئ لها تطل على أوربا، وإن الدولة العثمانية قد قامت في الأناضول، وكانت في يدها مقاليد التجارة العابرة من أوروبا إلى الشرق وبالعكس، كل ذلك يوضح الأهمية الاقتصادية للأناضول بالنسبة للصفويين لاسيما المراكز التجارية منه، لذا كانت المناطق – في الأناضول – التي ذكرت آنفاً أهم ما استهدفته الهجمات الصفوية عبر تاريخ الحروب الصفوية العثمانية [2].

لقد كان بمقدور الدولة العثمانية أن تتحكم بصورة مباشرة أو غير مباشرة بالطريقين الأولين، فقد لجأ السلطان سليم إلى استخدام الحصار التجاري كسلاح من أسلحة الحرب ضد الصفويين، كما لجأ إلى مصادرة البضائع الفارسية من أيدي التجار العرب والترك والفرس، كما أنه حرم استيراد الحرير الفارسي وبيعه، وفرض الغرامات على الذين يقبض عليهم وهم يبيعونه[3]، فيروى صاحب المنح الرحمانية " أن السلطان سليم خان كان ذاهب إلى مدينة أدرنه فسبقــه المفتى، فلقى في الطريق أربعمائة رجل مشدودين بالحبال فسأل عن حالهم، فقالوا إنهم خالفوا أمر السلطان، وقد اشتروا الحرير، وكان قد منع السلطان من ذلك"[4]، فكان لهذه التدابير الاقتصادية نتائج عسكرية ظهرت في المعارك الأولى بين الطرفين .

---

(1) جمعة، بديع محمد، الشاه عباس الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، 1980،ص 84.

(2) هريدي، محمد عبد اللطيف، الحروف العثمانية الفارسية أثرها في انحسار المدى الإســلامي عن أوروبا، دار الصحوة، القاهرة، 1987، ص 45.

(3) ولسون، روبرت، حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية، ترجمةعبد الرحمن الجليلي، الرياض،1983م، ص60

(4) الصديقي، محمد بن أبي السرور، المنح الرحمانية، ص 94.

أما في مطلع عهد السلطان سليمان، فقد أدركت الدولة أهمية الحرير وطرقه كسلاح سياسي ضاغط، فبذل الاتجار به، وخطر العبور به على الطرق الخاضعة للسيطرة الصفوية، لجأ السلطان العثماني إلى خوض حروب ضد الشاه الصفوي طهماسب (1524- 1576م) للضغط باتجاه الإستفادة من مناطق الحرير الفارسية وتجارة المحيط الهندي[1].

الروابط الاقتصادية وتوظيفها :

إن الوعي العثماني لأهمية الحرير الإيراني، كمصدر لرسوم الجمارك كان يتوافق مع أزمة اقتصادية في الداخل العثماني، كان أحد أسبابها التي ترتبت على اكتشاف رأس الرجاء الصالح تحول التجارة (المتوسطية) إلى المحيطين الأطلسي والهندي، فلجأ السلطان العثماني سليمان إلى العلاقات الأوروبية لحل بعض وجوه الأزمة الاقتصادية، فعقد أول معاهدات الامتياز الأجنبية مع فرنسا سنة 1536 م، وبموجبها شجع السلطان العثماني التجار الفرنسيين على ارتياد الأسواق العثمانية والاتجار فيها[2].

ويلاحظ أن الدولة العثمانية عانت من أزمة اقتصادية أخرى، تفاقمت ابتداءً من النصف الثاني من القرن السادس عشر، بسبب تدفق كميات الذهب والفضة من جنوبي أمريكا إلى المدن الإيطالية، وبخاصة جنوه، ومنها إلى الولايات العثمانية، ما كان له تأثيره على انخفاض قيمة العملة (الاقجة) وارتفاع أسعار السلع والحاجات الغذائية بالنسبة للمستهلك العثماني، وتدهور تدريجي في الحرف والصناعات المحلية، ولقد حاولت

---

(1) ولسون، روبرت، حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية، 1983، ص 62.

(2) المحامي، محمد فريد بك، الدولة العلية العثمانية، ص 91 ؛ متولي، أحمد فؤاد، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، إسيتراك، القاهرة، 2002 م، ص 268- 274.

الدولة العثمانية أن تعوض عن انخفاض قيمة عملتها بالنسبة للذهب والفضة الأوروبيين من خلال الاستفادة من السوق الإيراني، لكن الصفويين أصروا على تحديد سعر الحرير وفقاً لسعره العالمي [1].

لقد كانت السياسات التي اتبعها الطرفان لحل مشاكله الاقتصادية الخاصة، تتضارب فتؤدي إلى تجديد القتال للسيطرة على الممرات البحرية وطرق المواصلات المؤدية إليها، من الأناضول الشرقي حتى الخليج العربي، مروراً بديار بكر، الموصل، حلب، بغداد، والبصرة، وهذا ما يمكن توضيحه باستقراء مناطق الصراع، والتي ستوضح وبشكل جلي الأهمية الاقتصادية للصراع، إن الصراع بين الصفويين والعثمانيين تركز بشكل أساسي على بعض مناطق الأناضول الشرقي (أرضروم، تبريز) وعلى العراق (الموصل، بغداد)، حيث إن المنطقة الممتدة من الموصل إلى أرضروم تعتبر المدخل الرئيسي للفاتحين القادمين من الشرق أو من الجنوب للاستيلاء على سهول الأناضول، ومن هذا المدخل كانت تتجه الطرق المؤدية إلى استانبول والبحر، وكان لابد للجيوش والتجار القادمين من أرمينيا أو أذربيجان، وهم يقصدون الأناضول من أن يمروا بأرضروم، وكانت هذه تتصل بتبريز وغيرها بسيواس وديار بكر والموصل وبغداد والبصرة إلى الخليج العربي، ومن ديار بكر كان يتفرع طريق موصل إلى حلب والإسكندريـــة على البحر المتوسط، كما يتفرع منـــه طريق بري مؤدٍ إلى استانبول[2]، من جهة أخرى كانت الموصل هي المنفذ الأخر المهم للوصول إلى الأناضول وكذلك إلى حلب والبحر المتوسط، ويضاف إلى هذا أن الموصل هي أيضا منطقة الاتصال بين

---

(1) ولسون، روبرت، المرجع نفسه، ص 77- 89 .

(2) كوثراني، وجيه، الفقيه والسلطان(دراسة في تجـــربتين تاريخيتين: العثمانيـــة والصـــفوية – القاجارية) ص 62-63

جبال كردستان الوعرة والسهول والصحاري التي تبدأ من جنوب الموصل وتمتد حتى الخليج[1].

ونظراً للأهمية الاستيراتجية التي يشكلها هذا الامتداد الجغرافي ابتداء من محور أرضروم وتبريز إلى الموصل فبغداد، البصرة، فالخليج، أو ابتداء من ديار بكر إلى حلب، فالاسكندرونة، أي إلى الشاطئ المتوسطي لبلاد الشام . فإنه كان من الطبيعي أن يتركز الصراع بين الدولتين (نواة إحداهما في القسم الغربي من آسيا الصغرى (الروملي)، ونواة أخرى في فارس) في هذا القسم المتوسط الواقع بين موطني الدولتين[2].

لقد كانت الدولة العثمانية في القرنين الأولين لنشأتها – الرابع عشر والخامس عشر – توجه فتوحاتها إلى الجهة الغربية، تاركة الجانب الشرقي مفتوحاً لتواجد إمارت تركمانية ضعيفة وموالية أحيانا، أو ليست ذات خطر أحياناً أخرى، أما وقد لاح خطر الصفويين في مطلع القرن السادس عشر، عبر قدرتهم على تجميع القبائل التركمانية في قوة عسكرية ضاربة، فإن السيطرة على الجانب الشرقي من الأناضول وعلى امتداده الجغرافي الجنوبي في العراق وبلاد الشام، تصبح ضرورة إستراتيجية قصوى وهي الضرورة التي وعاها بشكل أساسي السلطان الأول سليم الأول، فاحتل تبريز 1514 م، ثم عاد فألتف على ديار بكر وكيليكيا وحلب مكملاً احتلال سوريا ومصر (1516– 1517 م)[3]، ومشكلاً بذلك حزاماً استراتيجياً غربياً عميقاً في مواجهة مشروع الدولة الصفوية الجديدة .

---

(1) ولسون، روبرت، حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية، ص 51.

(2) كروزيه، موريس " إشراف "، تاريخ حضارات العالم، ترجمة يوسف داغر، منشورات عويدات، بيروت، (د. ت)، ج6، ص 568 ؛ "حرب إيران 920هـ"

WWW . Islampedia . com

(3) كواثراني، وجيه، الفقيه والسلطان...، ص 63– 64 .

كان من الطبيعي أن يظل هدف الصفويين خرق هذا الحزام عبر التوسع السريع في الأناضول والموصل ووسط العراق، وهى المحاور التي استمر الصراع عليها متقطعاً أكثر من قرنين من الزمان . إن الدولة القوية في إيران " الصفوية " ما كان يمكن أن تكسب قوتها في الشرق الإسلامي، إلا من خلال امتداد نطاقها باتجاه المحطات الأساسية لطرق المواصلات والممرات البحرية، ويبدو أن هذا التوجه ظل الثابت الذي ميز سياسة شاهات إيران خلال قرنين من الزمن – وهو عمر الدولة الصفوية – كما ظل بالمقابل الثابت الذي ميز المواجهة العثمانية للسيطرة على تلك المحطات والممرات[1]، لأهميتها الاقتصادية للطرفين يندلع الصراع بينها من أجل السيادة على العالم الإسلامي، فيكون لصراعهم هذا أسباب سياسية توسعية .

(1) المرجع نفسه، ص 64 .

المبحث الثالث

الأسباب السياسية للصراع

- **دور السلاطين والشاهات في اندلاع الصراع .**
- **الرغبة في تزعم العالم الإسلامي .**
- **إيواء الصفويين للأمير مراد .**

كان هناك سباق سياسي بين القوتين الصفوية والعثمانية للاستحواذ على منطقة الشرق الإسلامي عامة، والشرق العربي بخاصة ومضتا تسارعان في تحقيق طموحاتهما السياسية في توسيع دولتهما، وقد غدا ذلك السباق سبباً أساسياً من أسباب تفجر الصراع، و لمعرفة الأسباب السياسية وراء اندلاع الصراع الصفوي العثماني ينبغي مناقشة مجموعة من النقاط التي تظافرت مع بعضها البعض، و أثرت على علاقة الطرفين وأدت في نهاية المطاف إلى تفجير واستمرار الصراع بينهما، ولعل أولها وجود ثلة من القادة على رأس كل دولة أسهمت بشكل واضح في الصراع .

أولاً : دور السلاطين والشاهات في اندلاع الصراع .

مما يلاحظ أن فترة الصراع الصفوي العثماني، شهدت ظهور عدد من السلاطين والشاهات، ارتفعوا إلى مستوى المسئوليات، وهيأت لهم ظروف دولهم التوسعية مجالات الشهرة في فترة كان فيها السلطان أو للشاه دور كبير في رسم وتغيير سياسة الدولة باعتباره أعلى سلطة في الدولة، إضافة إلى دور شخصيته، سواء أكانت قوية شديدة، أم كانت جذابة تجيد جذب الأنصار والمؤيدين، وإقناعهم بأفكارها، وهكذا كان القرن السادس عشر الميلادي / العاشر الهجري، عصر عمالقة بين السلاطين والشاهات، اوجدتهم ظروف الصراع ومُجابهاتهُ .

- **السلطان العثماني بايزيد الأول 1512/1481 م .**

هناك اتجاه شائع في الكتب التاريخية، يركز على وصف بايزيد الأول بأنه سلطان مسالم، أراد أن يهدي المنطقة من تيار الحرب الجارف الذي لفها خلال القرن الخامس عشر الميلادي، وتصفه بأنه ولي صوفي، وأديب محب للسلم وملحن وخطاط، وهو أعلم بني عثمان بعد أبيه محمد الفاتح(1)، ومع أن بايزيد كان مستعد لشن الحرب إذ تصور أنها مجدية، مثلما فعل مع المجر ومع بولنده، وضد إيطاليا ومماليك مصر، فلا شك أنه كان ينظر إلى الأمور بعين تختلف عن أبيه محمد الفاتح، الذي كان يستعمل القوة في تصفيته الجيوب المعادية في دولته أو حولها، أما وقد توصلت الدولة إلى حدود ثانية، فالأجدى أن يبذل الجهود لصيانها وتقويتها حتى لا يصبح هذا الاتساع عبئاً على الدولة نفسها، ولعل هذا هو الذي جعله يسعى إلى التفاهم ودياً مع القوى العديدة المجاورة له(2).

الشيء المهم هنا والمتعلق بدور بايزيد في الصراع الصفوي العثماني يختص بالفترة المتعلقة ببداية الدولة الصفوية، إذ إنه لم يوقف هذا التوسع – كما فعل ابنه سليم لاحقا– ففي الوقت الذي تعدى الشاه إسماعيل على إمارة ذي القدر " على الحدود بين العثمانين و الصفويين والمماليك " واحتل بغداد والموصل سنة 1508 م، وبث دعائه إلى داخل الأناضول العثمانية(3)، لم يقم بايزيد بعمل حاسم يوقف الزحف الصفوي المطرد، مكتفياً

(1) الصدفي، رزق الله، تاريخ دول الإسلام، ص109–110 ؛ النهروالي، الإعلام بإعلام بيت الله الحرام ص 91 ؛ أصاف، عزتلو يوسف، تاريخ سلاطين بن عثمان، ص 55 ؛ مطران، خليل، مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام، دار نظير عبود، بيروت، 1995، ص 340 ؛ مهنا، محمد نصر، السلام في أسيا، ص 137 ؛ حاطوم، نور الدين الموسوعة التاريخية الحديثة، ص 335 .

(2) نوار، عبدالعزيز، الشعوب الإسلامية، ص 67.

(3) يحي، جلال، العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي، الإسكندرية، 1989،ص105، 106 ؛ بيكولوسايا، ن، م، تاريخ إيران أز دوارن باستان تاپايان سدة هيجدهم ميلادي، ص 474 ؛ نوار، عبد العزيز، العلاقات العراقية الإيرانية، دار الفكر العربي، 1974، ص 11.

ببعض الإجراءات الاحترازية، كإرساله جملة صغيرة 1511م، ضد أنصار الشاه إسماعيل في الأناضول " شاه قوللي" [1] وإقفال الحدود مع الصفويين – كما ذكر سابقا– وبعث رسالة إلى الشاه إسماعيل في نفس السنة جاء فيها " أيها الشاب قليل التجربة اسمع نصيحة من والد، لا ترق دم المسلمين من أجل قبول مذهبك الجديد ... واجعل طريق أجدادك العظام أنار الله برهانهم منهجاً لك .."[2]، وكان الشاه إسماعيل قد بعث إليه برسالة أستهلها بقوله : " أبي المبجل والمعظم "[3].

إن هذا التصور بخصوص موقف بايزيد من (الخطر الصفوي) وعدم تحركه لوقفه بشكل حاسم، لا يمكنه الصمود لفحص جدي لملابسات تلك الفترة أولاً إن بايزيد قد انشغل كثيراً بما عرف بقضية " جم " وهو ابن محمد الثاني أخو السلطان بايزيد، ومنافسه على الحكم الذي تحالف مع فرسان رودس، الأمر الذي اضطر بايزيد إلى عقد اتفاقية مع فرسان رودس، ودفع لهم خمسة وأربعين ألف قطعة ذهبية، مادام أخوه جم مستقراً في ضيافتهم أي : تحت الإقامة الجبرية[4]، ما جعل جم في كثير من الأحيان ورقة ضغط بيد الدول الأوروبية على السلطان بايزيد الثاني، ثانياً بسبب خشيته من أن تغري الدعوى الصفوية أفراداً عديدين من جيشه[5] وإدراكاً منه للدعم الذي كان يحظى به الشاه إسماعيل بين العديد من تركمان الأناضول، ففضل أن يتحاشى مواجهة مباشرة مع الصفويين[6]، وليس بسبب ما قيل: إنه يحمل بعض التعاطف إزاء الدعوة الصفوية والوعاظ الصفويين[7].

---

(1) Potter . G . R . op. cit , p 406.

(2) الخولي، أحمد، الدولة الصفوية، ص 72.

(3) يلماز، اوزتونا، الدولة العثمانية، ص 205.

(4) Kinyoss . Lord. The Ottoman Centuries , Therise And FallOf The Turkish Empier , Morrow Ouill Paper Backs . 1977, p 162- 163

(5) بدر الدين، الخصوصي، " الدولة الصفوية في مواجهة التحديات "، ص 145 ؛ Shaw . Stanfrd. Op. cit p78.

(6) Allouche . Adel . op. cit . p.69

(7) Kinross . Lord . op. cit . p 166

مهما كان الأمر، فان بايزيد الثاني قد تصرف بحسب ما تمليه الظروف، بيد أن سياسة بايزيد هذه قد مكنت الدولة الصفوية من التوسع ومد نفوذها في مناطق حدودية مع العثمانيين بل وصل دعاتها إلى داخل الأناضول نفسها، وبهذا الأمر مهد بايزيد بطريقة غير مباشرة لقيام دولة صفوية قوية، لتصبح ند (آل عثمان) وبسبب الخطر الصفوي، إضافة إلى كبر سن السلطان بايزيد الثاني، دخل أبناؤه الثلاثة أحمد، قوقورد، وسليم، في منافسة على العرش العثماني انتهت بوصول أصغرهم (سليم) للحكم .

- السلطان العثماني سليم الأول 1520/1512م .

لئن كان السلطان العثماني سليم الأول أهم محركي الصراع الصفوي العثماني، فان الصراع نفسه قد أوصل هذا السلطان إلى السلطنة في الدولة العثمانية أثناء صراعه مع إخوته على العرش .

إن القضية في الواقع كانت نزاعاً بين احمد حاكم اماسيا، وسليم حاكم طرابزون، بعد استبعاد قوقورد[1]، في الظاهر الأمير أحمد هو الذي كان ليصبح سلطاناً، وبدأ والده بايزيد يميل باتجاه وليس لسليم، وشاطره هذا الرأي مجموعة متنفذة من كبار المسئولين، بيد أن سليم كان له أرجحية واحدة كبيرة على أحمد هي ولوعه بالحرب وشخصيته الحازمة، فقد كان محبوباً لدى الانكشارية[2].

استعد سليم ببعد نظر كبير لساعة الأزمة، ففي طرابزون بنى قوة كبيرة قادها في هجمات أدت إلى انتصارات على الأراضي الصفوية بين

---

(1) كان للأمير قوقورد ابنتان، ومات له ابنان، وهما طفلان، أي أنه بلا وريث وكان ذلك يضعف حق ادعائه بالعرش، فاقتصر الصراع بين احمد وسليم، يلماز أوزوتونا، الدولة العثمانية، ص 207- 214.

(2) Parry. V. J .O p.Cit , p. 66.

سنتي 1505/ 1510م، إلي الحد الذي ألفت فيه قصائد شعبيـــة مثل سر سلطاني سر، اليوم يومك، بذلك أثبت فعلياً قدرته على اتخاذ التدابير، فُفتح طريق العرش أمامه[1]، لاسيما عندما أشيع أن الأمير أحمد طلب تحالفاً مع الشاه إسماعيل، وهذا وحده من شأنـــه أن أثـــار مخاوف تدخل صفوي محتمل، وكان كـــافياً لجلب سليم إلى العرش[2].

في مارس 1512 م، طلبت القوات الانكشارية أن يُستدعى سليم لقيادتها، وفي هذا الأثناء كان سليم يقترب بكل سرية، وفي 19 أبريل 1512 عسكر خارج العاصمة، ثم اجتمع بأبيه السلطان وبقادة الجيش والعلماء، أظهر الكل المودة والاحترام للسلطان، لكنهم أبلغوه بان الـــحل الوحيـــد هو جلوس سليم عـــلى العرش[3]، وفي 24 من نفس الشهر أعلن السلطان بايزيد تخليه عن العرش لابنه سليم، وكان سليم راغباً في إقامة والده في السراى القديم، لكن بايزيد رغب في الإقامة في سراى ديمتوكا (Dimetroka)، لكنه مات في 26 مايو قبل أن يصل، ونقل جثمانه إلى استانبول ودفن في قبره قرب الجامع الذي شيده[4]. إن السلطان سليم ذو شخصية قوية، وهو عسكري بطبعه لذا كانت نظرته إلى القضايا كلها من وجهة نظر عسكرية، فيرى أن الأمور المستعصية لا تحلها إلا القوة وهذا ما جعل العسكريين يحبونه ويعملون على تسلمه السلطة[5]، فقد لقب وهو على قيد الحياة بالياووز

---

(1) يلماز، اوزتنا، الدولة العثمانية، ص 206 ؛ Potter . G . R , Op. Cit p407.

(2) Parry . V . J , Op.Cit , p 69.

(3) النهر والى، قطب الدين، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص 96 ؛ المحامي، محمـــد فريـــد بك، تاريخ الدولة العثمانية، ص 72 ؛ كرامرز، " سليم الأول "، دائرة المعارف الإســـلامية، مج 12، ص 121 - 131 .

(4) البدليسى، شرف خان، شرفنامه، ج2، ص134؛ الرمال، محمد بن الرنيلي، سيرة الســـلطان سليم خان، ص 17.

(5) (الدولة العثمانية : سليم الأول 918/926هـــ) WWW. Altareekh. Com

(الرهيب)، ويصفه الشوكاني بأنه " سلطانا عظيماً شديد البطش عظيم الهولة، سفاكاً للدماء، طائش السيف "[1]، وكان الرجل في أيامه لا يطلب لخصمه كارثة أشد من أن يدعو الله بأن يجعله من وزراء السلطان سليم لأنهم قلما كانت تمتد بهم آجالهم شهراً واحداً، بعد إسناد المنصب المشؤوم، كما يسميه أحد المستشرقين[2]، بقدر ما ان (العلاجـات الكبرى) التي لجأ إليها للانتصار على (الأمراض الكبرى) كانت شديده الحدة، وصحيح أن السلطان كان رجلاً سريع الغضب، يضرب وزراءه أحيانا بقبضة يده، وصحيح أن رؤوس وجهاء كبار قد طارت بشكل أكثر مما هو معتاد، لكن السلطان كان مؤمناً بصرامة العقوبات التي لم يكن بالإمكان اعتبار ضحاياها أبرياء[3]، وبذلك أنذر مجيء السلطان العثماني سليم الأول للحكم بتصاعد التؤثر بين العثمانيين و الصفويين[4].

- **السلطان العثماني سليمان القانوني 1566/1520**[5].

توالى الحكم بعد موت والده السلطان الأول في شوال 926هـ، 22 سبتمبر 1520م، قبل ذلك كـان حاكم ولاية اماسيه، وكان يمارس أحيانا في استانبول نوعاً من النيابة الشرفية عندما كان والده يخوض حملاته في أماكن بعيدة، وضع عدة قوانين تتعلق بالإدارة، لذلك لقب عن جدارة

(1) الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع،ص 265.
(2) مؤلف مجهول، الاتراك العثمانيين، ص35.
(3) يلماز، اوزتونا، الدولة العثمانية، ص 208.
(4) Allouche. Adel, op. cit . o 66
(5) السلطان سليم متمم العدد التام، كان سلطان السلطان العاشر من سلاطين أل عثمان واعتلـي العرش عند مستهل القرن العاشر الهجري، ولهذا السبب، ولاسباب عشرية أخـرى – أي أن تاريخها وقع في الرقم العاشر – لقبه شعبه متمم العدد التام، زين، نورالدين، نشـؤ القوميـة العربية، دار النهار، بيروت، 1972، ص176.

بالقانوني، بينما لقبه الأوروبيون " العظيم "، خاض اكثر من ثلاثة عشر حربا قاد معظمها بنفسه[1].

في الفترة الأولى من حكمه نجح في بسط هيبة الدولة والضرب على أيدي الخارجيين عليها من الولاة الطامحين إلى الاستقلال، معتقدين أن صغر سن السلطان " 26 سنة " فرصة سانحة لتحقيق أطماعهم، لكن فاجأتهم عزيمة السلطان التي لا تلين فقضى على تمرد جان بردي الغزالي في الشام، وأحمد باشا في مصر، و قلندر جبلي في مرعش وقونيه، وتعددت ميادين القتال في عهده فشملت أوروبا وأسيا وأفريقيا، فقد استولى على بلجراد سنة 1521، وحاصر فينيا 1529 م، دون أن يتمكن من فتحها، وضم إلى دولته أجزاء من المجر بما فيها عاصمتها " بودا " وجعلها ولاية عثمانية، وفي أفريقيا دخلت ليبيا والقسم الأعظم من تونس وارتيريا وجيبوتي والصومال، ضمن نفوذ الدولة العثمانية[2].

أما في آسيا " الشرق " قام السلطان بثلاث حملات كبري ضد الدولة الصفوية، فقد كان القانوني يدرك – كوالده سليم – الخطر الصفوي على الحدود الشرقية للدولة العثمانية، لهذا لم يؤثر موت السلطان سليم على توتر العلاقات العثمانية الصفوية بشكل كبير، ولم يقلل من المجابهات العسكرية بين الطرفين، فسليم – رغم كثرة حروبه – قام بحملة كبرى واحدة ضد الصفويين، بينما الثانية لم تحدث البتة بسبب موته[3]، أما السلطان سليم فقام بثلاث حملات كبرى ضدهم، ابتدأت الأولى في سنة 941هـ /1534، نجحت في انتزاع العراق من الصفويين، واحتل بموجبها السلطان

---

(1) أصاف، عزتلو يوسف، تاريخ سلاطين بنى عثمان، ص 61/60 ؛ عامر، محمد علي، الدولة العثمانية، ص 147 ؛ كرامرز، المرجع السابق، ص 146 – 158 .

(2) (أحمد تمام، سليمان القانوني وقمة عهود الدولة العثماني)WWW.Islam - onlin. Net

(3) أكمل الدين إحسان أوغلي، " العرب في ظل الرابطة العثمانية "، العلاقات العربية التركية من منظور تركي، معهد البحوث والدراسات العربية، ج2، 1993 م، ص 85 – 86 .

بغداد، فسمى بفاتح بغداد، وكانت الثانية سنة 955هـ / 1548 ضمت إلى أملاك الدولة العثمانية تبريز وقلعتي وان
وأريوان، أما الحملة الثالثة والأخيرة سنة 962هـ/ 1555م، أجبرت الصفويين على الصلح وموافقتهم بأحقية العثمانيين في كل من إيوان وتبريز وشرق الأناضول[1].

- الشاه إسماعيل الصفوي 1501/ 1524م .

كان إسماعيل رجل حرب ويعرف جيداً كيف يجمع أعوانه، ويضع نظم الحرب والإدارة فقد استطاع ان يؤسس دولة تقوم على أصول سياسية واقتصادية وإدارية، وقد استمرت هذه الدولة لمدة قرنين، وتمكنت من أن تلعب الدور الأكبر في تاريخ إيران، بفرضها المذهب الشيعي الاثني عشري، مذهباً رسمياً للإيرانيين[2]، وقد صبغ ذلك حضارة إيران بصبغة مميزة إلى يومنا هذا .

يصف كاترينوز سفير البندقية " فينسيا " في البلاد الصفوي الشاه إسماعيل فيقول " إن الشاه إسماعيل صاحب الثلاثة عشر ربيعاً الذي شرع في إقرار الآمن في ربوع بلاده، كان حسن القسمات ..لا أدري أي شئ عظيم ذلك الذي يختفي في عينيه، ويشير في كل وضوح إلى إن هذا الشخص سيصير ملكاً عظيماً يوماً ما ... وقد كان له ذكاء وافر وفكر ثابت لا يصدق في هذه السنين .." [3]، كما أنه استحوذ على إعجاب معاصريه من مؤرخي إيران كابن البزار[4]، فهو يجمع بين النقائض، إذ هو من جهة كان

---

(1) أحمد تمام، " سليمان القانوني وقمة عهود الدولة العثمانية " .
في www. Islam-online. net

(2) الخولى، أحمد، الدولة الصفوية . في www..islam - online . net

(3) الشيباني، مجبر الدين، تتبكيل شاهنشاهي صفوية، ص 95.

(4) وصف هذا المؤرخ الشاه إسماعيل فقال " في الحقيقة كان ذلك الملك نادرة الزمان وأعجوبة الليل والنهار، لأنه خرج في حادثة من سن الصغر، ودن معين، محاولاً فتح الدنيا، فأسقط عدة ملوك عظماء، جمعة، بديع، أحمد الخولي، تاريخ الصفويين، ج1، ص 05 " الهامش".

قاسياً متعطشاً للدماء، إلى حد يكاد لا يصدق، بينما كان من الجهة الأخرى وسيماً، ذا أخلاق رفيعة محبوباً من قبل جنوده إلى درجة العبادة، حتى إنهم كانوا يرمون بأنفسهم إلى ساحة الحرب من غير دورع مؤمنين بأنه يحميهم من الخطر عند القتال، كما كان يلقبه اتباعه بالمرشد العام أو الكامل [1].
فتح عهد الشاه إسماعيل – بما أشتمل عليه من أحداث كبار – صفحة جديدة من تاريخ إيران، فقد جعل من نفسه شخصية بارزة ورجل حرب وسياسة، بإقراره الوحدة الوطنية والسياسية في داخل إيران وثبت مكانة مملكته، غير أنه ألحق ضرراً كبيراً بمنطقة الشرق الإسلامي، بتصعده حدة الصراع بين الصفويين والعثمانيين، وتجسيد الخلاف المذهبي بين السنة والشيعة .

إن المؤرخ البريطاني توبيني، يجعل الشاه إسماعيل هو المسؤول عن انقسام العالم الإيراني (إيران، العراق، آسيا الصغرى) ففي داخل هذا العالم كان المذهب السني يعيش بسلام جنباً إلى جنب مع المذهب الشيعي، ولكن حركة إسماعيل الصفوي التي عملت على بث المذهب الشيعي عنوة أو بالقوة في آسيا الصغرى كما الدولة العثمانية . فقام النزاع بين الدولتين السينية والشيعية، وهذا النزاع قسم العالم الإيراني الموحد – حسب رأي توبيني – في ثقافته واتجاهاته الفكرية، إلى عالمين متنافرين أشد الفنور، عالم شيعي صفوي، وعالم عثماني سني[2]، وبذلك يتحمل الشاه إسماعيل من وجهة نظر توبيني مسئولية انقسام العالم الإيراني .

إن الشاه إسماعيل كان من أولئك الرجال الدين يملكون مواهب نادرة – سلبية أو إيجابية – والمؤمنين أن القدر هيأهم للقيام بمهمة ما ، ويبدو أنه

---

(1) Browne. Edward , Aliteraey Aistory Of Persia . Combridge 1953 , Vol 4 . p 22 - 23

(2) توينبي، أرنولد، تاريخ البشرية، ترجمة نقولا زيادة، الأهلية، بيروت، 1982، ص 188 ؛ توبيني، أرنولد، مختصر دراسة التاريخ، ترجمة محمد شبل، الدار الثقافية في جامعة الدول العربية، (د. ت)،ج3، ص 28.

حين قام بفرض التشيع وإعلان دولته، كان واثقـاً بأنه مكلـف بذلك من قبل قوة روحية عليا[1]، وأنه كان يدعي أن هاتفا غيبيـاً يدفعـه ويرشـده فـي أعماله[2].

من كل تلك الملاحظات المتعلقة بالشاه إسماعيل، يتضح مدى تأثيره في كيان
الدولة الصفوية التي أعلن قيامها، ودخل بها حرباً مع العثمانيين دامت أكثـر من قرنين، فلا يدعو ذلك مجالاً للشك في أنه أحد أسباب هذه الحرب .

- الشاه طهماسب الأول 1524/ 1578م .

في عام 1515م، أرسله والده الشاه إسماعيل إلى خراسـان، ليتـولى الإمارة فيها تحت وصاية خان موصلو، ولم يتجاوز العامين من عمره، ثـم جلس طهماسب على العرش الصفوي عند وفاة والده سنة 1524، ولم يكـن قد بلغ الحادية عشرة من عمره، وحكم إيران حوالي 54سنة، ويعد من أطول الحكام المسلمين حكماً بعد الخليفة العباسي المستعصم بالله[3]، ونظراً لصغر سنه سيطر الزعماء القزلباش على زمام الأمـور فـي الـبلاد، وظهـرت المنازعات وتضاربت الأطماع وتعاظم نفوذهم[4].

---

(1) الشيبي، كامل مصطفي، الطريقة الصفوية ورواسبها في العراق المعاصر، مكتبة النهضـة، بغداد، 1962، ص 30 -31.

(2) يذكر الشاه إسماعيل لمريديه أنه كان ينتهي إليه هاتف يتحرك بأمره، وبمقتضى أوامر الأئمة الاثني عشر، وانه كان معصوماً، وليس بينه وبين المهدي فاصل، وان ظهوره كـان بنبـؤة نسبت إلى علي بن أبي طالب، على صورة بيت من الشعر منحول إلى الإمام، فسر مضمونه بأنه يشير إلى إسماعيل :

صبي من الصبيان لا رأي عنده و لا عنده جد و لا هو يعقل . المرجع السابق، ص 30 .

(3) الخولى، أحمد، الدولة الصفوية، ص 107-138.

(4) البدليسي، شرف خان، شرفنامه، ترجمة إلى العربية محمد على عوني، دار إحيـاء الكتب العربية، بغداد 1962، ج2، 149 ؛ دار المعارف الإسلامية، مج 5، مـادة طهاسـب، ص .306

إن قبائل القز لباش – التي يتكون من غالبتها الجيش الصفوي – كانت خاضعة ومسيرة من سيدها ومرشدها الكامل الشاه إسماعيل، وكن موته وتولية ابنه الصغير الحكم قد أطلق يدها في البلاد، وامتلك رؤساؤها الأراضي والعقارات، حتى صارت إيران تعرف (بمملكة القزلباش) [(1)]، ووصل الحد إلى أن أحدهم (القزلباش) فكر في اغتياله، وتنصيب أخيه " سام ميرزا " مكانه[(2)].

وليس ثمة ما يؤكد رغبة الشاه الجديد في الاستمرار على خط الشاه السابق في توسع حدود دولته بالطرق السابقة، ولئن تمرس هذا الشاه في الإدارة الملكية – لطول مدة حكمه – ويملك زمام الأمر وبدأ ينعم على القزلباش بالمناصب ويغدق عليهم الأموال، فإنه كان مضطراً إلى خوض الحروب للإنفاق على هذه الجموع،

ولكبح جماحها أيضا، قام بتفريق شملهم وتوزيعهم على إنهاء البلاد المختلفة[(3)].

بناء على ذلك يمكن القول أن سياسة طهاسب الداخلية قد أملت عليه في كثير من الأحيان الاستمرار في دخول الحروب سواء في المشرق ضد الاوزبك أم في الغرب ضد العثمانيين، وإن لم يكن مؤثراً كوالده في اندلاع الحرب مع العثمانيين فإن سني حكمه الطويلة (54 سنة) قد شملت جزءاً من الصراع الصفوي العثماني، الذي تكرس من أجل تزعم العالم الإسلامي .

---

(1) الخولي، المرجع نفسه، ص 108.

(2) مهدوي، عبد الرضا هوشنك، تاريخ روابط خارجي إيران، ص 28؛

(3) طهماسب، " الشاه " تذكرة طهماسب، شروح ووقائع وحولات، زندكاني شاه طهاسب صفوي، به اهتمام عبد الشكور، تهران، (د.ت)، ص 43 .

ثانيا : الرغبة في تزعم العالم الإسلامي .

قامت الدولة العثمانية في شمال غربي الأناضول في أواخـــر القـــرن الثالث عشر الميلادي، بعد أن انهارت دولة سلاجقـــة الروم بعـــد هزيمتهـــا على أيدي المغول، وقامت على أنقاضها دويلات تركمانية متنافسة، لم تكـــن أقواها إمارة عثمان التي قيض لها أن تتوسع بصورة مطردة على حساب كل من الدولة البيزنطية المتداعية والإمارات التركمانية في الأناضول، وأن تعبر الدردنيل وبحر مرمرة وتبدأ في التوسع في البلقان، وظلت الدولة العثمانية تتوسع في أوربا وتحرز انتصارات باهرة متتالية على الحملات التي كانـــت ترسلها أوروبا لتدميرها في المهد إلى أن أمكنها في النهاية أن تسقط الدولـــة البيزنيطية بعد أن استولت على القسطنطينية في عام 1453 م، وحققت أملاً طالما راود المسلمين منذ الفتوحات الإسلامية الأولى .

أدى هذا إلى ارتفاع مكانه الدولة العثمانية في العالم الإسلامي، بعـــد أن أصبحت أقوى الدول الإسلامية بخاصة وأنهـــا كانـــت أول دولـــة إســـلامية تستعمل الأسلحة النارية، التي قلبت موازاين القتال لصالح من يستخدمها، ولقد حول محمد " الفاتح " القسطنطينية إلي عاصمة لملكه الممتـــد فـــي أوروبـــا وآسيا، وذلك لتوسط موقعها، وحصانتها، وما لبث أن عرفت باسم استانبول " مدينة الإسلام " وأصبحت قاعدة لدولة إسلامية عالمية، فشيدت بها المدارس والمكتبات والتكـــايا والمؤسسات الخيرية، وغدت أبرز المـــراكز الثقافية في العـــالم الإسلامي[1].

ولما كان العثمانيين منذ نشأة دولتهم قد رفعوا راية الجهاد، فإنهم ما لبثوا أن اعتبروا أنفسهم ملزمين بالدفاع عن العالم الإسلامي بأسره ولـــذا أطلقـــوا على دولتهم بعد اتساعها اسم (دار الإسلام) وعلى سلطانهم بادشياه الإســـلام

(1) Lewis . Bernard . The Emergence Of Modern Turkry , Londan , 1963 . p. 12.

(أمير الإسلام) وعلى جيشهم اسم جند الإسلام، وعلى كبير فقائهم اسم شيخ الإسلام، فشعروا بضخامة المسؤولية الملقاة على عاقتهم باعتبارهم حملة رسالة الإسلام[1]، وكأن شعارهم الجهاد المستمر والتوسع الدائم لدار الإسلام حتى يغطي العالم أجمع[2]، بل إنهم أخذوا بالثقافة الإسلامية وأدخلوها بطريقتهم الخاصة في الإدارة والسياسة وذلك باعتبارهم مسلمين وورثة الحضارة الإسلامية[3]، فكان أحد أهدافهم العليا تزعم العالم الإسلامي .

في المقابل كانت الدولة الصفوية التي أسسها الشاه إسماعيل الصفوي في إيران عام 1501 م، و أعلن في نفس السنة المذهب الشيعي الاثني عشري مذهباً رسمياً للدولة، إذ يعتقد أن يكون إنشاوها هادفاً لمواجهة الدولة العثمانية[4]، وهذا ليس ببعيد عن الرأي الذي يذكره الدكتور بديع جمعة، حيث يعتقد أن الهدف من إعلان المذهب الشيعي هو التخلص من التبعية للعثمانيين حماة المذهب السني، الذي تقوم على دولتهم على أساسه، بل يذهب أبعد من ذلك عندما يقول " ولعل الخلاف العرقي بين الجنس الإيراني في إيران والجنس الطوراني (الأتراك) عبر التاريخ، ذلك الخلاف الذي تزخر بأثاره الأساطير الإيرانية هو الذي دفع الإيرانيين للتفكير في اتخاذ المذهب الشيعي مذهبا رسمياً لدولتهم الصفوية، وبذلك يجدون المخرج من الانضواء تحت العلم التركي العثماني حامي المذهب السني " [5]، ملاحظة أن هذا الرأي يؤكد أن الهدف الصفوي من إعلان المذهب الشيعي، هو هدف سياسي بحت[6].

---

(1) Lewis . Ibid , p. 13.

(2) Inalcik , Halil . The Ottoman Empire The Classical Age 1300-1600 , London , 1973 , p.7

(3) Ltzkowitz . The Ottoman Empire And Islamic Traddition , New York , 1972 , pp. 6-7 .

(4) خالد توفيق، " مناقشة في الفقه السياسي www.Alwelayah.net "

(5) جمعة، بديع محمد، العلاقات العربية الإيرانية، ص 335 .

(6) يجب الإشارة هنا إلى الرأى القائل بأن الدولة اصفوية قدمت نفسها كدولة عقائدية ومرتبطة بالأمامية الأثنى عشر بصورة روحية غيبية " نظرية : النيابة الملكية " www.Btinternet.com

مهما يكن من أمر فإن الدولة الصفوية قد رأت في نفسها دولة إسلامية كبرى تسعى للسيطرة على المناطق الإسلامية المحيطة بها، كما فعلت مع الاوزبك في الشرق، والإمارة التركمانية الأخرى " أق قوينلو "، و بعد أن انتهت من ذلك كان عليها مجابهة الدولة العثمانية في الغرب، بخاصة أن الصفويين اعتمدوا على فكرة الحق الإلهي للملوك الإيرانيين قبل الإسلام، وذلك بوارثة هذا الحق باعتبارهم سادة وأن جدهم الإمام الحسين علي بن أبي طالب، قد تزوج بنت يزد جرد، فأولدها الإمام زين العابدين، فاجتمع الحقان : حق أهل البيت في الخلافة، وحق الملوك الساسانيين فيهم، حسب اعتقادهم إضافة إلى نيابة الإمام المهدي[1]، وبذلك عليهم مجابهة الدولة العثمانية في الغرب، سعيا لتزعم العالم الإسلامي .

والواقع أن الدولة الصفوية كانت تبذل جهداً كبيراً من أجل هذه الغاية لاسيما بعد سيطرتها على العراق، فسعى الشاه إسماعيل إلى دفع قواته من العراق إلى الشام، ولكنه كان يدرك أنه لا يستطيع أن يشق طـــــريقة بين الدولتين الإسلاميتين " العثمانية والمملوكية " [2]. فإذا أراد أن يسيطر على المشرق العربي وبصفة خاصة على منطقة الهلال الخصيب، فعليه أن يتحالف مع الدول الأوروبية الكبرى المعادية لهما، لتحقيق هدفه[3]، حتى لو كان ثمن ذلك عودة قوة صليبية إلى المنطقة الإسلاميـــة الذي بـــذل المسلون من اجل تحريرها نفقات وخسائر لا تحصى ولا تعد[4].

(1) جمعة، بديع محمد، العلاقات العربية الإيرانية، ص 335.

(2) Sykes. Percy . History Of Persia , Oxford , 1992 , p. 71

(3) جمعة، بديع، المرجع نفسه، ص 51 .

(4) إن ما حدث من مراسلات بين الدولة الصفوية، والدول الأوروبية، يعد أحد الأسباب المشجعة للصفويين في الدخول مع العثمانيين في حروب طويلة، خاصة بعد تأكيد هذه الدول بتقـديم المساعدات العسكرية للصفويين، ولكن الباحث أرتا أن يتحدث عن هذه " العلاقة " في الفصل الرابع الذي يناقش تأثيرات الصراع على المشرق العربـــي، باعتبـــار إن هـــذا التعـــاون " الصفوي الأوربي " يعد أحد سلبيات وتأثيرات هـــذا الصراع اكثر من كونه سبباً .

لئن كانت تلك هـي الأسباب السياسيـة الرئيسيـة لاندلاع الصراع الصفوي العثماني، فإن هناك مجموعة من الأحداث التي كان لها أثر في العلاقة بين الطرفين، ويبدو أنها قد أسهمت بشكل أو بآخر في تقريب تفجر الصراع .

التنافس على إمارة ذو القدر الحدودية :

إن أولى هذه الأحداث هو التنافس بين الطـرفين – إضـافة إلـى المماليك – على النفوذ في إمارة ذو القدر الحدودية " في البستان ومرعش "، خاصة بعد أن دخلت الجيوش الصفوية الأراضي العثمانية إبان حربها مـع هذه الإمارة 1507م[1]. ولئن كان الشاه إسماعيل قد سارع بإرسال خطـاب إلى السلطان العثماني بايزيد وسفارة تعتذر عن انتهاك حرمـة الأراضـي العثمانية، فإن السلطان العثماني ظل متخوفا من تحركات الشـاه إسـماعيل فأرسل جيشاً إلى أنقره بقيادة يحيى باشا، ظل معسكراً هناك حتـى عـادت جيوش الشاه إسماعيل، وقد أدى استيلاء الشـاه علـى أراضـي إمـراة ذو القدر[2]، أن أزداد قرباً من أراضي آل عثمان، فأخذ بايزيد فـي الاتصـال بالسلطان المملوكي قنصوره الغوري، الذي تلقي تعهداً من الشـاه إسـماعيل بأنـه لا ينوي المساس بأراضي الشام، ومع ذلك فقد رد علـى بايزيـد رداً حسناً، وظل بايزيد على سياسة الحذر، فأرسل سفارة لتهنئة الشاه إسـماعيل (بفتح بغداد)، لقيت استقبالاً سيئاً من الشـاه إسـماعيل، وسُـرت مشـفوعة

---

(1) متولي، أحمد فؤاد، الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته، ص 66 .

(2) ارتبطت إمارة ذو القدر بالمصاهرة مع العثمانيين، فقد تزوج السلطان محمد جلبي ابنة أحـد أمرائها ويدعى سولي بك " ت 800/ 1397م " وأرسل السلطان مراد الثاني إلى أميرهـا " 858هـ/ 1454 م" في طلب خمس بنات زوج أجملهن وهي سيني مكرمة خـاتون لابنـه محمد الفاتح، وتزوج بايزيد الثاني عائشة خاتون ابنة علاء الدولة أخر أمراءها، فأنجبت لـه سليم الأول، متولي، أحمد فؤاد، الفتح العثماني للشام ومصر مقدماته، ص 65 .

بتهديدات عدة للسلطان بايزيد، فزاديت هذه الحادثة من شدة تـوتر العلاقـات بين الطرفين، خاصة عندما استقبل القصر الصفوي[1]، أحد الأمراء الفـارين من آل عثمان .

- إيواء الصفويين للأمير مراد :

حرضت بعض الدول المجاورة للدولة العثمانية، كدولة المماليك والدولة الصفوية، الأمراء العثمانيين على اللجوء إلى أراضيها، أو أوت الفارين منها، لما يحدثه ذلك من تهديد للعرش العثماني، وقد سبب هذا عداء شديداً بين العثمانيين وجيرانهم، لخوف السلاطين من إمداد هذه الدول للأمراء بجيوش لمحاربتهم، خاصة إذا كانوا في أوائل عهدهم بالحكم ولم يستقروا في العرش تماماً، وهذا ما حدث مع السلطان العثماني سليم الأول وابنه أخيه مراد بن أحمد .

على أثر قضاء السلطان سليم الأول على أخيه أحمد المطالب بالعرش في موقعة يني شهر[2]، فر أحد أبنائه وهو الأمير مراد إلى إيران فاستقبله الشاه إسماعيل في تبريز عاصمة الصفويين[3].

وتذكر الرواية الصفوية " أن الأمير العثماني مراد هرب إلي الأراضي الإيرانية بصحبة جيش يبلغ عشرة آلاف جندي، في نفس الوقت وصل مبعوث من السلطان سليم يُدعى عزت حابيس إلى البلاط الصفوي يعلمه أنه

---

(1) جاء في راوية عثمانية " أن الأمير سليم بن بازيد (السلطان سليم الأول لاحقا) كان يتنكر في زي درويش ويدخل قصر الشاه، إسماعيل بتبريز ويلاعبه الشطرنج، شتار، إبراهيم الدسوقي، أثر الصراع المذهبي بين الشاه إسماعيل الصفوي والسلطان سليم العثماني في الأدب الفارسي، رسالة ماجستير " غير منشورة " جامعة القاهرة، كلية الآداب، 1967 م، ص 28.

(2) النهروالي، قطب الدين، الأعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص 97 أ.

(3) Potter. G. R , op. cit , p411p ; Perry . V . J . op.cit . p 70.

أصبح ملكاً، وأراد من الشاه إسماعيل أن يسلمه الأمير مراد، لكن الشاه لم يعترف به رسمياً وذكر أنه الغاصب للعرش[1]، ويذكر صاحب كتاب عالم أراي صفوي، أن الشاه قال للأمير مراد " اطمئن فسأنتقم لأبيك من عمك السلطان سليم وسأقضي عليه، واجعل كل بلاد الروم [الدولة العثمانية] لك فشكره الأمير مراد وقال إنه التجأ إليه لحسن اعتقاده في الصفويين وليشرف رأسه بلبس تاج الأئمة الاثني عشر، فخلع الشاه إسماعيل التاج من على رأسه وألبسه للأمير، وقال له " أمامنا نحو شهر ونصف إلى أن يحل فصل الربيع، وآنذاك سنتوجه إلى تبريز لجمع الجيش، وإذا حضر السلطان سليم وفر علينا الجهد، وإلا فستكون معركتنا على شاطئ اسكودار[2]، بعد ذلك خرج الشاه إسماعيل للصيد وأصطحب معه الأمير مراد

فلما رجعوا لمخيمهم ظهرت أعراض المرض على الأمير مراد، وتوفي بعد ستة أيام [3].

رغم ما قيل عن اعتناق الأمير مراد للمذهب الشيعي، أو أنه يضمر ميولاً شيعية على الأقل[4]، فإن فراره إلى الأراضي الإيرانية، لطلب الدعم من الصفويين، من اجل محاربة عمه السلطان سليم، يشكل تهديداً للعرش العثماني، بل إنه أعطى فرصة للصفويين للتدخل في الشئون الداخلية للدولة العثمانية، لاسيما أن الشاه إسماعيل اعتبر الأمير مراد هو السلطان الشرعي،

---

(1) مهدوي، عبد الرضا هوشنك، تاريخ روابط خارجي إيران، ص 19.

(2) أسكودار، كلمة فارسية تعني محطة البريد، وهي أسم اكبر حي باستانبول في الطرف الآسيوي من الباسفور عند سفح تل بلغرلُ في الجهة التي يمتد فيها الشاطيء الآسيوي نحو الغرب، ونظراً لموقعها الجغرافي كانت الجيوش العثمانية تعسكر في السهل الفسيح الواقع في جنوبها . كرامرز، " أسكودار "، دائرة المعارف الإسلامية، مج 2، ص 146 - 148 .

(3) مؤلف مجهول، عالم آراى صفوي، ص 470- 472.

(4) العربي، توفيق حسين، الصراع العثماني الصفوي، ص 1 ؛ شنار، إبراهيم الدسوقي، أثر الصراع المذهبي بين الشاه إسماعيل الصفوي والسلطان سليم العثماني في الأدب الفارسي، ص 33.

بقصد إضعاف موقف السلطان سليم[1]، ما زاد من توتر العلاقة بين الطرفين[2].

ثمة أمر آخر، وأن كان غير مقنع في بدء الحرب بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية، فأن السلطان سليم الأول اتخذه ذريعة لشن الحرب على الصفويين، فقد اعتبر السلطان سليم الأول عـــدم إرسال الشاه إسماعيل الصفوي سفارة للتعزية في وفاة أبيه وللتهنئة على العرش، إهانة شخصية موجهة لـــه، خاصة أن الدول التي لها علاقات مع الدولة العثمانية قامت بإرسال بعثات إلى سليم يهنئونه بتولي السلطة.

هكذا اتضح ضعف تأثير الاختلاف المذهبي في الصراع الصفوي العثماني، رغم أنه أستعمل كستاراً في الصراع، يخفي وراءه جملة من الأسباب، منها أسباب اجتماعية واقتصادية، إضافة إلى مجموعة من الأسباب السياسية، وأن كل هذه الأسباب مجمعة قد أدت في نهاية الأمر إلي تفجير الصراع بين الطرفين .

---

(1) Savory . R , Iran Under The Safavids , combridge , 1980 .p. 40.

(2) فيم يتعلق بالمبعوث العثماني عزت حابيس، فأنه لم يلقي الترحيب من الشاه إسماعيل، بل أن الشاه اتهمه بالتجسس، ورغم ذلك، سمح له بالعودة للأراضي العثمانية، مهدوي، عبد الرضا هوشنك، تاريخ خارجي إيران، ص19.

الفصل الثالث

مراحل الصراع الصفوي العثماني 1514 - 1555 م

المبحث الأول : العلاقات الصفوية العثمانية 1505 - 1514 :

الاحتكاكات الأولى .

- حملات سليم في الأراضي الصفوية .
- حركة الشاه قولي **1511**م.
- عمليات الملاحقة العثمانية لأنصار الصفويين في شرق الأناضول.

المبحث الثاني : الاجتياح العثماني لإيران والصراع على كردستان .

أولاً: الهجوم العثماني واجتياح تبريز.

ثانيا: الصراع على كردستان .

المبحث الثالث : الصراع من 1534/ 1548 م .

أولا: حرب العراقين **1534** م .

ثانيا: حملة سليمان القانوني بالتحالف مع القاص ميزار الصفوي **1548/1549**م .

المبحث الرابع : الصراع من 1553 / 1555م .

أولاً : حرب نخجوان **1553**م .

ثانيا: معاهدة أماسيه **1555**م.



المبحث الأول

العلاقات الصفوية العثمانية 1505 - 1514

الاحتكاكات الأولى

- حملات سليم في الأراضي الصفوية .
- حركة الشاه قولي 1511م.
- عمليات الملاحقة العثمانية لانصار الصفويين في شرق الأناضول.

لقد تميزت العلاقة الصفوية العثمانية قبل البداية الفعلية للصراع بمجموعة من الأحداث، يمكن أن يضيف منها ثلاثة أحداث رئيسة كان أولها العمليات الحربية التي قام بها سليم، عندما كان أميراً على ولاية طرابزون، التي كانت أحد الأسباب التي مهدت له الطريق للعرش العثماني، ثم تأتي حركة شاه قوللي في ولاية تكه ضد الدولة وإضافة إلى عمليات الملاحقة التي شنها العثمانيون ضد أنصار الصفويين في شرق الأناضول.

حملات سليم في الأراضي الصفوية :

في واقع الأمر، إن المعلومات عن تحركات سليم أمير طرابزون، ضد الدولة الصفوية، تبدو شحيحة جداً، ولم يجرِ التركيز عليها في معظم الدراسات، حيث اعتبرت نوعاً من المنافسة بين أمير طموح(سليم) متعصب لمذهبه السني، وآخر (الشاه إسماعيل) مطالب بممتلكات دولة الأق قويونلو، لأنه يرى نفسه الوريث الشرعي لها، لكن سير الأحداث فيما بعد وتحولها لصدام بين الدولتين، العثمانية والصفوية سيثبت عدم صحة ذلك .

كان أول عمل قام به سليمَ، أنه أستدعى سلطان مراد آخر أمراء دولة الأق قويونلو الذي طرده الشاه إسماعيل من عرشه إلى طرابزون، ومنحه وأولاده بيوتاً ووظائف ثم قام بثلاث جملات على الأراضي التابعة للدولة الصفوية في كرجستان استولي خلالها على الإيالات الثلاث : قارص، أرضروم، أرتفين، التي تضم خمسة عشر قصبة: بوسوف، هاناك، أردخان، جلدر، كوله، أيسبر طورطم، نارمان ألطو، أولر، شنقايا شاوشات، أردانوج، يوسف إيلي، وأستولى عدا ذلك على أهبسكا وأهيلكلك (في كرجستان حالياً) [1].

بعد النجاح الذي حققه حاكم طرابزون، اتجه إلى الأراضي التي احتلها الشاه قريباً من دولة أق قويونلو، وهي بايبورت، أرزنجان، كماه، أيسبر

كموشخانه جمشكزك (طونجلي)، وسلم الأخيرة للأمير الكردي بير حسين، الذي أثارت بسالته وبطولته أعجاب الأمير سليم[2] بينما ضم الباقي إلى لوائه، فأرسل الشاه جيشاً بقيادة أخيه إبراهيم ميرزا لاسترجاع هذه الأراضي حيث كان يدعي أنه وريث كل ممتلكات أق قويونلو، اصطحب سليم ابنه الأوحد سليمان، الذي كان أميراً على (كفه) في القرم، وسار بسرعة لملاقاة الجيش الصفوي، ولا يعلم بالتحديد كيف سارت الأحداث بينهما، إلا ما يرويه نظام الدين مجير، عن التقاء الجيشين في أرزنجان، وسحق سليم لجيش إبراهيم ميرزا وأسره[3]، لقد أدت انتصارات سليم على الصفويين، إلى إكسابه اعتباراً ولُحنت فيه قصائد شعبية، مثل سر سلطاني سر اليوم يومك[4].

---

(1) يلماز، أوزرتونا، تاريخ الدولة العثمانية، 204 .

(2) زكي، محمد أمين، تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد العثماني، عربه من الكردية محمد علي عوني، 1945 م، ص 372 .

(3) الشيباني، نظام الدين مجير، تشكيل شاهنشاني صفوية، ص 155.

(4) يلماز، أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ص 206.

ولا يُعلم يقيناً بدء هذه الحملات، ولكن من المرجح أنها كانت قبل سنة 1505 م بقليل ففي هذه السنة يرجح نيفولا فاتان استقبال البلاط العثماني سفيراً صفوياً مكلفاً بالمطالبة بطرابزون لسيده، وبالاحتجاج على الغارات التي شنها الأمير سليم[1]، وبناءً على شكاية الشاه من جهة، وعدم رغبة السلطان العثماني بايزيد الثاني تصعيد الموقف مع الصفويين من جهة أخرى، أطلق سليم سراح إبراهيم ميرزا أخ الشاه، بالإضافة إلى إخلاء أرزنجان وبايبورت وكماه وأيسبر، وإعادتها للصفويين[2] ولكنه أعلن أن هذا العمل يعني انعدام الشرف .

استاء الجيش العثماني من تسليم تلك الأراضي للصفويين، ولم يلق هذا التصرف ارتياحاً سواء من الجيش أم أهالي الأناضول، أو من سليم، على أثر ذلك ترك سليم لواءه دون طلب موافقة والده السلطان بايزيد، وانتقل فجأة إلى القرم، وأبلغ استانبول بذريعة تهكمية مفادها اشتياقه لابنه الأوحد سليمان حاكم كفه، والحقيقة أنه ذهب للقرم للحصول على مساعدة والد زوجته خان القرم منكلي كيراي، حيث أمكنه الحصول على قوات ومؤن منه[3]، حيث كان أخوته الكبار، قد بداؤا التحرك لوراثة العرش (1509-1512) [4] التي تمت الإشارة إليها في الفصل السابق .

حركة الشاه قوللي 1511م :

إن خطر قيام نزاع بين العثمانيين و الصفويين، بدأ كأنه تراجع في عام 1510م لأن الشاه إسماعيل قد حول انتباهه صوب الشرق، حيث اكتسح

---

(1) مانتران، روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ص 164.

(2) يدعى نظام الدين مجير أن البلاط العثماني لم يحسن وفادة سفير الشاه، ولم يعر اهتمام بمطالبه . شيباني، نظام الدين مجير، تشكيل شاهنشاهي صفوية، ص156.

(3) مهنا، محمد نصر، الإسلام في آسيا، ص138؛ ياغي، إسماعيل احمد، الدولة العثمانية ...، ص56 .

(4) يلماز، اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ص 206.

خان ترانس سوكسانيا الأوزبكي ولاية خراسان الفارسية، وقد جلب هذا التحول ارتياحاً عثمانياً[1].

بيد أن حدث ما وتر العلاقات بين الطرفين، حيث شهد ربيع العام التالي، تحديداً 9 أبريل 1511 م وهو يوم هام في التقويم الشيعي[2]، نشوب ثورة ضخمة في تكه (Tekke) – انطاكيا – أحد ولايات الأناضول على الحدود الشرقية للدولة العثمانية، بقيادة زعيم شيعي تضاربت الآراء حول اسمه، ففي حين يشير المستشرق الروسي بيكولوسايا إلى أن اسمه حسن أوغلو من قبيلة تكلو[3]، فإن براون يذكر أنه بابا شاه قوللي بن حسن خليفة[4] والواضح أن الاسم الذي عرف به لدى اتباعه، هو شاه قوللي، أي: عبد الشاه أو خادم الشاه، بينما أسماه العثمانيون شيطان قوللي، أي عبد الشيطان[5].

في ذلك الوقت كان الشاه إسماعيل، في بلاد ما وراء النهر في حربه مع الأوزبك، بينما انشغل العثمانيين بقضية ولاية العرش بين أبناء بايزيد وبسرعة لحركات حوادث العنف وبلغ الثورة ذروتها، وتحرك المتمردين من أنطاليا إلى كوتاهية، حيث سحقوا في طريقهم قوات بكلربك الأناضول قره جوز باشا وقطعوا رأسه[6] قرب أفيون قره حصار(Afium Karah Isar)

---

(1) Parry. V.J.Op.Cit .p. 65

(2) يوافق في التاريخ الهجري، العاشر من محرم 917هـ وهو يوم عاشوراء، ويوافق يوم كربلاء في 61هـ /10 أكتوبر 680م – وهو يوم حداد عند الشيعة، مانتران، روبير، الدولة العثمانية، ص 168 169.

(3) نيكولوسايا، ن، و، تاريخ إيران أز لوران باستان سايابان سدة هيجدم ميلادي، ص 475.

(4) براون، أد وارد، تاريخ أدبيات إيران أز أغاز عهد صفوية تارمان حاضر، ترجمة إلى الفارسية، رشيد باسمي، جاب دوم، طهران، 1329هـ. ش ص 72 .

(5) القرماني، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، ص312.

(6) ابن اياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج5، ص22؛ دائرة المعارف الإسلامية، مج5، ص174.

وكوتاهية، ثم تقدموا صوب بورصة (Bursa) ويشير هنا ستانفورد- اعتماداً على أحد المصادر الفارسية التي لم يذكرها- أن شاه قوللي حصل على دعم آلاف الجنود العثمانيين الذين أُرسلوا لقمعه[1] وبعد سقوط معظم وسط وجنوب غربي الأناضـــول بيد المتمردين، أرسل السلطان العثماني بايزيد الثاني، 8000 جندي انكشاري قادهم الصدر الأعظم حلمي باشا فانسحب شاه قوللي صوب قيصرية، ووقعت قرب هذه المدينة معركة في شهر يونيو 1511 م، قتل فيها كل من الصدر الأعظم وشاه قوللي[2]، وانهزم أتباع الأخير، وبدون قيادة سرعان ما أن انتهى التمرد، ولاذت القوات المتبقية بالفرار بقيادة أستادجي أوجلو إلى الشاه إسماعيل، الذي أعدم بعضهم بدعوى الأفعال المشينة التي ارتكبوها أثناء هروبهم إلى تبريز[3].

بيد أن الشاه أراد بهذه الطريقة أن يتنصل من مسئولية التمرد، لأنــه لم يُرد آنذاك أن يثير العثمانيين لاسيما أن حربه مع الأوزبك مازالت قائمة، وفي نفـــس الوقت لم يكن بايزيد فـــي وضع يسمح له بمهاجمة الصفويين – إذا كان يرغب في ذلك – إذ أن الخصومة بين أبنائه بشأن خلافة العـــرش، كانت على وشك الوصول بالدولة إلى حالة حرب أهلية[4].

تجدر الإشارة إلى أن شاه قوللي توضيحاً لنفســـه على أنـــه خليفـــة لإسماعيل، أرسل وعاظه الخاصين حول الأناضول، وادعى أكثرهم تطرفـــاً أن قائدهم هو المرسل من الله لينقذ البشريـــة، ثم ادعـــى أنه النبـــي، وأنـــه الله نفسه[5].

---

(1) Shaw. Stanford ,Op. cit,p78

(2) Inalcit. Hlil ,"the Rise the Ottoman Empire" the Cambridge History of Islam ,vol1,p314.

(3) بطروشوفسكي، الإسلام في إيران، ص377؛ براون، إدوارد، تاريخ أدبيـــات إيـــران...، ص 72.

(4) Parry. V.J.Op.Cit .p65

(5) Potter. G.R,Op. Cit,P406; Shaw. Stanford. Op.Cit. P78

مهما كانت درجة الاتهام الموجهة للشاه إسماعيل في إشعال تلك الثورة ومهما كان الأمر من حيث إنها قامت بعلمه وتدبيره أم لا، فإن المؤكد أن عام 1511م شهد ثورة مسلحة قام بها أحد أتباع الطريقة الصفوية ضد الدولة العثمانية في إقليم الأناضول، وأن تلك الحركة التي سرعان ما تحولت إلى ثورة عامة مثلت خطراً شديداً على الدولة العثمانية، التي لم يكن أمامها سوى أن توجهها بحزم .

إن أخطر ما في هذه الثورة على العثمانيين، أن نائب السلطان العثماني في المنطقة التي اندلعت فيها الثورة كان ابنه قورقود (1467-1513م) - أحد الساعيين لتولي العرش العثماني- قيل إنه على صلات طيبة مع الشاه قوللي[1]، إذ ليس من المستبعد إذ ما أمكن الشاه قوللي، أن يتلقى من الشاه إسماعيل مساعدة عسكرية، أن تنجح ثورته في الأناضول، وربما كان قد نتج عنها تولي سلطان جديد العرش العثماني، يدين بتوليه للشاه إسماعيل .

يعتقد الباحث أن إدراك العثمانيين لهذه الحقيقة من جهة، وتولي السلطان سليم الحكم في الدولة العثمانية، خلفاً لوالده بايزيد من جهة أخرى، وتر العلاقات بين العثمانيين والصفويين، بشكل لا يمكن معه تفادي حربٍ محتملة بين الطرفين .

وردًا على الانتهاكات الصفوية في الأراضي الخاضعة للعثمانيين في الأناضول قام السلطان العثماني الجديد سليم الأول(1512-1520م) بشن عمليات ملاحقة لأنصار الطريقة الصفوية في الأراضي التابعة له .

عمليات الملاحقة العثمانية لأنصار الصفوية في شرق الأناضول :

سبقت الإشارة إلى أن تولي سليم العرش العثماني، أنذر بتصاعد التوتر بين دولته و الصفويين، فبدأ في التدبير لشن حرب حقيقية على

---

(1) مهنا، محمد نصر، الإسلام في آسيا، ص 137.

الصفويين في إيران، وبعد إصداره الفتاوى الدينية لحربهم، وكنوع من التكتيك الحربي، تحرك سليم لملاحقة أنصار الشاه إسماعيل في الأراضي العثمانية بشرق الأناضول حتى يضمن جبهته الداخليـــة، إذا قرر الزحف نحو الأراضي الإيرانية، حيث ذكرت العديد من الروايات أن السلطان سليم قتل في هذه العمليات 40 ألف شيعي [1]، بينما زادت البعض إلى 44 إلى 70 ألفاً[2]. ولكن الأمر يحتاج وقفة لمعرفة حقيقة هذه الحادثة المروعة بحسب هذه الأرقام .

وملخص ما تتناوله معظم الدراسات بشأن هذه الحادثة : أن السلطان سليم بين سنتي (1513-1514م) أسس فرقة عظيمة من البوليس السري وبثها في سائر أنحاء سلطنته الواسعة، وتمكن بها من تحرير كشف طويل كامل بأسماء كافة المسلمين المتهمين في الأراضي العثمانية - لاسيما الأناضول - بالميل إلى المذهب الشيعي، فكانت جملتهم، رجالاً ونساءً وأطفالاً سبعين ألفاً، وزع سلم العساكر في سائر أقاليم الدولة جعل في كل إقليم من العساكر ما يناسب عدد الشيعة الذين فيه، ثم أرسل العساكر فقبضوا على سائر الشيعة، وذبح منهم أربعين ألفاً، وحكم على من بقى منهم بالسجن الأبدي[3]، وفي الروايـــة الصفوية، ختم جبين كل شيعي بدل السجن[4].

وقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية الشيعية " كان كثير من الناس يشتركون في هذه المجازر للتواب - كما أخبرهم شيوخ الإسلام بذلك - وطلباً للمنفعة الدنيوية، حيث كان الشخص يستلم عن كل رأس يقطعه من

---

(1) اشتياني، اقبل، تاريخ إيران بعد الإسلام، 645.

(2) الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ص 312،293.

(3) مؤلف مجهول، تاريخ الأتراك العثمانيين، ص40، الأمين محسن، أعيان الشيعة، ص322 ؛ المحامي،محمد فريد بك، تاريخ الدولة العثمانية، ص ص 74، إقبال، عباس، تاريخ إيـــران بعد الإسلام، 645 ؛ Sykes. Percy. Op. Cit. P74.

(4) مهدوي، عبد الرضا، تاريخ روابط خارجي إيران، ص19.

رؤوس (المرتدين) نصف بايزي (عملة عثمانية) وعن كل زوج بايزي واحد "[1]، فيما يعتقد محمد فريد بك المحامي، أن السلطان سليم أمر بهذه المذبحة لإيجاد سبب لحرب الصفويين[2].

إن نظرة مغايرة للرواية السابقة، التي اعتمدها العديد من الباحثين، قد تأتي بجديد بشأن هذه الملاحظات والأرقام، فتنفيذ عملية كهذه خلال فترة وجيزة وفي ظروف ذلك الزمان، أمر يصعب تطبيقه من الناحية العملية، وهذا ما حدا بـــ(جان لوي) أن يقدم انتقاداً شديد اللهجة، ويقول : " ليس هناك ما يسمح بتأييد الأسطورة، التي تتحدث عن ذبح 40.000 مهرطقاً، الذي قيل إنه حدث في عام 1514 م إذ يبدو أنها شديدة التأثير بدوار الأرقام الشرقي[3]، بل إن إكمال الدين يؤكد " أنه لا توجد البتة معلومات في المصادر حول الادعاء أن أربعين ألف شخص جرى إعدامهم نتيجة لتلك المطاردة في الأناضول خلال الأعوام التي سبقت معركة جالديران[4].

يمكن الفصل في هذا الحدث والقول، أن سليم خلافاً لسياسة والده بايزيد الذي نقل 30 ألفاً من أنصار الأسرة الصفوية إلى جزر المورة في أعقاب تمرد عام 1501 م في قرمان اتبع سياسة أكثر قسوة، وبدأ في ملاحقة ومضايقة مريدي الشاه إسماعيل وطريقتـــه، وأجـــرى بعض الاعدامـــات للنشطين منهم – مبعوثي الشاه – بقصد إخافة الباقين وإجبارهم على الفرار والتشتت، كي لا يستفيد منهم عدوه الشاه إسماعيل[5]، وهذا ما يتوافق مع ما جاء في دائرة المعرف الشيعية – التي أيدت الرواية السابقة – " فراحوا يغادرون أوطانهم جماعات وتوجه بعضهم إلى جزيرة قبرص (التابعة

---

(1) الأمين، حسين، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ج6، ص109،110.

(2) المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص74.

(3) مانتران، روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ص 209.

(4) أوغلي، أكمل الدين، الدولة العثمانية، الجزء الأول، ص31.

(5) Allouche . Adel . Op.Cit . P.12 .

لجمهورية البندقية) ومن بين القبائل التي هاجرت نحو المناطق الحدودية الإيرانية قبيلة ساري قميش، وتتألف من تسعة آلف شخص"[1].

بيد أن ما أثبت تاريخياً هي المذبحة التي أجراها السلطان سليم في عاصمة ملكه استانبول، وذلك أن استصدر فتوى من رجال الدين العثمانيين بتكفير أتباع المذهب الشيعي الإثني عشري فقام بإغلاق أبواب المدينة، وتم القبض على خمسة آلاف شيعي[2].

إن الأحداث سالفة الذكر رغم ما حملته من تجاوزات واعتداءات من كلاً الطرفين، بيد أنها لم تصل إلى حد إعلان الحرب رسمياً، وذلك بسبب انشغال الطرفين، حيث لم يكمل الشاه إسماعيل حروبه مع الأوزبك في الشرق بعد، بينما انشغل السلطان العثماني سليم في تثبيت دعائم حكمه المتمثلة في حروبه مع اخوته المطالبين بالحكم، ولكن الأحداث تسارعت بسرعة، ولم تدع مجالاً للشك بقيام حرب بين الجانبين، تمثلت في أقوى وأعنف جولاتها في معركة جالديران سنة 1514م .

---

(1) الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ج6، ص 110.

(2) شتار، إبراهيم الدسوقي، أثر الصراع المذهبي بين الشاه إسماعيل الصفوي والسلطان سليم العثماني في الأدب الفارسي، ص 34.

المبحث الثاني

اجتياح إيران والصراع على كردستان

- الهجوم العثماني واجتياح تبريز.
- الصراع على كردستان.

أولاً :الهجوم العثماني واجتياح تبريز :

لقد تفاعلت جميع العوامل والأسباب المباشرة، وتشعبت تلك الظروف الصعبة بروح الحرب والسعي إلى المواجهة، إذ أقنعت تجربة سليم السابقة في طرابزون، بأن المشكلة الكبرى له كانت التهديد الصفوي، فجهز حملة عسكرية كبرى قادها بنفسه إلى إيران .

لكي يؤمن سليم تركيزه على الشرق، كان عليه أن يؤمن وضعه مع الأوروبيين في الغرب، لهذا فإنه جدد الاتفاقيات مع البندقية وهنكاريا (المجر) ومنحهما امتيازات تجارية متزايدة، ولكنه فشل في جهوده لإقامة علاقات طيبة مع روسيا [1] كما عقد اتفاقيات سلام مع النمسا ومماليك مصر والشام[2] وبمبادرة منه لكسب حليف قوي له أرسل رسالة إلى عبيد الله خان الأوزبكي يُعلمه من خلالها عن نواياه في التحرك باتجاه إيران، فكان ردّ عبيد الله، أنه أعلم سليم عن بدء استعداداته لهذا الشأن، وأنه بدأ العمل بالفعل،

---

(1) لم تنجح جهود السلطان في عقد اتفاق مع قيصر روسيا باسيل(1505- 1533م) لأنه وجد معارضة شديدة من خانات القرم الذين كانوا يقاومون التوسع الروسي، عوضاً عن ذلك تم إطلاق يد خان القرم محمد جيراي1514-1523م الذي بدأ هجمات قوية في الأراضي الروسية والبولندية، ودخل في تحالف مع خانية قازان لحماية الأخير من قيصر روسيا باسيل . Shaw.stanford,Op.Cit.80.

(2) مهدوي، عبد الرضا هوشنك، تاريخ روابط خارجي إيران،ص 19.

وانتصر على القوات الصفوية في سمرقند[1]. وفقاً لذلك كان سليم قـــادراً أن يتحول نحو الشرق.

حرب جالديران 1514م :

أمر السلطان سليم بإنعقاد اجتماع طارئ للديوان السلطاني في مدينة أدرنة في 19 محرم 920هـــ - 26 مارس 1514 م، حضره قادة الجـــيش ورجال الدين والعلماء[2]، أعلن فيه الحرب على الدولـــة الصـــفوية، وبـــدأ مسيرة طويلة نحو إيران، حيث حشـــد جيشه فـــي سهل يني شـــهر (yeni shehir)، وتحرك نحو قونيا ومن ثم إلى قيصـــرية، هنـــا طلـــب الســـلطان مساعدات لتمويل جيشه من علاء الدولة حاكم مرعش والبستان (إمـــارة ذو القدر) الذي اعتذر للسلطان، لأنه لا يستطيع القيام بأدني مجهود لكونه تحـــت الحماية المملوكية وما أن مضى السلطان في طريقه هاجم علاء الدولة ســـاقة الجيش العثماني، بإيعاز من السلطان المملوكي قانصوه الغوري على أغلـــب الاحتمالات[3].

الأمر الذي جعل السلطان سليم يرسل للغوري يخبره بما فعل عـــلاء الدولة فجاء رد الغوري" أن علاء الدولة عاصٍ فإن ظفرت به فاقتله " وفـــي الوقت ذاته أرسل إلى علاء الدولة يشكره على فعله[4]، ويبـــدو أن الســـلطان الغوري كان يقصد بذلك ضرب القوى بعضها البعض ليخفف من ضـــغطها على دولته، إلا أن هذه السياسة كان لها الأثرَ السلبي على الدولتين المملوكية وذو القدر فيما بعد .

---

(1) صباغ، عباس إسماعيل، تاريخ العلاقات العثمانيـــة الإيرانيـــة والســـلام بـــين العثمـــانيين والصفويين، دار النفائس، بيروت، 1999 م، ص 128.

(2) الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ج، ص 101.

(3) Parry.V.J ,Op.Cit,P70.

(4) أبن زنبل الرمال، تاريخ السلطان سليم خان، ص 8 أ .

نتيجة لهذه الأحداث ترك السلطان سليم أربعين ألفاً من جنده فيما بين سيواس وقيصريه للحفاظ على أمن الأناضول تحسباً لأي اختراق قد يحصل من أية جبهة من الجبهات التي تنافسه، ولحماية مؤخرة جيشه من أنصار الشاه وقوات ذو القدر[1] وليس كما اعتقد إبراهيم بك حليم بأنّ الغرض من إبقاء هذه القوات أن غالبيتهم من التجار، وأنهم لا يتحملون أثقال السفر والقتال[2] ولعل إبقاء هذه القوات بتلك المنطقة هو سبب اختلاف الآراء حول تعداد الجيش العثماني، وواقع الأمر أن الجيش الذي تحرك من الأسكودار (أحد ضواحي استانبول) بلغ 140.000 جندي حيث اعتبره جان لوي أكبر جيوش عصره[3]، بينما الذي دخل معركة جالديران يبلغ 100.000 جندي، في هذه الأثناء كان الشاه إسماعيل مشغولاً بإخراج الأوزبك من خراسان، فأمر محمد خان استاجلو نائبه على ديار بكر أن يسرع إلى تخريب القرى الواقعة في متناول الجيش العثماني، ثم ينسحب إلى أذربيجان، وقد أنجز استاجلو المهمة بنجاح، الأمر الذي اخر وصول جيش سليم إلى إيران وأنهكه[4] بيد أن الجيش العثماني تنفس الصعداء عندما وصلته مؤن تم نقلها عن طريق البحر إلى طرابزون[5] التي كانت تنقل من هناك بمشقة على ظهور الجمال[6].

إن العثمانيين الذين استنفدت طاقتهم بعد مسيرتهم الشاقة كان عليهم أن يواجهوا أقصى تمركز للقوات الصفوية، ولا يُعلم تحديداً عدد الجيش

---

(1) (حرب ايران (www.Islampedia.com ؛ ولايتي، على أكبر، تاريخ روابط خارجي إيران در عهد شاه إسماعيل صفوي، مؤسسة جاب، طهران 1375هـ ش، ص142.

(2) حليم، إبراهيم بك، تاريخ الدولة العثمانية العلية، ص 80 .

(3) مانتران، روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ص 211 .

(4) الخولي، أحمد، الدولة العثمانية،ص 75.

(5) Potter.G.R,Op.Cit,P411.

(6) Parry.V.J,Op.Cit,P70.

الصفوي، ففي حين تصمت المصادر الصفوية عن ذكر تعداد الجيش، فإن الباحث الإيراني مهدوي يذكر أن الجيش الصفوي يبلغ 27 ألف جندي[1]، في حين يذكر سيكس – اعتمادا على مصادر عثمانية- أن قوات الشاه كان تعدادها 60 ألف فارس[2]، بينما يعتقد الباحث التركي يلماز، أن الطرفين العثماني والصفوي متعادلان، 100.000 متحارب لكل منهما[3].

حال تحرك العثمانيون عبر ولايتي أرزنجان وأرضروم إلى الإمتدادات العليا للفرات، تجنب الصفويون الدخول في معركة مفتوحة معترفين بالتفوق العسكري العثماني، وآملين في جر السلطان إلى المناطق الجبلية شمال إيران، حيث إن مشاكل التضاريس والتموين قد تجعل القوتين متعادلتين[4] فعند تقدم الجيش العثماني في الصحراء الإيرانية اعتراه الضجر، واستولى عليه الملل، وأخذ الجنود يتكلمون فيما بينهم، بأن هذه الحرب لا نتيجة منها، ولما بلغ السلطان تذمر جنوده خاف سوء العاقبة فقبض على بعض أصحاب الجرأة منهم وقتلهم إرهاباً للغير،وأمر بالتقدم نحو تبريز[5] وعندما وصلوا إلى مدينة طراخان، إذ بالإنكشارية قوضوا خيامهم بغتة وأخذوا في إطلاق بنادقهم على خيمة السلطان، عند ذلك ركب السلطان ووراءه وزرائه ونادى في الجنود قائلاً " من أراد النوم على بساط الراحة في بيته فليرجع، ومن أراد ملاقاة الأعداء في ساحة الوغى فيأت معي، وإن أحببتم جميعكم العودة فلكم ذلك، وأنا أتقدم بمفردي " ولم يكد يتم كلامه حتى أشار الجنود بأجمعهم بعلامة الطاعة والانقياد[6].

---

(1) مهدوي، عبد الرضا هوشنك، تاريخ روابط خارجي إيران، ص 20.

(2) Sykes.Percy.Op.Cit.P74

(3) يلماز، أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ص 216.

(4) Shaw.stanford.Op.Cit.P81.

(5) ولايتي، علي أكبر، تاريخ روابط خارجي إيران..، ص 173 .

(6) سرهنك، إسماعيل، تاريخ الدولة العثمانية، ص 66 .

المرسلات بين السلطان والشاه :

إبان مسير القوات العثمانية صوب الشرق، أرسل السلطان سليم للشـــاه إسماعيل رسالتين، حمّل الأولى مضمامين تهديدية، وهدايا تخص الـــدراويش كالعصا والخرقة استهزاً بالشاه[1] بعثها مع جاسوس للشاه بعد أن أمر بإطلاق سراحه[2] وأخبره في الثانية [3] – من مدينة سيواس– أنه ترك أربعين ألفـــاً من جنده في الأناضول ؛ إظهاراً لقوته وعزمه على متابعة سيره لملاقاتـــه، وفي المقابل أثناء وصول السلطان إلى مدينة كماخي وصل مبعــوث الشـــاه وسلمه علبة الترياق " الأفيون " يقصد بذلك أن احتلال إيران والقضاء علـــى الدولة الصفوية، هو من تأثير تدخين الأفيون، فرد الســـلطان علـــى الشـــاه برسالة، أعلن خلالها الحرب بشكل رسمي، وأرفقها بمجموعة مـــن الألبســـة النسائية والعطور، وأدوات الزينة، وذلك استهزاءً بشخـــص الشاه لتقاعســـه عن مواجهة السلطان وحربه [4] " فإنه في تلك الحالة عليك أن ترتدي الجادر (chadur) الحجاب" بدلاً من الدرع " [5].

أخيراً جلب جاسوس عثماني أنباء للسلطان بأن الشاه قد أصبح علـــى علم بأن لقاءهما القادم سيكون في هضاب جالديران، في حين يشير شـــيباني أن مبعوث الشاه سلم رسالة إلى السلطان في "خوي" يخبره فيها بقبول الشـــاه لدعوى **الحرب في جالديران**[6].

---

(1) شيباني، نظام الدين مجير، تشكيل شاهنشاهي صفوية، ص 232.

(2) التاريخ الإسلامي : حرب إيران 920هـ . www.Islampedia.com

(3) توجد نسخة من الرسالتين في ملحق الرسالة، الأولى ص 243 - 245، والثانية ص 246 - 248 .

(4) مهدوي، عبد الرضا هوشنك، تاريخ روابط خارجي إيران، ص20.

(5) Allouche . Adel .Op.Cit,p.11

(6) Allouche . Ibid ,P119

بدء الحرب :

في صبيحة يوم الأربعاء 2 رجب 920هـ - 23 أب 1514م كان الطرفان قد أعدا العدة للحرب وأصطفا استعدادا لبدء المعركة في سهل جالديران[1]، وتجدر الإشارة إلى أن الجيش العثماني كان مسلحاً بأسلحة حديثة، فهو مزود بالبنادق (10.000 بندقية) إضافة إلى ثلاثمائة مدفع حسب ما جاء في دائرة المعارف الشيعية[2]، بينما فرسان الشاه شجعان ومهرة مستعدين للتضحية بأرواحهم في سبيل شاههم ولم يكن للشاه مدفعية ولا مشاة من حملة البنادق[3].

ومن بين العديد من المصادر يقدم ابن إياس وصفاً بليغاً للمعركة فيقول"...تلاقى عسكر سليم شاه ابن عثمان، مع عسكر إسماعيل شاه الصوفي على مكان بالقرب من تبريز... فكان بينهما هناك وقعة مهولة تشيب منها النواصي، وتذهل العقول عند سماعها من دان وقاص، فصُيرت الرؤوس عن الأجساد طائرة، وطفشت العساكر بالخيول الغائرة، ووقع القتل بالسيف حتى أجرة الدماء منهم كالسيل "[4]، ويقول في موضع آخر "... كانت الكسرة أولاً على ابن عثمان وآخر الأمر أن الصوفي انكسر كسرة قوية، وقتل غالب عسكره، وانهزم الباقون، ولم ينج منهم إلا القليل .. وقُتل من عسكر أبن عثمان نحو ثلاثين ألفاً، وقُتل مثل ذلك من عسكر الصوفي.. "[5].

---

(1) هذا السهل عبارة عن أرض واسعة تمتد بين سلسلتين جبليتين نحو الشرق والغرب، جالديران اليوم أحد القرى التابعة لناحية جشمة من نواحي مدينة ماكو الإيرانية، الأمين، حسن، دائرة المعرف الإسلامية الشيعية، مج6، ص117 .

(2) الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، مج6،ص 115.

(3) يلماز، أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ص217.

(4) ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج4، ص 402 .

(5) المصدر نفسه، الجزء نفسه، ص 398.

لقد تلقى الصفويون خسائر كبيرة في المعركة، ولم يكن من خيار للقزلباش سوى التراجع[1] لاسيما بعد أن جرح الشاه وسقط من أعلى جواده، ودخل بين صفوف الأتراك تركماني شبيه بالشاه،مرتدياً لباسه قائلاً باللهجة التركية شاه منهم (أنا الشاه) وتمكن الشاه من الفرار أثناء انشغال السباهيين (الفرسان) الأتراك الذين ظنوا أنهم أسروا الشاه[2]، ثم نهى السلطان جنوده عن المسير خلف بقايا الجيش الصفوي، وقال" يكفيه ما حل به من بلاء " [3]، ووضع السلطان يده على معسكر الشاه، وأسر زوجته تاجلي خانم، وأخذت فيما بعد إلى استانبول[4].

إن العامل الأساسي الذي أدى إلى انتصار العثمانيين، هو السلاح الناري (المدافع والبنادق) الذي استخدموه،في حين كان الصفويون يقاتلون بالأسلحة التقليدية مثل السيوف والأقواس[5]، ففتح هذا النصر الطريق للسلطان سليم إلى عاصمة الصفويين تبريز.

- دخول تبريز :

في التاسع من شهر رجب 920هـ أرسل السلطان سليم اثنين من قواده، هما بيري باشا جبلي، وأحمد باشا أوغلي، على رأس مجموعة من جنوده إلى تبريز ليمهدوا الطريق لوصوله إليها، ثم تحرك في اليوم التالي إليها، وخرج العلماء والأعيان لاستقبال السلطان في ضاحية سرخاب، ثم

---

(1) النهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، ص98 ب؛ مؤنس، حسين، أطلس الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987م، ص 244 .

(2) أصاف، عزتلو، تاريخ سلاطين بن عثمان..، ص57 ؛ يلماز، أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ص218

(3) القرماني، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، ص 314 .

(4) Allouche . Adel . Op.Cit. p. 11.

(5) فرغلي، ابو الحمد، محمود، الفنون الإسلامية في عصر الصفويين بإيران، مكتبة مدبولي، القاهرة 1990م، ص 36.

توجه السلطان إلى مسجد أوزون حسن، في العاشر من رجب ليؤدي صلاة الجمعة[1] ويذكر شيباني " ولكن بدل أن يذكر الخطيب اسمه(السلطان سليم) قال السلطان ابن السلطان أبو المظفر إسماعيل بهادر خان، فأراد قادة الأتراك قتله، ولكن سليم رفض ذلك "[2] .

بعد ذلك، أمر السلطان بحصر أموال الشاه، وجعل تبريز مركزاً لقيادته ثم أمر بإرسال نحو ألف من الصناع والشعراء والعلماء إلى استانبول[3] حسب الطريقة التي اعتادها السلاطين العثمانيون، أو كما يقول الغزي " ساقهم سركناً للبلاد الرومية [العثمانية] على قوانين السلاطين العثمانيين[4] ويُرجح كينروس أن أغلب هؤلاء كانوا مهرة في العمارة، وقد أرسلهم إلى هناك ليثروا استانبول بمهاراتهم "[5] كما كان من ضمن غنائم الجيش العثماني سجادة فاخرة كانت في مجموعة بيجان (Beglan) [6] في هذه الأثناء أرسل الشاه إسماعيل هدايا ثمينة مع أربعة من رسله إلى السلطان سليم لطلب الصلح، وإطلاق زوجته تاجلي خانم من الأسر، ولكن السلطان حبس السفراء وزوج زوجة الشاه من جعفر جلبي قاضي العسكر[7].

لم يمض على دخول الجيش العثماني ثمانية أيام حتى أمر السلطان بالانسحاب منها والتوجه إلى منطقة " قره باخ " حيث خطط لأن يقضي فصل

---

(1) جمعة بديع، أحمد الخولي، تاريخ الصفويين وحضارتهم، 84 .

(2) شيباني، مجير الدين، تشكيل شاهنشاهي صفوية، ص 206-207؛ ابو الحسن علوي عطرجي " الصفويون والدولة العثمانية " . www.d-unnah.net.p.7

(3) النهروالي، الإعلام بإعلام بيت الله الحرام، ص 198.

(4) الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ج1، ص209 .

(5) Kinross , Lord . Op.Cit . p. 167 .

(6) فرغلي، ابو الحمد محمود، الفنون الزخرفية الإسلامية في عصر الصفويين بإيران، ص172.

(7) العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين الاحتلالين، ج3، ص253؛ ولايتي، علي أكبر، تاريخ روابط خارجي إيران، ص 182 .

الشتاء هناك[1] ولكن ما السبب الذي أضطر السلطان لقرار الانسحاب هـذا ؟ سيما بعد المشقات التي تكبدها جيشه حتى انتصر على الصفويين ودخل عاصمتهم .

ثمة مجموعة من الأسباب التي تذكرها المصادر، وأخرى أستنتجها بعض الباحثين، بخصوص انسحاب الجيش العثماني من عاصمة الصفويين، في حين أن الرواية الصفوية لهذه الأحداث لها رأيٌ مخالف .

يذكر صاحب مخطوط الأعلام بإعلام بيت الله الحرام أن انسحاب السلطان سليم من تبريز" لكثرة القحط واستيلاء الغلاء بحيث بيعت الحليقة بمائتي درهم، وبيع الرغيف بمائة درهم[2].. " ولا تختلف رواية الغزي في هذا الصدد، إذ يقول"وأراد الإقامة بها (تبريز) ليستولي على إقليم العجم وما فيه،فما أمكنه ذلك لكثرة القحط .. فرجع الى الروم .. " [3] بينما يرجح بعض الباحثين التراجع العثماني بسبب تمرد الإنكشارية في جيش سليم، ورفضهم الاستمرار في الحملة خاصة بعد أن منع سليم أعمال النهب في المدينة، الأمر الذي كان سيجني منه الإنكشارية غنائم كثيرة[4] وكذلك امتناعهم عن الاستمرار لشدة البرد الذي عرفت به الأراضي الإيرانية، ومع عدم وجود الألبسة الملائمة للجند لهذا الفصل[5]، زد على ذلك أن دخول العثمانيين تبريز كان في فصل الخريف وهو فصل انتشار مرض الملاريا في المنطقة،

---

(1) Allouche.Adel, Op.Cit, P120-121.

(2) النهروالي، الإعلام بإعلام بيت الله الحرام، ص 198 أ .

(3) الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ج1، ص209.

(4) Sykes. Percy, Op, Cit, Vol2. P163

(5) برجاوي، سعيد أحمد، الإمبراطورية العثمانية، ص94؛ كاريوس، شاهين، تاريخ إيران، ص 149.

فأصيب عدد كبير من جنود العثمانيين بهذا المرض، فلم يطق العثمانيون الإقامة، وآثروا الانسحاب[1].

هناك وجهة نظر أخرى فيما يخص انسحاب السلطان سليم من تبريز، وحرمانه من جني ثمار النصر بالقضاء على الدولة الصفوية، ومطاردة الشاه إسماعيل، وهي أن المصادر الصفوية مع عدم نفيها للأسباب السابقة، فأنها تعتبرها غير كافية، للانسحاب من المدينة بعد ثمانية أيام من دخولها، وتؤكد، أن السبب الرئيسي هو " سماع السلطان في تبرز أنباء التحاق قوات العشائر بالشاه إسماعيل في درجزين، والتفافهم حوله بانتظار شن الهجوم على القوات العثمانية، لإسترداد مدينة تبريز منها .. فخشى السلطان عاقبة مكثه في تبريز وعزم على العودة على الرغم من إعجابه بمناخها وجمال الطبيعة فيها "[2]، وهذا ما أشار إليه الأمير نادر ميرزا إذ يقول " غادرها إلى القسطنطينية لعلمه بمدى صلابة وشجاعة الملك الإيراني ولتوقعه هجومه القريب عليه "[3]، إضافة إلى مقاومة أهل تبريز وكفاح جنود إيران على حد قول عباس إقبال[4].

بناءً على ذلك يمكن القول أن الجيش العثماني كان منهكاً، عند دخوله تبريز التي تفشي فيها المرض، وقد خسر هذا الجيش في جالديران بعض

---

(1) حسنين، عبدالنعيم، إيران في ظل الإسلام، ص73- 74 ؛ الجميعي، عبد المنعم إبراهيم، العثمانيون في الميزان الإسلامي والعربي، ص34 ؛ لونكريك، ستيفن هميسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، نقله الى العربية جعفر الخياط، ط2، دار الكشاف، بيروت، 1949، ص19. س .

(2) ولايتي، على أكبر، تاريخ روابط خارجي إيران، ص182- 184؛ الأمين، محسن دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، مج، ص 124 .

(3) ميرزا، نادر، تاريخ جغرافي دار السلطنة، تبريز، ص 46 .

(4) اقبال، عباس، تاريخ إيران أزغارتا انقراض قارجاربة، ص667.

قواده، فمضى السلطان راجعاً دون أن يعقد صلحاً مع الشـــاه الصـــفوي [1] وسحب جيشه الذي أنهكه الجوع والمرض وقسوة البرد ورجع سليم، ولكـــن من طريق آخر، يمتد نحو أرمينيا، لتبدأ سلسلة من الملاحقات لبقايا الصفويين في كردستان وديار بكر .

- ضم إمارة ذو القدر :

بعد خروج الجيش العثماني من تبريز خاض مجموعة من المعارك مع الصفويين، وأن لم يكن بتلك الضراوة التي شهدتها معركـــة جالـــديران، فكانت أولى الأراضي المكتسبة اريفان (Erivan) العاصمة الأرمينيـــة، ثـــم سيطر على الأشكرد (Alashkerd) ثـــم علـــى باســـين (Pasin)، وبيـــابورد (baydurd) [2]، ثم جعلها السلطان تحت قيادة محمد باشـــا بـــايقلي، كولايـــة حدودية، شمال شرق الدولة العثمانية[3] ثم وصل مدينـــة أماســـية فـــي 24 نوفمبر، وعسكر فيها، وستصبح هذه المدينة منـــذ الآن مركـــزاً للتحركـــات العسكرية للسلطان سليم .

لكي يعزز السلطان قبضته على هذه المنطقة، ومـــن مركـــزه فـــي الربوع الشتوية في أماسيه، أمر محمد باشا أن يحاصر حصن قاماخ، الـــذي يقول عنه القرماني" إنه من أمنع الحصون في الدنيا "[4] والواقع علـــى قمـــة مرتفع يصل نهر الفرات قرب أرزنجان، ولم يسقط هذا الحصن لغاية مـــايو 1515 م[5].

(1) أرسل الشاه سفيره نور الدين عبد الوهاب، الى السلطان سليم لعقد الصلح وان تكون الحـــدود الصفوية منطقة أرس كحـــد فاصل بينهما، وأن يخطب باسمه في المســـاجد بـــإيران، لكـــن السلطان رفض هذا العرض، مهدوي، عبد الرضا هوشنك، تاريخ روابط خاجي إيران، ص 21- 22

(2) الجميل، سيار، العثمانيون وتكوين العرب الحديث، ص 337.

(3) Parry. V.J, Op. Cit. P71.

(4) القرماني، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، ص314.

(5) Shaw, Stanford. Op. Cit. P81

إن الاستيلاء على قاماخ الاستراتيجي أكد أن ساعة الحساب قد جاءت لعلاء الدولة أمير ذو القدر، حيث لم ينس سليم سلوكه العدائي خلال حرب جالديران، وكان سليم في وقت سابق في نوفمبر 1514 م، قد عيّن أبن أخ علاء الدولة المدعو"على شاه سوار أوغلو" حاكماً لقيصرى وأرسله ليغير في أراضي عمه، وفي يونيو 1515 م انتدب السلطان صدره الأعظم سنان باشا على رأس عشرة آلاف انكشاري[1]، وفي هذه الأثناء حاول الشاه إسماعيل أن يمد علاء الدولة بالمساعدات تشجيعاً له، على الوقوف ضد الزحف العثماني، لكنه لم يصل الى هدفه، لسرعة الزحف العثماني[2] وهُزم وذبح علاء الدين مع أربعة من أبنائه، في (كووك سو)، وعين السلطان بدلاً منه أبن أخيه على أوغلو،وأشترط عليه أن تكون الخطبة والسكة باسم السلطان[3].

ثانياً : الصراع على كردستان .

كردستان أي بلاد الأكراد، وأطلق عليها فيما بعد ولاية شهروز، وهي المنطقة التي تتمثل في ديار بكر، وتمتد من بحيرة أروميا الى الفرات، والى حد ما في أذربيجان، والى حد ما آخر في الأناضول، كما وضحها ستانفورد شو[4]، تشمل كذلك الجزيرة (الأراضي الواقعة بين دجلة والفرات) وتشمل هذه الأراضي الان، السلمانية وأربيل وكركوك ومنطقة كرمنشاه، وجزءاً من أذربيجان[5]، وكان الشاه إسماعيل قد استولى عليها، بدءاً من

---

(1) Parry. V.J, Op. Cit.P71

(2) الخولي، أحمد، الدولة الصفوية، ص81.

(3) القرماني، أخبار الدول..، ص314؛ البدليسي، شرف خان، شرفنامه، ج2، ص 141- 142.

(4) Shaw. Stanford, Op.Cit. P82

(5) الحرتي، نزار عبد اللطيف، العلاقات العربية الفارسية، دراسة تحليلية، دار واسط، لندن- بغداد، 1982م، ص 29 .

1507 م فكان من الطبيعي أن يتوجه إليها العثمانيون بعد انكسار الصفويين في جالديران .

إن أهم ما يميز الصراع الصفوي العثماني على منطقة كردستان محاولة الدولة العثمانية، استدراج الأكراد واحتوائهم ضم سياسة معينة اتبعتها في المنطقة، فقد كانت الدولة الصفوية ترمي الى القضاء على الحكومات الكردية والإمارات المحلية الوطنية، وإحلال الحكم الصفوي المباشر محلها، وسيتضح لاحقاً عدم تبني العثمانيين لهذه السياسة .

أن الشيوخ الأكراد " الإقطاعيين " قد قبلوا على مضض السيادة الصفوية ولكنهم أعلنوا استقلالهم في المدة التي تلت معركة جالديران، من جهته أدرك السلطان العثماني، أن أي جهد لغزوهم، قد يتطلب قوة عسكرية كبيرة للغاية، وهو ما ليس بمقدوره أن يتعهد به، لأنه بصدد إعداد حملة لمحاربة المماليك، هكذا فإنه منح الشيوخ والأمراء الأكراد دعماً مالياً وعسكرياً مقابل أن يحولوا ولاءهم للعثمانيين[1]، وكان أمراء الأكراد أرسلوا وفداً لطلب المساعدة والحماية العثمانية، فقبل السلطان طلبهم في المرة الثانية، وأرسل إلى مدينة أمد بديار بكر، محمد باشا بايقلي على رأس ألف جندي لمحاربة القوة الصفوية بقيادة قرة خان[2].

عندما كان سليم في أماسيه ندب الشيخ إدريس البدليسي (المؤرخ العثماني الشهير صاحب كتاب شرفنامه) [3] للعمل على إثارة الأمراء الأكراد ورؤساء العشائر وحكام المقاطعات على حكم الشاه المتمثل بحامياته العسكرية القوية في كردستان[4] ونجح البدليسي في مهمته فقد استطاع أن يحصل على دعم

---

(1) زكي، محمد أمين، تاريخ السليمانية، نقله الى العربية جميل أحمد الروزبياني، شركة النشر والطباعة، بغداد، 1951م، ص 87-38 ؛ Shaw, Stanford. Op. Cit, p.82 .

(2) ايفانون، نقولاي، الفتح العثماني للأقطار العربية، ص 84.

(3) هيوار، " البدليسي "، دائرة المعارف الإسلامية، مج 3، ص 464 – 465 .

(4) زكي، محمد أمين، خلاصة تاريخ الكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الان، نقله الى العربية وعلق عليه محمد علي عوني، مطبعة السعادة، مصر، 1993م، ص 175- 176.

عشرين من أمراء كردستان توجهوا جميعاً تحت قيادته إلى ديار بكر لإخراج الوالي الصفوي منها[1].

لئن خسر الشاه الصفوي معركة جالديران، فإنه ما زال محتفظاً بقوة يستطيع أن يقاوم بها الغزو العثماني لكردستان، الأمر الذي سيؤدي إلى معركة أخرى فاصلة نتيجة للارتداد الصفوي .

- الارتداد الصفوي :

سبقت الإشارة إلى ظروف انسحاب الجيش العثماني من العاصمة الصفوية تبريز، وما كان من توجهه للسيطرة على أراضي ذو القدر وكردستان، الأمر الذي أعطى وقتاً كافياً للشاه إسماعيل الصفوي لتنظيم جيشه، فرغم خسارته في جالديران وانكسار جيشه، بدأ يستعيد قوته العسكرية، وينظم جيشه ثم عاد الى عاصمته تبريز[2] وبدأ جيشه في تحركات إرتدادية على شكل حملات عسكرية على مراكز السيطرة العثمانية، على محوري أذربيجان – تبريز، وكردستان – بلاد الجزيرة، فسقطت عدة مدن وقلاع تباعاً[3] الأمر الذي يشير لعدم تقدير السلطان العثماني لحقيقة خصمه الصفوي .

كانت أولى الحملات الصفوية، حملة وجهها الشاه إلى ديار بكر بقيادة قره خان، الذي أتصل بحاميات قلاع ماردين والرها من أنصار الصفويين، واستصحبهم وزحف على ديار بكر، حاصرها حصاراً شديداً، فاستنجد أهلها بالسلطان العثماني المعسكر بأماسيه، فأرسل إليهم قوة عسكرية بقيادة حاجي

---

(1) المرجع نفسه، ص 177.

(2) نفسه .

(3) الجميل، سيار، العثمانيون تكوين العرب الحديث، ص132- 133.

بكتا أحمد، تمكنت من شق صفوف المحاصرين الصفويين، والدخول الى قلعة المدينة، وفي هذه الأثناء أرسل الشاه بدوره نجده لقائده قره خان، وفي أثناء سيرها في أطراف أرجيش بين الجبال، تمكن أدريس البدليسي- حليف السلطان سليم- من حشد قوات كردية، قواها عشرة آلاف جندي، من : بدليس، خيزان، مكس، وصاصون وباغت هذه القوات وانتصر عليها في أرجيش[1].

دام حصار القوات الصفوية لديار بكر سنة ونيفاً، مات خلاله زهاء خمسة عشر ألفاً من السكان، الأمر الذي جعل السلطان العثماني، يرسل نجدة كبيرة بقيادة محمد باشا بايقلي، الذي انتصر حديثاً على الصفويين في أمد[2]، والتقى مع قوات إدريس البدليسي في حصن كيفا، للعمل على فك حصار ديار بكر، بعد أن غدت المنطقة المنحصرة بين خربوت وأمد تحت السيطرة العثمانية، وزحفا نحو ماردين التي سقطت سلماً عدا قلعتها التي استلزم اقتحامها قوة عسكرية إضافية مؤلفة من عشرين ألف مقاتل بقيادة خسرو باشا حاكم قرمان في ربيع 922هـ-1516م[3].

إن تعدد القادة في القوات العثمانية، قد أوقع الخلاف فيها، خاصة بين القائدين بايقلي باشا وشادي باشا، فترك الأخير ساحة الأحداث، قاصداً الأناضول وقد عزز الخلاف موقف الصفويين، ما جعل قائدهم قره خان يسارع بإرسال قوة من الحرس الشاهاني (الملكي) مؤلفة من 600 مقاتل، إلى قلعة سنجار، أجبرت قوات أبي المواهب أحد اتباع البدليسي، إلى الانسحاب

---

(1) زكي، محمد أمين، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان...، ص 177.
(2) القرماني، أخبار الدول وأثار الأول...، ص 433.
(3) البدليسي، شرفنامه، ج1، ص 433 .

إلى ماردين[1]، فأرسل محمد بايقلي قوة مؤلفة من 4000 مقاتل – يُعتقد أن مهمتها كانت استطلاعية فقط[2] – بقيادة حاكم خربوت حسن بك،التقت بالقوات الصفوية، في معركة عنيفة، انتهت بهزيمة القوة العثمانية، وقتل منها 3000 جندي، وعادت بقية الحملة إلى المعسكر العثماني[3]. سيؤدي هذا الانتصار – المؤقت – الصفوي إلى مواجهة أخرى حاسمة، ستغير مصير شمال العراق وجنوب شرق الأناضول .

- معركة قرة غين دده والسيطرة على شمال العراق :

إن تحركات القوات الصفوية بقيادة قره خان، منذ مطلع سنة 1515 م اتجاه الحاميات العثمانية المرابطة في شرق الأناضول وشمال العراق، اتخذت محوراً يمتد على شكل هلال: خوي– كركوك – أربيل – الموصل – سنجار– ماردين– ديار بكر، إضافة إلى القوات المرابطة في ماردين وأورفه " الرها " وحصن كيفا[4]، في المقابل تجمعت القوات العثمانية بقيادة خسرو باشا، إضافة إلى حليفهم الكردي إدريس البدليسي بين أورفه ونصيبين، على مقربة من " قوج حصار" في موقع يعرف بـ قره غين دده في مايو 1516م[5].

---

(1) المصدر نفسه، ج1،ص 434 ؛ الجميل، سيار، العثمانيون وتكوين العرب الحديث، ص 340.

(2) البلديسي، نفسه، ص 434 .

(3) زكي، المصدر نفسه، ص 180.

(4) الجميل، سيار، حصار الموصل، الصراع الإقليمي واندحار نادر شاه، الموصل، 1990م، ص70-71.

(5) الجميل، سيار، بقايا وجذور: تكوين العرب الحديث، الأهلية، عمان، 1997م، ص 112.

دارت معركة عنيفة [1] أسفرت عن هزيمة مروعة للقوات الصفوية، رغم المقاومة العنيدة التي أبدتها، وخر قائدها قره خان صريعاً، فوهنت قواته وتفككت عدته وانهزم جنده، وهرب من نجا منهم، نحو صحار وسنجار، لكي يموتوا ظمأى في مفازاتها الرملية، لتخلص ديار بكر للحكم العثماني [2] كما قادت هذه المعركة الفاصلة إلى نتائج هامة فأفضت بسيطرة العثمانيين على شمال العراق وشرق الأناضول بجميع مدنهم: أرجاني، سبوك، باريسيك، حصن كيفا، ميافارقين، سعرت ديار بكر، نصيبين الموصل، حصن سوران، أورفة، كركوك [3].

يمكن القول إنه كان لضم شمال العراق والأناضول الشرقية نهائياً للدولة العثمانية، نتائج استراتيجية واقتصادية مهمة منها أنها حمت الهضبة الأناضولية في الشرق من الخطر الصفوي [4] إضافة إلى سيطرة العثمانيين على المحاور الثلاثة :

1- محور تبريز- إيروان- قره باغ .
2- محور أماسيه – كماخي .
3- محور ديار بكر- ماردين- الموصل [5].

---

(1) تقول أسطورة عثمانية ان المعركة بدأت بقتال بين الفراشات فقد حط بين الجيش العثماني والجيش الصفوي، سربان من الفراشات، واحداً أبيض والآخر أحمر.. ودار قتال بين السربين، فانتصرت الفراشات البيض وكان ذلك فأل خير ألهب الحماس بين الجنود العثمانيين، إيفانوف، بيقولاي، الفتح العثماني للأقطار العربية، ص 85 .

(2) الجميل، سيار، بقايا وجذور..، ص 112؛ Parry. V.J. Op. Cit, P71.

(3) الجميل، سيار، بقايا وجدور، ص 113؛ زكي، محمد أمين، خلاصة تاريخ الكرد والكردستان..، ص 180-181.

(4) بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 409-410.

(5) طقوش، محمد سهيل، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، بيروت، 1995م، ص 144.

إن ذلك يعني سيطرة الدولة العثمانية على طرق نقل الحرير الإيراني، التي تصل تبريز بحلب، أو تبريز ببورصه، عدا أنها أمنت حدودها الشرقية، بأن جعلت من الإمارات الكردية [1] جداراً يقيها من أي هجوم من الطرف الصفوي[2].

هكذا أضعفت ضربتي جالديران (1514) وقره غين دده (1516) الدولة الصفوية، وأوقفت نشاطها في الغرب، بينما استمرت حروبها مع الأوزبك في الشرق في الوقت الذي انشغل فيه خليفة سليم وابنه السلطان سليمان القانوني بحروبه في أوروبا إلى أن جاءت سنة 1534 م بحملة عثمانية كبرى على الأراضي الصفوية عرفت في التاريخ العثماني بحرب العراقين .

---

(1) عند سيطرة الدولة العثمانية على كردستان، عقدت مع ثلاثة وعشرين أميراً كردياً، على رأسهم إدريس البدليسي، اتفاقية تحالف سنة 1515م أهم بنودها:

1- تحتفظ الإمارات الكردية باستقلالها التام .

2- تستمر وراثة الإمارة من الأب إلى الابن، ويعترف السلطان العثماني بالوريث الشرعي بفرمان خاص،

3- يساهم الأكراد في كافة الحروب التي توكل إليهم من قبل الدولة العثمانية .

4 - يساهم الأكراد بتقديم الهدايا للدولة العثمانية بشكل مصاريف فعلية.

5- تقوم الدولة العثمانية بمساعدة الأكراد ضد أي عدوان أجنبي عليهم.

Creasy. Op. Cit. P.225

(2) صباغ، عباس إسماعيل، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، ص 134 .

المبحث الثالث

الصراع من 1534م الى 1548م

- حرب العراقين 1534 م .
- حملـة سليمان القانـوني بالتحالـف مع القـاص ميرزا الصفوي 1548-1549 م .

أولاً : حرب العراقين 1534 م .

- أسباب الحملة :

بعد مضي تسعة عشر عاماً على حرب جالديران، ساءت العلاقات أكثر بين الدولتين العثمانية بقيادة السلطان سليمان القانوني، والصفوية بزعامة الشاه طهماسب ابن إسماعيل، بسبب سلسلة من الأحداث، كان لها دور بارز في بدء حملة سليمان القانوني على إيران سنة 1534م، لعل أهمها تغيير ولاء بعض الولاة وانضمامهم للطرف الآخر، يأتي في مقدمتهم ذو الفقار الكردي .

على أثر موت الشاه إسماعيل سنة 1524م، طمح في العراق الأمير ذو الفقار[1] وحمل بالكلهوريين على بغداد، وحاصرها أربعين يوماً، واستولى عليها سنة 930هـ/ 1524 م وأسس بها دولة كردية، ثم أعلن تبعيته للصفويين، ولكنه خاف من الشاه طهماسب، فاحتمى بالسلطان العثماني وخطب لـه على المنابر وضرب باسمه السكة، وأرسل وفداً لعرض خضوعه والدخول تحت سيادته، ولكن ما لبث أن وأد الشاه هذه الحركة سنة

---

(1) هو ذو الفقار ابن نخوذ سلطان، رئيس قبيلة موصلو من عشيرة كلهور الكردية، الذي كان مستولياً على أطراف لورستان (الاهواز)، الأعظمي، علي، تاريخ الدول الفارسية في العراق، مكتبة الثقافة الدينية، بغداد، 1927، ص106 .

936هـ/1530 م، حيث استطاع أن يستولي على بغداد مرة أخرى، وقتل ذو الفقار بعد أن حرض أخويه على بيك وأحمد بيك بقتله[1].

لا شك أن إعلان الأمير ذو الفقار التبعية للسلطان سليمان، يعني دخول بغداد في أراضي الدولة العثمانية، وأن قتل الشاه ذو الفقار وزحفه بنفسه على بغداد، عده السلطان سليمان تعدياً مباشراً على الدولة العثمانية، فكانت هذه الحادثة من الأسباب التي عجلت بخروج السلطان .

إن ثاني هذه الأحداث هو لجؤ (أولامه تكلو) حاكم إقليم أذربيجان الصفوي الى البلاط العثماني، وأخذ يحرض السلطان العثماني على الاستيلاء على إيران، ويصور لــه حقيقة الوضع الداخلي للصفويين[2]، طبقاً لأحمد الخولي فإن حملة القانوني على إيران كانت بتحريض من (أولامه تكلو) الخبير بالأراضي الإيرانية " الصفوية "[3] . لئن كانت الدولة العثمانية قد كسبت ولاء اثنين من أهم رجالات الدولة الصفوية إلى جانبها، فأنها خسرت ولاء أحد أهم حلفائها والتابعين لها، وهو حاكم إمارة بدليسي، إدريس البدليسي، وقد تمت الإشارة إلى دوره الكبير في استيلاء الدولة العثمانية على كردستان، ففي عام 939هـ 1532 م أعلن البدليسي خروجه عن التبعية العثمانية وانضمامه للصفويين، فبعث السلطان العثماني أولامه تكلو لمحاصرة بدليس، لكن الحصار فشل بسبب قدوم قوات صفوية لمساعدة الأمير البدليسي، فكان هذا العصيان أحد الأسباب لخروج حملـــة السلطان سليمان، إثر انتهاء حروبه مع إمبراطور النمسا[4] لأن الشاه الصفوي عندما

---

(1) الأعظمي، علي، مختصر تاريخ البصرة، مكتبة الثقافة الدينيـــة، بـــور ســـعيد، 2001، ص 143.

(2) البدليسي، شرف خان، شرفنامه،ج1، 434، ج2، 158- 160 ؛ مانتران، روبيــر، تـــاريخ الدولة العثمانية، ص 223.

(3) الخولي، أحمد، الدولة الصفوية، ص 115 .

(4) لونكريك، ستيفن هيمسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ص 21 .

بعث قوة عسكرية لمساعدة حليفه الجديد، كان يعتقد أن السلطان سليمان لا يستطيع أن يرسل الجيوش لحربه ويفتح جبهة حرب أخرى في ذات الوقت، لاسيما وأن خصمه النمساوي لم يكن بالخصم السهل[1].

مع أهمية هذه الأحداث في توتر العلاقة بين الطرفين العثماني والصفوي، كانت هناك رسالتان [2] أرسلهما السلطان سليمان الأولى إلى خسرو باشا واليه على ديار بكر، والثانية إلى الشاه الصفوي طهماسب الأول، تؤكد رغبة سليمان المبكرة في شن حملة على الدولة الصفوية، ففي رسالته إلى خسرو باشا سنة 931هـ 1524م - أي قبل حملته بتسع سنوات تقريباً- يخبره بعزمه على القضاء نهائياً على الصفويين بعد أن ينتهي من حروبه في بلاد الصرب، ويأمر بالاستعداد للحرب ويطلب منه أن يقوم ببعض الهجمات على المناطق التابعة للصفويين[3]. أما الرسالة الثانية الموجه للشاه طهماسب مباشرة - بعد رسالة خسرو باشا - يشير فيها السلطان إلى أنه سيرسل الجيوش عما قريب وأن الذي أخره عن ذلك هو حروبه في أوروبا إذ يقول له " وإن ما أخرنا عنكم حتى ذلك الوقت هو أننا كنا قد أرسلنا جيوشنا الجرارة لفتح بلجراد ورودس"[4].

- بدء الحملة :

عندما انتهى السلطان سليمان القانوني من حروبه في أوروبا- مؤقتاً - بعقده الهدنة مع شارلكان إمبراطور النمسا سنة 1533 م، مؤمناً حدوده

---

(1) شرف، مصطفى موسى، قبائل القزلباش ودورهم في العصر الصفوي، (رسالة ماجستير غير منشورة) جامعة عين الشمس، كلية الآداب، 1991م، ص 293.

(2) يوجد نص ترجمة الرسالتان في ملحق الرسالة، الأولى ص 270 - 271 (الوثيقة : 6)، الثانية ص 272- 274 (الوثيقة : 7) .

(3) فريدون بك، منشأت السلاطين، ج1، ص 543- 544.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص 541- 543.

الغربية من هجوم محتمل، أعلن الحرب على الدولة الصفوية، وتم تعيين إبراهيم باشا الصدر الأعظم قائداً للجيش الذي كُلف بالقضاء على تمرد البدليسي في كردستان، ثم توجه إلى بغداد، فسارت الحملة على محور (قونية، أضنه، إنطاكية، حلب) [1] حيث قرر تمضية الشتاء في حلب، وعندما حل ربيع 940هـ / 1534م تحرك باتجاه غامد بديار بكر، ثم استولى على: أخلاطه، حواز، أرجش، ثم وان، وكذلك أحتل في شمال شرقي أرضروم مناطق من باسينلر الى أواطر[2].

في حقيقة الأمر أن البداية الفعلية لحرب العراقيْن كانت بعد حوالي ثمانية أشهر من خروج حملة إبراهيم باشا، عندما تحرك السلطان العثماني سليمان بنفسه في 1534/6/11 م باتجاه إيران بحملة كبرى تعرف في التاريخ العثماني بحملة العراقين، ويذكر صاحب كتاب شرفنامه " أسرع الوزير إبراهيم باشا في إيفاد رسول على جناح الطائر بكل سرعة إلى عتبات السلطان في استانبول يخبره بتوجه وزحف الشاه طهماسب إلى أذربيجان، ويلتمس قدوم الموكب السلطاني بسرادقه العظيم العالي إلى ديار العجم[3]، بينما يرجع توفيق العربي في أطروحته سبب تحرك سليمان لسببين الأول تذمر الجنود خاصة أنهم يعتقدون أنهم متوجهون للاستيلاء على بغداد، وعندما وجدوا أنفسهم في أعماق إيران بدأوا في التذمر والعصيان، الثاني نتيجة للانتصارات التي حققها وزيره إبراهيم باشا، فخاف أن يقضي على الدولة الصفوية، يصبح له الفضل في ذلك؛ لذا سارع السلطان سليمان بالتوجه إلى هناك [4].

---

(1) صباغ، عباس إسماعيل، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، ص 156.

(2) لويد، سيتون، الرافدين، نقله إلى العربية طه باقر، بشير فرنسيس، بغداد، (د.ت)، ص 241؛ يلماز، أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ص 339- 340.

(3) البدليسي، شرف خان، شرفنامه، ج1، ص 452 .

(4) العربي، توفيق حسن، الصراع العثماني الصفوي على ضوء المصادر..، ص 67.

على كل حال في التاسع عشر من ربيع الأول 941هـ-15-7-1534م وصل السلطان سليمان إلى تبريز، حيث أمضى بها يومين فقط إلى أن جاءته الأخبار بأن الشاه طهماسب موجود بجيشه بالقرب من مدينة سلطانية [1]، فاسرع السلطان إلى هناك وفي طريقه احتل شروان وعيلان، وتقدم شرقاً حتى سلطانية،لكنه لم يجد الشاه فقد كانت خطة الشاه في حرب السلطان، التراجع وتدمير الأراضي التي قد يمر العثمانيون بها، حتى لا يترك لهم مكاناً يأوون أليه، أو طعاماً لهم ولدوابهم، وهي سياسة الأرض المحرومة التي جرت سابقاً[2].

وبناءً على ذلك قرر السلطان التوجه إلى بغداد، وهذا ما استخلصه المؤرخ العثماني نظمي زاد، إذ يقول : " أن الشاه لم يستطع مقاومة السلطان حينما توجه إلي بلاده، وتوغل في إيران، فاستولى على أذربيجان، ولم يقدر على صده فصار يهرب من وجهه إلى هنا وهناك خائفاً متخفياً، وغرضه تعجيز السلطان، لذا عزم السلطان أن يمضي إلى بغداد " [3].

- دخول بغداد :

تبين أن عبور جبال زاغروس إلى بغداد، كانت أقصى تجربة مر بها العثمانيون خلال الحملة كلها، وقد وصف لونكريك هذه التجربة (العبور) وصفاً دقيقاً : " إن برد تشرين الثاني وأمطاره والممرات الغير مطروقة في المائة ميل الأخيرة من الجبل، جعلت مرور الجيش صعباً باهظ النفقات، فإن الجداول الفائضة جرفت قسماً من المدفعية، وتُركت مئات من الحيوانات، ثم

---

(1) القرماني، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، ص320؛ يازوكي، رضا، تاريخ إيران أز مغول تا إفشارية تهران، 1334هـ. ش، ج1، ص 293 ؛ الصراعات الإقليمية، ومحاولات الاستقلال. www.mogatal.com.P.3.

(2) Mccarthy. Justin. Op. Cit. P91; sykes. Percy.Op. Cit, Vol2,P164 .

(3) نظمي زاده، كلشن خلفا، ترجمة موسى كاظم نورس، ص 61 .

قل الحلم وخشنت الطباع حتى أهين الضباط الكبار، وأحرقت عربات المدافع، فدفنت المدافع نفسها لئلا يستفيد منها العدو وأخيراً أطل السلطان من بعيد على التلول البرية، ومن ورائها سهول العراق فارتاح لذل عظيم ارتياح"[1].

عندما وصلت أخبار تقدم الجيش العثماني نحو بغداد إلى حاكمها الصفوي تكه لو محمد خان، لم يقو على مواجهته، فانسحب بجنوده إلى إيران، فتقدم الصدر الأعظم فور علمه بذلك على رأس مقدمة الجيش ودخل بغداد دون حرب في 22 جمادى الأول 941هـ- 28 نوفمبر 1534م، وبعد يومين وصل السلطان سليمان إلى بغداد ودخلها دخول الغزاة الفاتحين، وإبان دخوله المدينة توجه حاكم البصرة المُوالي للشاه راشد خان إلى بغداد، وأعلن ولاءه للسلطان العثماني، بذلك مد العثمانيون حدودهم الى الخليج العربي [2].

مكث السلطان سليمان في بغداد أربعة أشهر، قام خلالها بتنظيم البلاد، وقسمها إلى عدة ولايات، ولابد من التأكيد أن دخول الجيش العثماني للمدينة لم يصاحبه أي اضطهاد ديني أو مذهبي، بل إن العثمانيين قدموا الحماية للشيعة، كما قدموها لليهود والمسيحيين [3].

---

(1) لونكريك، ستيفن، هيملي، أربعة قرون من تاريخ العراق، ص22 ؛ نورس، علاء موسى، الصراع العثماني الفارسي وأثره على العراق في القرن الثامن عشر(رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة القاهرة، كلية الآداب، 1995م، ص 6.

(2) العمري، ياسين، منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء، ص 71 ؛ الأعظمي، على ظريف، مختصر تاريخ البصرة،ص 144؛ نظمي زاده، كلشن خلفا، ص 62 ؛ Savory,R. Op. Cit,p.62

(3) أيفانوف، نيقولا، الفتح العثماني للأقطار العربية، ص 89 ؛ غرايبه، عبد الكريم، تاريخ العرب الحديث، ص 55 ؛ نخبة من الباحثين العراقيين، العراق في التاريخ، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983م، ص 572، 573.

- الارتداد الصفوي :

أثناء انشغال السلطان سليمان بتنظيم شؤون العراق خرج الشاه بعد اختفائه وأخذ في استرداد إقليم أذربيجان، ثم استرجع تبريز في 3 جمادى الآخر 941 هـ/ 9ديسمبر1534 م، فقد كان الشاه يدرك تماماً ما يفعله، فهو يعلم أن السلطان قد أعاد جنوده الى مشاتيها وأنه من الصعب تجميعها في فصل الشتاء بسرعة كافية، يستطيع بها إمداد حمايته العسكرية في تبريز، بالإضافة إلى أنه أراد أن يثبت للعثمانيين أنه قادر على استرداد كل الأراضي التي استولوا عليها بمجرد خروجهم منها [1] وأن أية حامية عثمانية مهما كانت قوتها لن تستطيع الصمود أمام قواته، وفور وصول هذه الأخبار إلى السلطان، أرسل أمير ديار بكر لإمداد حامية تبريز كما أسرع في تجميع الأمراء والجنود من مشتاهم [2].

لم ينتظر السلطان حلول فصل الربيع، واتجه على عجل إلى تبريز بعد أن ترك حامية في بغداد، وعندما تناهت هذه الأخبار إلى مسامع الشاه، فك الحصار عن قلعة "وان" وأنسحب بجنوده إلى تبريز، ثم هرب إلى أصفهان، وفي هذه الأثناء تقدم السلطان نحو تبريز فدخلها وظل بها تسعة عشر يوماً، وقد علم أن الشاه ترك أصفهان وانسحب إلى مكان غير معروف، ويبدو أن السلطان كان على قناعة بأن الشاه لن يقدم على مهاجمة الجيش العثماني، فغادر السلطان تبريز بحثاً عنه، وعندما تأكد أنه لن يعثر عليه قفل عائداً إلى تبريز، ثم أصدر أوامره بالعودة إلى استانبول [3].

---

(1) لم تتحدد المصادر – المتاحة للباحث – عدد القوات العثمانية التي اجتاحت الأراضي الإيرانية والعراق ألا أن الشاه طهماسب الأول في مذكراته، قدر بأن 300 ألف فارس عثماني قد شاركوا في هذه الحملة، طهماسب، تذكرة طهماسب، ص 14.

(2) Mccarthy. Justin, Op. Cit.P91.

(3) الحموي، أحمد بن محمد، فضائل سلاطين بني عثمان، ص 38؛ القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ص321؛ Sykes. Percy, Op. Cit,125.

في هذه الأثناء استرد الشاه طهماسب تبريز بمجرد خـــروج العثمانيين منها، واسترد كل موقع في أذربيجان بعد مغادرة العثمانيين له بيومين على الأكثر حتى وصل الجيش الصفوي مدينة وان فأرسل السلطان محمد باشا وأولامه باشا لاسترداد المدينة، ولكن الجيش الصفوي الذي كان متحصناً بجوار وان، هزم القوات العثمانية واضطرها للانسحاب [1].

أمام هذه الارتدادات الصفوية فضل السلطان العثماني عدم العودة مرة أخرى لقتال الشاه واسترداد تلك الأراضي من جديد، لاسيما أنه يعلم أن الشاه لن يظهر لقتاله وجهاً لوجه وأنه سينسحب إلى أعماق إيران فور علمه بعودة الجيش العثماني، كما إن إعادة القوات العثمانية وفتح هذه المناطق مرة أخرى سيكون مكلفاً للجهد والمال، إذ أن الشاه سيستردها مرة أخرى بمجرد خروج الجيش العثماني منها، ولهذا فضل إكمال طريقه إلى استانبول مكتفياً بسيطرته على بغداد وهمذان وقد استغرقت هذه الحملة عامين وشهرين وثمانية عشر يوماً وسميت بـــ" حرب العراقين " لأنه تم فيها الاستيلاء على بغداد حاضرة العراق العربي وأصفهان حاضرة العراق العجمي[2].

لقد أثبتت نهاية الجولة الثانية من الصراع الصفوي العثماني أن الظروف الطبيعية والجغرافية في إيران في صالح الصفويين، وأن القضاء على الدولة الصفوية أمر بعيد المنال، كما دلت على أن دخول العراق في التبعية العثمانية قد أعطى بعداً آخر للصراع، بوصول العثمانيين إلى الخليج العربي إضافة إلى وجود العتبات الشيعية المقدسة به، ولئن كانت الدولة العثمانية قد استطاعت السيطرة على العراق فإنها أدركت تماماً صعوبة

---

(1) البليسي، شرفنامه، ج1، ص264؛ Morgan. David, Op. Cit.125 .

(2) يلماز، أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ص342، 343 ؛ العربي، توفيق، الصراع العثمـــاني الصفوي...، ص 72 ؛ أحمد تمام " سليمان القانوني وقمة عهود الدولة العثمانية " www.ialam-online.net

الحفاظ على المدن الصفوية الأخرى التي تم الاستيلاء عليها كل هذه الاستنتاجات أنذرت بوقوع حرب جديدة مرتقبة بين الطرفين .

ثانياً : حملة سليمان الثانية بالتحالف مع القاص ميرزا الصفوي 1548-1549 م .

إن العلاقات الصفوية العثمانية لم تعرف الاستقرار الكامل خلال النصف الأول من القرن السادس، فبعد الإخفاق -النسبي - للسلطان سليمان القانوني في حملة سنة 1534 على إيران، وعدم تمكنه من هزيمة الجيش الصفوي بسبب تجنب الشاه طهماسب مواجهة الجيش العثماني في حرب ميدانية مفتوحة، بدأ السلطان سليمان يتحين الفرصة لشن حملة للقضاء على الدولة الصفوية، لاسيما وأن الدولة العثمانية في أفضل حالاتها، وأن سلطانها قام بعشر حملات كبرى لتوسيع رقعة دولته [1] في المقابل انشغل الصفويون - كعادتهم- بحروبهم مع الأوزبك في الشرق، خاصة في عهد زعيمهم عبد الله خان الأوزبكي وابنه عبد العزيز[2]، وقد وجد السلطان سليمان الفرصة المناسبة لغزو إيران عندما لجأ إليه القاص ميرزا أخو الشاه طهماسب الصفوي .

لم يكن القاص ميرزا ابن الشاه إسماعيل حاكم شروان- منذ 1538م - على وفاق مع أخيه الشاه طهماسب، فأعلن سنة 1546م الاستقلال عن الشاه وسك النقود باسمه وذكر اسمه في الخطبة ليس على مستوى شيروان فحسب، بل على مستوى إيران كلها[3] فتوجه طهماسب إلى شيروان للقضاء

---

(1) يلماز، أورتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ص 345.

(2) يازوكي، رضا، تاريخ أز مغول تا أفشارية، ج1، ص294-295.

(3) القرماني، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، ص321 ؛ إيوار، "طهماسب الأول"، دائرة المعارف الإسلامية، مج 15، ص 306 - 308 .

على تمرد أخيه واستولى علـــى شيروان وعين ابنـــه إسماعيل حاكمـــاً عليها تحت وصاية " كوكجه سلطان قاجار "[1] فانهزم القاص ميرزا، وفر باتجاه الدولة العثمانية وعلى الحدود العثمانية أرسل للسلطان يخبره بمجيئه، فأمر السلطان بإكرام وفادته ووعده بمهاجمة إيران حين تحين الفرصة المناسبة[2].

وقد كانت دوافع السلطان العثماني متعددة لشن حرب على الصفويين، خاصة بعد أن فقد تبريز أبرز المناطق الإستراتيجية على طريق الحرير، ثم رأى في شيروان أنها تؤلف عقدة مواصلاتـــه بين القوقاز وإيران، علاوة على أنها – شروان- تعتبر أحد المناطق المهمة لإنتاج الحرير[3].

على أثر هذه المستجدات بدأ السلطان سليمان للإعداد لحملته الثانية على الدولة الصفوية خاصة بعد أن أخبره القاص ميرزا، أن هناك الكثير من أمراء القزلباش يريدون إجلاسه على العرش الصفوي، بدلاً من أخيه طهماسب، فاستدعى أولامه باشا والى أحد سناجق الرومان إلى استانبول وعينه أميراً على ارضروم ومستشاراً وملازماً للقاص ميرزا، وأرسلهما قبل تحركه على رأس جيش الى إقليم أذربيجان الصفوي[4].

في 20 صفر 955هـ- 1548 م تحرك السلطان سليمان بجيشه ناحية إيران، وعندما اقترب من حدود أذربيجان، أرسل اولامه باشا وأمير قرامان للاستيلاء على قلعة "وان " التي استولىَ عليها الصفويون بعد حرب

---

(1) مهدوي، عبد الرضا هوشنك،تاريخ روابط خارجي إيران، ص31؛ يازوكي، تاريخ إيران أز مغول...، ص 196.

(2) صباغ، إسماعيل عباس، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، ص180.

(3) Savory.R, Iran under the Safavids.cambridge, PP26-36

(4) البدليسي، شرفنامه، ج2، ص17؛ بستك، محمد الأعظم، أحداث ووقائع ومشايخ بستك...، ص 38.

العراقين مباشرة، وأكمل هو طريقه ناحية تبريز، وكان السلطان ينتظر طوال الطريق لكي ينضم أمراء القزلباش إلى القاص ميرزا الذي ادعى أنهم سينضمون إليه فور عودته إلى إيران، بل أن اتباع القاص ميرزا الذين كانوا معه عند لجوئه للعثمانيين نفروا منه وعادوا إلى الشاه طهماسب، لهذا لم ير السلطان أنه من المناسب البقاء في تبريز، وغادرها على عجل إلى (وان) وحاصرها لمدة عشرة أيام سلمت بعدها حاميتها طالبةً الأمان، وبعد أن حصنها وترك بها بعض المدافع وحامية عسكرية عين عليها جركس عثمان باشا، واتجه هو إلى ديار بكر لتمضية فصل الشتاء بها[1].

أثناء مقام السلطان سليمان في ديار بكر جاءته الأخبار بأن بعض الفرق القزلباشية هجمت على نواحي أذربيجان، وقامت بتخريب وتدمير قراها انتقاماً من أهلها الذين استسلموا للعثمانيين فأرسل أحد مساعديـــه أحمد باشا للتصدي لهم، وعندما وصل الأخير بالقرب من قلعة كماخ استطاع جركس عثمان باشا حاكم "وان" إلحاق الهزيمة بأحد فرق الجيش الصفوي، ثم لحق السلطان وهو في طريق عودته الى ديار بكر[2]، حيث انتظر السلطان فيها على أمل أن يظهر الشاه من مكان اختفائه، لكن دون جدوى، ولهذا لم يجد السلطان فائدة من التوغل في إيران بحثاً عنه، وخطط للعودة إلى استانبول[3].

في المقابل توغل القاص ميرزا في العمق الإيراني، واستولى على أصفهان والأهواز وشوشتر وقم وحصل " على غنائم لا توصف في نفاستها ولا تعد في كثرتها "[4]، ولايُعلم يقيناً سبب غضب السلطان سليمان من القاص

---

(1) العربـــي، توفيـــق حســـن، الصـــراع العثمـــاني الصـــفوي ؛ ص76، ص 76؛ Sykes.Percy.Op.Cit,vol 2.p.164

(2) البدليسي، شرفنامه، ج2، ص175-177.

(3) القرماني، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، ص 32 .

(4) العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، ج4، ص 53 .

ميزرا إلا أنه من المؤكد أنه أمر جنوده بالتخلي عنه فتركوه يقع أسيراً في أيدي الصفويين الذين حملوه إلى أخيه الشاه، فأمر بحبسه في قلعة قهقمة[1].

وهكذا لم تضع هذه الحرب -مثل سابقتها- حداً للصراع الصفوي العثماني، إذا أكدت للعثمانيين أن القضاء على الدولـــة الصفوية غاية في الصعوبة، ولئن استطاع السلطان العثماني احتلال العاصمة الصفوية تبريز بسهولة، فإن عودته السريعة إلى استانبول بعد يأسه من العثور على الشاه، قد أعطى الفرصة للأخير لاسترجاع تبريز وكافة المناطق التي استولى عليها العثمانيون، باستثناء منطقة "وان" بينما بقي إقليم كورجستان المسيحي بؤرة التوتر بين الطرفين، ما أنذر بجولة أخرى للصراع بعد أقل من ست سنوات ليس غير .

---

(1) جمعة، بديع ؛ أحمد الخولي، تاريخ الصفويين وحضارتهم، ج 1، ص 126 .

المبحث الرابع

الصراع من سنة 1553/1555م

- حرب نخجوان 1553م .
- معاهدة أماسيه 1555م .

أولاً : حرب نخجوان 1553م .

لقد اتخذ الصراع الصفوي العثماني مع بداية النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي شكلاً آخر عما كان عليه من قبل، وذلك لعدة أسباب لعل أهمها دخول مناطـــق جديدة ضمـــن دائرة الصراع وأهمـــها منطقـــة كرجستان (جورجيا) المسيحية وأرمينيا الصغرى، إضافة إلى أن الصفويين هذه المرة قد لمسوا في أنفسهم المقدرة على مواجهة العثمانيين فبدأوا في الأعمال الحربية على الحدود ما عجل في الحملة العثمانية الرابعة على إيران .

أصبحت منطقة كرجستان[1] حلبة جديدة للصراع، وكانت كلتا الدولتين العثمانية والصفوية تسعيا لبسط نفوذها وسيطرتها على هذه المنطقة، وترجع أهمية كرجستان الى أنها كانت مورداً كبيراً لكلتيهما عن طريق الجزية التي يدفعها أهلها المسيحيون، كما كانت تعد موقعاً استراتيجياً مهماً لوقوعها بين الدولتين[2] عدا عن كونها منتجة للحرير لاسيما في منطقة كنجه[3].

---

(1) منطقة جبلية ضم أراضي القوقاز وتتمتع بحدود منيعة من الجبال في الشمال والجنوب، أشهر مدنها كنجة شروان، تفليس، شكي، شماخي، كارنيل، وكاخت، دخلت كرجستان فـي سـبعة حروب مع الشاه طهماسب بين سنتي 1541-1569م، صباغ، عبـاس إسـماعيل، تـاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، ص 127.

(2) العربي، توفيق حسن، الصراع العثماني الصفوي..، ص 87.

(3) The encyclopaedia of Islam.leiden.1980.vol 3.P211

أما أرمينيا الصغرى [1] التي تمتاز بمناظرها الخلابـــة وبحيرتها الكبيرة (بحيرة الأرمن) التي كانت محل نزاع بين العثمانيين والصفويين، فقد كان كل منهما يعين حاكماً من قبله عليها، ولئن كانت قد دخلت في التبعية العثمانية بعد حملة القانوني الأخيرة فإن الصفويين لم يعترفوا بهذه التبعية[2].

لقد كانت بداية هذه الأحداث هذه المرة صفوية، حيث توجه الشاه طهماسب في سنة 959هـ / 1553 م لإخضاع أرمينيا الصغرى، وحاصر قلعة أخلاط، وسيطر عليها ثم انتقل إلى أرجيش التي طال حصارها، فرضخت للشاه في نهاية الأمر، بينما تقدم إسماعيل ابن طهماسب نحو ولاية أرضروم العثمانية مخرباً كل ما قابله في طريقه [3] حتى التقى مع اسكندر باشا الحاكم العثماني على ولاية أرضروم، فوقعت الحرب بين الطرفين، ولكن إسماعيل بن الشاه طهماسب تمكن من إلحاق الهزيمة باسكندر باشا وقواته التي تفرقت ووقع بعضها في الأسر[4]، وعندما وصلت هذه الأخبار للسلطان سليمان في استانبول بدأ في الإعداد لحملة جديدة على إيران.

غادر السلطان سليمان استانبول في 20 رمضان 961هـ/ 28- 8 -1553 م متجهاً إلى الحدود الشرقية، واستمر في طريقه حتى وصل حلب، وبعد قضاء الشتاء فيها تحرك السلطان واخترق الأراضي الصفوية واستولى على اريوان (روان) و دمر بها أحد قصور الشاه[5] اتجه بعدها إلى قراباغ بحثاً عن الشاه وجيشه الذي فضل عدم الدخول في حرب ميدانية مع الجيش

---

(1) يحدها من الغرب ديار بكر وأرمينية الكبرى، ومن الشرق أذربيجان ومن الجنوب كردستان ومن الشمال إيران، أهم مدنها : أخلاط، عاد لجواز، أرجيش، وموش أباد، جمعـــة، بـــديع، أحمد الخولي، تاريخ الصفويين وحضارتهم، ص129.

(2) المرجع نفسه، ص 128-129.

(3) الخولي، احمد، الدولة الصفوي،ص 124-125.

(4) بييرنيا، حسن، عباس إقبال، تاريخ أيران أزغارتا..، ص 671.

(5) البدليسي، شرفنامه، ج2، ص 181-182 ؛ أولسن، روبرت، حصار الموصـــل والعلاقـــات العثمانية الفارسية، ص 62 .

العثماني، ورغم محاولات السلطان سليمان للوصل إلى الشاه لم يجد له أي أثر[1].

بناء على ذلك توجه السلطان بجيشه اتجاه " خجوان " – التي سميت الحملة باسمها– في الطرف الشمالي لنهر اراس (140 كلم جنوب شرق أيروان) فدمرها وخرب ما حولها من القرى انتقاماً لما فعله الشاه في شرق الأناضول، ورغم ذلك لم يظهر الشاه، ويذكر المؤرخ العثماني فريدون بك أن السلطان سليمان أرسل إلى الشاه طهماسب رسالة [2] تهديد بتاريخ 961هـ/ 1554 م يدعوه فيهًا للحرب[3] ويستفزه .

وفي جبلتك مثقال حبة خردل من الجلادة والشرف، وإذا كان لديك بعض الرجولة وذرة من وجود، فلتأت ولتقابل جنودنا التي مآثرها النصر حتى يظهر ما قدره الحق تعالى "[4].

عندما أدرك السلطان سليمان أنه لا فائدة من البحث عن الشاه وجيشه، كما أنه من الخطورة إمعان التوغل في الأراضي الإيرانية مع اقتراب فصل الشتاء، أصدر أوامره بالعودة إلى الحدود العثمانية، على أن تتم العودة في ربيع نفس العام مرة أخرى لتكملة الحرب فتقدم حتى مدينة أرضروم، ومنها إلى أماسيه حيث قرر تمضية الشتاء بها[5]، وهناك وصل مبعوث الشاه "شاه قورجي قاجار" يحمل رسالة [6] من الشاه يعرض عليه

---

(1) مهدوي، عبد الرضا هوشنك، تاريخ روابط خارجي إيران، ص 32.

(2) رغم ذكر العديد من المصادر عدم معرفة السلطان سليمان مكان الشاه والجيش الصفوي، وانه لم يعثر له على أثر، فإنه أي السلطان يرسل له برسالة، وهنا يتساءل الباحث عن كيفية بعث الرسالة،رغم جهل السلطان بمكان الشاه .

(3) يحيي، جلال، العالم الإسلامي، ص 395؛ Parry. V.J, Op. Cit, P83 .

(4) فريدون بك، منشأة السلاطين، ج2، ص19– 20 (يوجد نص هذه الرسالة في الملحق ص 233–234، الوثيقة : 8) .

(5) البدليسي، شرفنامه، ج2 ص 182.

(6) يوجد نص هذه الرسالة في الملحق ص 278– 280، الوثيقة : 9 .

فيها الصلح[1] فوافق السلطان على عقد صلح، وتولى شاه قورجي قاجار كبير موظفي البلاد الصفوي ومحمد باشا الصدر الأعظم العثماني، التمهيد للصلح الذي حدد أماكن الاتفاق بين الطرفين[2].

- معاهدة أماسيا 1555م :

مضى على بداية الصراع الصفوي العثماني أربعة عقود ونيف، تمثل بشكل عام في أربعة حملات عثمانية كبرى على أراضي الدولة الصفوية، وقف فيها الصفويون في دور المدافع، باستثناء الحملة الأخيرة فإنهم بادروا بالأعمال الحربية على الحدود الشرقية .

إن الحملات العثمانية المرسلة إلى إيران، قد وقعت في مناطق بعيدة إلى حد كبير من استانبول، وتحتاج إلى ثلاثة أو أربعة أشهر حتى تدخل أراضي الدولة الصفوية، وكان من الصعب التغلب على مشكلات النقل، ذلك أنه مع هجمات فرسان الصفويين لطوابير الجيوش العثمانية في أراضي أرمينيا وأذربيجان الجبلية كانت كبيرة، إضافة إلى مخاطر قدوم شتاء تتم خلاله عمليات انسحاب على أراضي مغطاة بالثلوج[3].

وفي المقابل كان الصفويون يذكرون دائماً درس جالديران، فكان الشاه يتجنب كل مخاطرة بالدخول في معركة كبيرة، وكان يخلي المناطق المتوقع مرور الجيش العثماني منها، من التموين ثم ينسحب تاركاً حكام حدوده يراقبون تقدم العثمانيين ويعملون على إعاقتهم، ولم يكن هناك ما يمكن الرد به على هذا التكتيك الخاص بالهرب، وهذه الصعوبات المتعلقة بالأرض

---

(1) بييرنيا،حسن،عباس إقبال، تاريخ إيران أز أغارتا.،ص271 ؛

Sykes . Percy. Op.Cit.Vol 2,P165.

(2) مهدوي، عبد الرضا هوشنك، تاريخ روابط خارجي إيران، ص 33؛ الخولي، أحمد، الدولة الصفوية، ص 125.

(3) يحي، جلال، العالم الإسلامي، ص 395،

والمناخ، أوصلت انتصارات العثمانيين إلى حد ممكن ومقبول للغزو من ناحية الشرق[1] لاسيما في وقت انشغلوا فيه بحربهم في الغرب، بينما استمرت حروب الصفويين مع الأوزبك طيلة هذه المدة .

بناء على ذلك ركن الطرفان للصلح لأول مرة في تاريخ صراعهما، وبدأ تبادل الرسائل بينهما، ففي الرسالة التي بعثها الشاه طهماسب الأول للسلطان سليمان الأول يظهر الشاه عظيم فرحتـــه وسعادته لقبول عقد الصلح معه، ويخبره أنه بعث موفده الخاص، كمال الدين فرح زاده بك مزوداً بكافة التفاصيل والتعليقات الخاصة بعقد الصلح ومنحه كافة الصلاحيات في هذا الصدد فيقول "قد أرسلنا الأمير كمال الدين فرح زاده بك.. وهو من المقربين الينا والمعتمد عليهم إلى السدة العلية لتبليغ الرسالة.. وزودناه بتفاصيل الأحوال التي ستتشرق بالعرض .." [2].

يؤكد فريدون بك أن السلطان سليمان قد رد على رسالة الشاه برسالة[3] وأخبره فيها أنه قد وافق على الصلح [4] ويطلب منه أن يكف عن سب الصحابة ويبشره بموافقتـــه على السماح لرعايا الصفويين بالحج " أقصى مرامنا وعمدة آمالنا أن يحفظ ستر شرف الصحابة الأبرار والخلفاء المهديين.. وأن يحظى حجاج بيت الله .. برفاهية واطمئنان عند توجههم لتلك النواحي.." [5].

---

(1) أولسن، روبرت، حصار الموصل ...، ص 62؛ دوست، متوجهر، بارسا زمينـــه تـــاريخي اختلافات إيران وعراق، تهران، 1364هـ . ش، ص 26.

(2) فريدون بك، منشآت السلاطين، ج1،ص 620-623.

(3) يوجد نص هذه الرسالة في الملحق، ص 281 - 283، الوثيقة : 10.

(4) يعتقد (سايكس) أن السلطان سليمان لم يعقد إتفاق مع الصفويين، واكتفى بإرسال رسالة لأنـــه رفض أن يسوى نفسه بالشيعة، Sykes. Percy, Op. Cit,vol 2. p.2

(5) فريدون بك، منشآت السلاطين، ج1، ص 623-625.

في 8 رجب 962هـ/29 مايو 1555م تم توقيع معاهدة أماسيه بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية[1]، ويمكن إدراج ما توصل إليه الطرفان ضمن أربعة نقاط رئيسية مع أبداء الملاحظات عليها.

أولاً : تصبح الولايات التالية : أذربيجان الشرقية، أرمينيا الشرقية، وكرجستان الشرقية (جورجيا) خاضعة للدولة الصفوية بينما تكون الولايات التالية : أرمينيا الغربية كرجستان الغربية، والعراق (الموصل، بغداد، البصرة) تحت السيطرة العثمانية[2] على أن تكون منطقة قارص الحدودية منطقة محايدة كمنطقة"منزوعة السلاح" فيما بين الجانبين[3].

بذلك حصل الصفويون على المناطق القريبة منهم، فأمنوا بذلك حدود دولتهم من الناحية العسكرية، كما حصلوا على جزء من هذه المناطق ذات الوفرة بإنتاج الحرير، في المقابل حصل العثمانيون على تبريز إضافة إلى أرمينيا وكرجستان والعراق، فأصبح لهم موضع قدم في مناطق إنتاج الحرير الإيراني[4].

ثانياً : السماح لرعايا الدولة الصفوية بالحج الى مكة والسماح لهم بحرية زيارة العتبات المقدسة [5] في العراق، في المقابل اشترط السلطان سليمان الكف عن سب الصحابة على المنابر، الذي أصبح عادة منذ عهد الشاه إسماعيل الأول[6].

---

(1) المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص 105.

(2) بيكولوسايا، ن. و، تاريخ إيران أز دوران باستان تايان. ص485 ؛ يحيي، جلال، العالم الإسلامي، ص 395

(3) العربي، توفيق، الصراع الصفوي العثماني ..؛ ص 84؛ Mccarthy. Justin, Op. Cit,P91

(4) نوار، عبد العزيز، الشعوب الإسلامية،ص 241 ؛ Sykes.Percy Op. Cit,P76.

(5) العتبات المقدسة أو المزارات الشيعية : ضريح الإمام على أبن أبي طالب في النجف، ضريح الإمام الحسين بن على في كربلاء، ضريح الإمام التاسع موسى الكاظم..، لوريمر، ج .ج، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج 6، ص 3373- 3385.

(6) فريدون بك، منشآت السلاطين، ج1، ص 624 ؛ نور، علاء موسى، الصراع العثماني الفارسي وأثره على العراق،ص9 ؛ نوار عبد العزيز،العلاقات العراقية الإيرانية، دار الفكر العربي، 1974م، ص 11-12.

لقد سمح العثمانون للصفويين بالحج إلى مكة بعد توقف دام طيلة الفترة الموسومة بالحرب، ما يشير إلى هدوء التوتر العثماني بشأن تواجد الصفويين داخل الولايات العثمانية[1].

ثالثاً : تستأنف عمليات الإتفاق بشأن منطقة شهرزور[2] التي طالت المنازعات عليها علماً أن هذا البند من المعاهدة بقي مجرد من صفته العملية لعدم استقرار ولاء الأكراد لإحدى الجهتين[3].

رابعاً : يعمل الطرفان على عدم إيواء كل من رجال الدولتين أو أفراد البيوت المالكة، وفي حالة لجوئهم يعمل الطرف الآخر على تسليمهم الى حكومات بلادهم .

يستنتج من هذه النقطة أن معاهدة أماسيه قد هيأت لفتح علاقات دبلوماسية بين الطرفين، يمكن من خلالها حل أي نزاع طارئ أو حدوث مشكلة ما[4]، وابرز مثال على ذلك حادثة هروب بايزيد ابن السلطان سليمان ومعه عدة كتائب عسكريـــة سنـــة 1559م ومع أن طهماسب استقبله بحفاوة، فأنه أجرى مفاوضات مع والده السلطان انتهت بتسليمه للسلطات العثمانية مقابل مبلغ كبير من الذهب[5].

---

(1) Sykes , Percy. Op.Cit. vol12, p. 166

(2) تشمل ما يعرف الآن بالسليمانية، أربيل وكركوك في العـــراق، ومنطقـــة غـــرب كرمنشـــاه وأجزاء من أذربيجان الغربية في إيران، الحديثي، نزار، عبد اللطيف، العلاقـــات العربيـــة الفارسية، ص 29.

(3) زهير عبد الحسين مهدوي" طبيعة العلاقات العراقية الفارسية" سلسلة الدراسات الإيرانيـــة – رقم8 صدرت عن معهد الدراسات الأسيوية الأفريقية، الجامعة المستنصـــرة، 1985م، ص 19.

(4) عباس، إسماعيل، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، ص 182- 183؛ مهدوي، عبد الرضا هوشنك، تاريخ روابط خاجي إيران، ص 33.

(5) المرجع نفسه، والصفحة نفسها .

تعد معاهدة آماسيه أول معاهدة صلح بين الدولتين العثمانية والصفوية وقد وضعت حداً – مؤقتاً– للصراع لأول مرة منذ نشوبه وترتب عليها بعض الهدوء على الحدود بين الطرفين، ويمكن اعتبار هذه المعاهدة انتصارً للدولة الصفوية، فالسماح للرعايا الصفويين بالحج لمكة المكرمة يعتبر اعترافاً ضمنياً بالمذهب الشيعي وبالتالي بالدولة الصفوية، كما أن لذلك دلالة أخرى في غاية الأهمية هي بطلان السبب المذهبي كأحد أسباب الصراع لأن هذا الاعتراف من قبل الدولة العثمانية، جعلها تقر ضمنياً بأنها تحارب دولة إسلامية .

لقد ترك الصراع الصفوي العثماني آثاراً واضحة على سكان المنطقة التي شملتها الحروب، لاسيما المشرق العربي الذي تنافس عليه الطرفان، فكانت أراضيه مرتعاً للجيوش الغازية، وملاذا للمنهزمة، حتى صارت أجزاء كبيرة من أراضيه محتلة من أحد الطرفين، وهذا ما يختص به الفصل الرابع.



الفصل الرابع

تأثيرات الصراع الصفوي العثماني على المشرق العربي

المبحث الأول : محاولات السيطرة الصفوية على المشرق العربي وتداعياتها.

- الاحتلال الصفوي للعراق وتداعياته .
- المحاولات الصفوية لاختراق الشام ومصر.
- بعض ملامح الآثار الناجمة عن السياسة الصفوية في المشرق العربي.

المبحث الثاني : السيطرة العثمانية على المشرق العربي .

- اجتياح العراق والامتداد إلى الخليج العربي .
- ضم الشام ومصر والقضاء على دولة المماليك .
- اثر التوسع العثماني في المشرق العربي في مرحلة الصراع .

المبحث الثالث : العلاقات العثمانية – الصفوية مع أوروبا في فترة الصراع .

- العلاقات العثمانية الأوروبية .
- العلاقات الصفوية الأوروبية وتداعياتها على المشرق العربي .
- التدخل البرتغالي في الصراع الصفوي العثماني وتداعياته على المشرق العربي .



المبحث الأول

محاولات السيطرة الصفوية على المشرق العربي وتداعياتها

- الاحتلال الصفوي للعراق وتداعياته .
- المحاولات الصفوية لاختراق الشام ومصر .
- بعض ملامح الآثار الناجمة عن السياسة الصفوية في المشرق العربي .

في أوائل القرن السادس عشر الميلاد أخذت خريطة العالم تزداد اتساعاً، وأخذت تحدث خلال تلك الفترة تطورات جذرية متتالية وجوهرية في المجالات الثقافية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وفي الوقت الذي كان فيه العالم الأوروبي ينطلق نحو التفوق في تلك المجالات، كانت البلاد الإسلامية تعيش مقوماتها الحضارية الإسلامية التقليدية، دون تطور إلا في أضيق نطاق، بل مع التراجع الحضاري في كثير من البلاد الإسلامية، خاصة تلك التي كانت تسود فيها الصراعات بين مختلف القوى السياسية، مثل الصراع بين العثمانيين والمماليك، والصفويين و الاوزبك، وبين الصفويين والعثمانيين، إضافة إلى تدخل قوى أخرى خارجية كالبرتغاليين مستغلين تلك الصراعات، لتدعيم وجودهم في تلك المناطق .

ويعد الصراع الصفوي العثماني أهم هذه الصراعات من حيث مدته، والمساحة الشاسعة التي شملها، إضافة إلى تأثيراته الواضحة على كلا الدولتين، فقد أثر القتال على إيرادات الدولتين من الجمارك التي كانت تجنى فترات الحروب، وصار التبادل التجاري بين الأقاليم الإيرانية والعثمانية محدوداً، خاصة انخفاض إيرادات الدولة العثمانية من الحرير " الفارسي"

عندما تحولت سيطرة البرتغالية على البحار الشرقية إلى حصار عـــام لكـــل الطرق القديمة بين الشرق والغرب والتي كانت أنداك تحت ســيطرة الدولـــة العثمانية[1].

من جهة أخرى كانت الأضرار وخيمة على الجانب الصفوي، لاسيما أن العديد من المعارك التـــي تمخضت عن الصراع قد جرت على الأراضي الصفوية، وما صحبها من تدمير الأراضي – من الجانب الصفوي – حتى لا يتركوا للجيوش العثمانية المتقدمة مكاناً يأوون إليه أو طعاماً لهم ولـــدوابهم، وهي سياسة الأرض المحروقة؛ التي جـــرى اتباعهـــا للحـــد مـــن الهجـــوم العثماني[2].

كما صاحب هذه الحروب أعمال التهجير الإجباري والاضطراري، فبعد قضاء العثمانيين على ثورة شاه قوللي الموالي للصفويين في ولاية تكـــه بالأناضول، هاجر حوالي خمسة عشر ألفـــاً من أتباعـــه إلى إيران خوفاً من الجنود العثمانيين[3]. وفي إطار عمليات التهجير الجمـــاعي أمـــر الســـلطان العثماني سليم الأول، عقب دخوله تبريز عاصمة الصفويين ســـنة 1415 م، باصطحاب سبعمائة عائلة منها في ركابه المتوجه إلى استانبول[4].

ولئن كان للصراع الصفوي العثماني تأثيراته على كلاً الطرفان، فـــإن المشرق العربي باعتباره مجاوراً لكليهما، لحقته تداعيات ذلك الصراع، فقـــد أشعل العثمانيون والصفـــويون فتيل الحـــروب، ولكنهم ابتعـــدوا بهـــا عـــن أراضيهم – في أغلب الأحيان– وجعلوا المشرق العربي ميداناً لها[5].

---

(1) راضون، نبيل عبدالحي، جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس واســترداده فـــي مطلـــع العصـــر الحديث، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، (د.ت)، ص 438.

(2) Sykes . Percy,op.cit,p.164 ; Mccarthy.Tustin,op.cit.p.91.

(3) صباغ، عباس إسماعيل، تاريخ العلاقات لعثمانية الإيرانية ..،ص 240–241.

(4) نوائي، عبد المحسن، و أخرون، تاريخ روابط فرهنكي إيران، تهران 1339هـــ ش، ص96.

(5) الحديثي، نزار عبد اللطيف، العلاقات العربية الفارسية، دارسة تاريخية، دار واسط، لندن – بغداد، 1982، ص29.

وليس من المعقول القول – من قبيل التبرؤ من مسئولية الصراع – إن العرب لم يكونوا طرفاً في الصراع الصفوي العثماني، فلو كان العرب قوة سياسية عسكرية لدخلوا فيه حتماً، لأنه يندرج في معطيين وسياقين، معطى الجغرافيا الاقتصادية والسياسية، ومعطي منطق (الدولة السلطانية) في التاريخ الإسلامي، وهو المنطق القائم على الإلحاق والأستتباع، ومن ثمة الاحتواء باسم (الوحدة) أو (الدعوة الدينية) في دار الإسلام .

أولا : الاحتلال الصفوي للعراق وتداعياته :

كانت إيران والمناطق المجاورة لها من المشرق العربي، تخضعان لحكم قبلي تركماني تمثل في دولتي قره قويونلو " الخروف الأسود" واق قويونلو (الخروف الأبيض) على التوالي حتى استطاع الشاه إسماعيل أن يقضي على آخرها، ويعلن قيام الدولة الصفوية في إيران سنة 1501[1]، ثم بدأ التوسع غرباً ناحية المشرق العربي، لأهميته الاستراتيجية بالنسبة للأراضي الإيرانية .

فقد كانت اقتصاديات الهضبة الإيرانية تدفع الصفويين للاستحواذ على السهول العراقية الخصبة، فمنها يمكن أن تستكمل حاجاتها الزراعية، كما أن سوق العراق يمكن أن يستوعب نسبة عالية من منتجات الأراضي الإيرانية، إضافة إلى سبب أخر لا يقل أهمية عن سابقه، وهو وجود العتبات الشيعية في العراق (النجف وكربلاء) [2]، ومع عدم التقليل من المكانة الدينية لهذه الأماكن، فإن لها أهميتها الاقتصادية باعتبارها مزرات دائمة .

ومن الناحية الاستراتيجية الدولية، كان الأراضي العربية المجاورة لإيران المعبر المؤدي للصفويين إلى شواطئ البحر المتوسط، كذلك الطريق

---

(1) بستكي، أحداث ووقائع بستك ...، ص 36 .

(2) الشناوي، عبد العزيز محمد، الدولة العثمانية ..، ج2، ص 806-807.

البري الذي تسلكه القوات العسكرية الغازية عبر البصرة إلى ما وراء الأحساء، ذلك في اتجاه عمان، فيصبح الخليج بحيرة صفوية[1]. ومن العوامل التي كانت تحفز الصفويين للتوسع غربا نحو هرمز و القطيف والبحرين والعراق وشرق الجزيرة العربية، أنها كانت تعج بالقبائل العربية الشيعية، وكانت هذه التجمعات في نظر الصفويين أدوات يمكن استخدامها في تمهيد الطريق أمام السيطرة على تلك الهجمات وما وراءها أيضا[2].

في إطار هذه السياسية كان الشاه إسماعيل الصفوي، يبذل جهداً كبيراً من اجل دفع قواته قدماً إلى العَراق، ثم منه إلى الشام، ليكمل سيطرته على المشرق العربي وبصفة خاصة الهلال الخصيب، ما ادخله في صراع مع أقوى دولة إسلامية آنذاك، وهي الدولة العثمانية في الأناضول والبلقان، إضافة إلى وجود دولة إسلامية أخرى، بدأت تظهر عليها إرهاصات الضعف، ألا وهي دولة المماليك في مصر والشام .

بناءً على هذه المعطيات وبعد سيطرة الصفويين على أطراف لورستان وكيلان وعربستان سنة 908هـ/1505م، انفتح أمامهم العراق بمناطقه السهلية ومسالكه الاستراتيجية البرية[3]. لاسيما بعد أن أمّن الصفويون سيطرتهم على السلاسل الجبلية التي تفصل إيران عن الأراضي العربية، فغزوا بغداد سنة 1508م، ومضوا شمالاً فأكملوا احتلالهم للعراق عندما أخضعوا ديار بكر ثم الموصل[4]، واستمرت هذه السيطرة حتى

---

(1) المصري، مهدي حسين، الموقف القومي التاريخي إزاء التحدي الفارسي، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، 1980، ص 58.

(2) نوار، عبد العزيز، " الصراع العثماني والعلاقات الفارسية العربية من العهد الصفوي حتى نشوب الحرب العالمية الأول "، العلاقات العربية الإيرانية، تحرير يونان لبيب رزق، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية، 1993، ص50-51.

(3) نوائي، عبد الحسين، شاه طهماسب صفوي، تهران، 1350هـ ش، ص61 ؛ Savory.R.M.,op.cit.p.20-35.

(4) العمري، محمد أمين الخطيب، منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء، تحقيق سعيد الديوه جي، الموصل، 1967،صج1، ص133.

أحـــداث سنتي 1514-1516م، (جالديران- قره غين دده) عندما فقد علـــى أثرها الصفويون الموصل إضافة إلى كردستان لصالح العثمانيين، لتنتقل من محتل إلى محتل آخر، بينما بقى جنوب العراق ووسطه محتلاً من الصفويين حتى سنة 1534م[1].

يبدو أن مدينة بغداد والمناطق المجاورة لها، كانت أكثر المدن العربيـــة التي عانت من الاحتلال الصفوي، وهي أيضا أول المناطق خضـــوعاً لهـــم، وقد تضاربت المصادر المعاصرة حول حقيقة الاحتلال الصـــفوي للمدينـــة، فعلى الرغم من أن الأخبار الأولية عن دخول الشاه إسماعيل بغداد، أفادت أن ثمة استقبالاً أجري للقوات الصفوية المحتلة وللشاه إسماعيل فيما بعـــد، كمـــا يذكر المؤرخ الصفوي غياث الدين[2]. إلا إن هناك مجموعة من المصـــادر المناوئة للصفويين ذكرت معلومات مهمة حول إعمال القتل والتخريب التـــي رافقت الاحتلال الصفوي للعراق، مما يعزز الاعتقاد أن الاحتلال لـــم يقـــف على أرض سهلة، فيذكر ياسين العمري : " أن الشاه إسماعيل حاصر بغـــداد و أفش الرفض فيها، بـــعد قتل المعارضين "[3]. ويروي الشـــوكاني : " أن إسماعيل قتل زيادة على ألف ألف نسمة وأنه لا يوجد لا بين المســـلمين ولا بين الأمم الأخرى من قتل انفساً بمثل ما أقدم الشاه إسماعيل على قتلـــه "[4]، بينما يذكر عباس العزاوي – نقلا عن منتخب التواريخ- : " أن جيوش الشاه قتلت الكثير من مخالفها بعد دخوله مدينة بغداد حتى جرت دجلة بدمائهم بدل اليم"[5].

---

(1) لونكريك، ستيفن همسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ص 19؛ Cteasy .E.S.op.cit.p.127

(2) خواند مير، غياث الدين بن همام الدين، تاريخ حبيب السير في أخبار وبشر، ج4، ص435؛ مغنية محمد جواد، دول الشيعة في التاريخ، ص 122-124.

(3) العمري، ياسين خير الله، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد، دار السلام، ص 169.

(4) الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص270.

(5) العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين الاحتلالين، ج3، ص342.

ومع الإقرار بأن المبالغة في وصف الاحتلال هي حقيقة قائمة بسبب طبيعة تلك الفترة، ولكن الاصطدامات التي جرت بين قوات الاحتلال وبين الأهالي هي حقيقة أيضاً، وقد جسدت تلك الاصطدامات صورة لمقاومة المنطقة العربية ضد قوى أجنبية محتلة .

من جهة أخرى تتحدث المصادر الفارسية عن حملة عسكرية قام بها الشاه إسماعيل بعد زيارته لكربلاء والنجف، ولا توجد معلومات دقيقة عن مسير هذه الحملة ووجهتها والنتائج التي أسفرت عنها، فعلي حسب ذكر هذه المصادر فإن الحملة موجهة إلى " عرب البادية "[1] ضد أحد القبائل العربية في المنطقة، ويبدو أن هذه الحملة باءت بالفشل، لذلك يذكر "كاشاني" أن الشاه إسماعيل خرج للتجول في البادية ولرغبته في إصطياد الأسود[2].

وقد كان التواجد الصفوي في العراق يشكل تهديداً لأمن العثمانيين كما يعتقدون ؛ لأن وجود الصفويين في العراق وقبله في إيران، اصبح الأناضول – قلب الدولة العثمانية – مهدداً من جهتين، أي مطوقاً بالصفويين، لذا أعد السلطان سليمان القانوني جيشاً كبيراً هزم به الصفويين، وسيطر على العراق سنة 1534 م، ثم مد العثمانيون سيطرتهم على البصرة سنة 1546م .

ولم تقف المحاولات الصفوية للسيطرة على العراق فقط، بل تجاوزته إلى الشام ومصر، بحثاً عن إيجاد موطأ قدم على شواطيء البحر المتوسط، والاتصال بأوروبا مباشرةً .

ثانيا : المحاولات الصفوية لاختراق الشام ومصر :

إن قيام الدولة وتوسعها السريع على حساب الدول المجاورة لها، قد أدخل منطقة المشرق العربي في مرحلة جديدة من التطورات السياسية

(1) البدليسي، شرفنامه، ج 2، ص128.

(2) كاشاني، تاريخ نكارستان، ص 361.

المُتلاحقة بسرعة تكاد تحجب فيها المصالح الاستراتيجية في كثير من الأحيان، ففي حين بدأت العلاقات المملوكية – الصفوية عدائية، انتهت ودية، كما يصفها أحد الباحثين[1]. أما العلاقات المملوكية – العثمانية بدأت ودية وانتهت عدائية، بينما بدأت وانتهت العلاقات العثمانية – الصفوية عدائية، وإن شهدت بعض فترات الهدوء بين الفينة والأخرى .

إن المتمعن للخارطة السياسية لمنطقة المشرق العربي في بداية القرن السادس عشر، يلاحظ أنها بدأت تتبلور بشكل لا يخدم القوى التقليدية فيها، لاسيما سلطنة المماليك المسيطرة على معظم المنطقة (الشام، الحجاز، إضافة إلى مصر)، فقد امتدت تداعيات الصراع الصفوي العثماني من خلال تنافس الطرفان على ممتلكات دولة المماليك التي بدأت تظهر عليها إرهاصات السقوط، خاصة بعد الضربات الموجعة التي تلقتها من الأساطيل البرتغالية .

كانت أنظار العثمانيين و الصفويين متجهة نحو ممتلكات المماليك الشاسعة باعتبارها مجالاً مفتوحاً للتوسع، وقد كان العثمانيون ينظرون بقلق إلى تصاعد قوة الصفويين [2] منذ وقت مبكر، وتقدم بعض المصادر معلومات مهمة تفيد بتدخلات صفوية في مصر في فترة صراعهم مع العثمانيين[3]،

---

(1) طارق، نافع الحمداني، " علاقات المماليك المصريين السياسية بالدولتين الصفوية والعثمانية في مطلع القرن السادس عشر "، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، تصدر عن جامعة الكويت، ع17، مج 5، 1985،ص 160.

(2) يظهر القلق العثماني من التوسع الصفوي منذ وقت مبكر من خلال رسائل :الأولى موجهة إلى بايزيد الثاني، من قبل يعقوب بن أوزن حسن يخبره مقتل حيدر الله والشاه إسماعيل، وفي الجواب يهنئه على قتل (رأس الضلالة الحيدرية)، والثانية من الوند بن يوسف أحد الأمراء قوبونلو، إلى بايزيد أيضا يحثه فيها على الاتحاد في وجه العدو المشترك إلى الصفويين، وفي الجواب يعده بايزيد بالعون ضد " الطائفة الباغية القزلباشية" وفي الرسالة الثالثة يسئل بايزيد رستم الكردي أحد أمراء الأكراد، عن نتائج الصراع مع القزلباش والأق قويونلو، مؤرخة سنة 908هـ /1502م؛

Browne.O.G.,Aliterary History of Persia , vol4,p,67-69.

(3) الغزي، الكواكب السائرة ....، ج2، ص55.

ويذكر المؤرخ ابن طولون إن ثمة ثورة مسلحة نشبت في صعيد مصر سنة911 هـ/1505م، انتهت بإعدام مدبريها بقيادة أحمد باشا بتهمة الزندقة والدعوة إلى إسماعيل الصوفي[1]، ويقول العماد الحنبلي عن قائد تلك الثورة : " ووجدوا عنده تاجاً من شعار الصوفي ..وعزم على تقديم الاثني عشر أماماً على اعتقاد الرافضة " [2].

في ذات السياق كان للصفويون محاولاتهم المستمرة من أجل مد نفوذهم في بلاد الشام، فقد ظهر أحد دعاة الصفويين في حلب، يحدث الناس ويقول "سيظهر من أهل طريقتنا، واحدُ على خلاف أهل السنة والجماعة، ومما يوضح مدى خطر الدعاة الصفويين هناك، أن أحد فقهاء حلب ظل ثمان سنوات مشتغلا بالتفسير والحديث والردّ على الملاحدة والرافضة، لاسيما طائفة أردبيل "، حسب ما يؤكد صاحب الكواكب السائرة[3]، ولعل أهم الثورات التي أشعلها الصفويون في الشام، تلك الثورة التي اندلعت في ضواحي حلب سنة 913 هـ /1507م، ما استدعى تحرك نائب دمشق على حلب للقضاء عليها[4].

لئن فشلت المحاولات الصفوية في السيطرة على مصر والشام فإن العثمانيين قد نجحوا فيما فشل فيه غرماؤهم الصفويون، وضموا هذه المناطق لدولتهم، ولكنّ ذلك لم يخرج تلك المناطق من دائرة الصراع بين الطرفين، ففي سنة وفاة الشاه إسماعيل الصفوي 930هـ/1524م، قامت ثورة مسلحة في مصر، يذكر الغزي أن زعيمها كان داعية لإسماعيل الصفوي[5].

---

(1) ابن طولون، مفاكهة الخلاّن، القسم الأول، ص 307.
(2) العماد الحنبلي، شذرات ذهب، ج8، ص 173.
(3) الغزي، الكواكب السائرة، ج2، ص55.
(4) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج2، ص 65.
(5) السابق.

إن السياسة الصفوية اتجاه المشرق العربي قد خلفت العديد من الآثار السلبية، لاسيما في المناطق التي خضعت للحكم الصفوي بشكل مباشر.

ثالثا : بعض ملامح الآثار الناجمة عن السياسية الصفوية في المشرق العربي :

رغم قصر المدة التي مكث فيها الصفويون – فعليا- في بعض أجزاء المشرق العربي، كانت ذات تأثير لا يخفى على المنطقة العربية بشكل عام، بل إن التأثير مازال مستمراً إلى يومنا هذا، متمثلاً في الخلافات الحدودية بين إيران والدول العربية، ويكتفيَّ الباحث بالإشارة على بعض الآثار الناجمة في الفترة قيد الدراسة .

من العوامل المهمة التي كانت تدفع الصفويين للتوسع غرباً نحو العراق، إنه تعج بالقبائل العربية الآخذة بالمذهب الشيعي، لكن ليس ذلك من اجل المذهب الشيعي أو لمعتنقيه، فقد كانت هذه التجمعات من وجهة النظر الصفوية تمثل بعدين أحدهما إستراتيجي[1]، حيث يمكن اعتبارها أدوات يمكن استخدامها في التمهيد للسيطرة على جهاتهم، وإقامة دولة كبرى، لا تقل أهمية ومكانة عن الدولتين الكبرتين (العثمانية والمملوكية) علاوة على ما تشتمل عليه هذه الجهات من أماكن مقدسة (العتبات الشيعية) في النجف وكربلاء، التي تعتبر محجاً لرعايا الدولة الصفوية[2].

أما العامل الآخر الذي لا يقل أهمية عن سابقيه بالنسبة لأركان الدولة الصفوية فقد كان العراق يمثل آخر معاقل منافسيهم الأق قويونلو، فكان إن اجتياح القزلباش الأراضي العراقية وضموها إلى دولتهم منه سنة 1508م[3].

---

(1) عبد العزيز نوار " الصراع العثماني الفارسي والعلاقات الفارسية العربية.."، ص 50-51.

(2) صباغ، عباس إسماعيل، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، ص 118.

(3) البدليسي، شرفنامه، ج2، ص 128.

بيد أن الأمور لم تستقر للصفويين عند هذا الحد، لأنه عقب معركة جالديران 1514 م، انضم القسم الشمالي من العراق للعثمانيين، ثم ما لبث السلطان سليمان القانوني أن أكمل على ما تبقى من العراق سنة 1534 م، ليغدو العراق منذ ذلك الحين من أهم مناطق الصراع بين الطرفين، وليصبح سكانه عرضة للتبعية تارة لهذه الدولة وتارة لتلك، ناهيك عن المذابح التي تصاحب هذه التغيرات .

وقد كانت لحروب الدولتين الصفوية والعثمانية انعكاسات اجتماعية بشكل عام، وكانت انعكاسات الصراع تسبب حالات من القلق والشعور بعدم الاستقرار والأمن، وعلى الخصوص في مناطق الأطراف، وما يستتبعها من إجراءات حكومية توجب على الأهالي دفع ضرائب عارضيه، علاوة على ما يقوم به جند الطرفين من اعتداءات على الأهليين وأرزاقهم[1].

من جهة أخرى يبدو أن نشاط الدعاة الصفويين، في شرق الأناضول وجنوبه وعلى التخوم الشمالية لبلاد الشام وصولاً لإنطاكية، كان نشطاً على درجة كبيرة حتي قبل قيام دولتهم 1501 م، فمن خلال دراسة تكوين الأسرة الصفوية، يتضح أن أحد القبائل التسعة[2]، المكونة للجيش الصفوي (القزلباش)، قد تدفق أفرادها على الشيخ سلطان جنيد (1447 / 1490 م) وأخذوا ينساحون طوعاً إلى الأراضي الصفوية دعماً لمرشدهم الصفوي، وهم الذين أطلق عليهم فيما بعد اسم (شاملو) نسبة لقدومهم من تخوم الشام الشمالية[3].

حيث إن الدولة الصفوية تضم تنوع ديمغرافي (ترك، فرس، عرب، كرد، أرمن، كرجستان) كما تشمل تعددية دينية (مسلمين، مسيحيين، يهود) إضافة

---

(1) صباغ، عباس إسماعيل، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، ص 239-240.

(2) ورد تعريف لهذه القبائل في الفصل الأول من هذه الدراسة، ص 50- 52 .

(3) مير أحمد، مريم، دين ودولت در عصر صفوي، تهران، 1369هـ ش، ص 45 .

إلى تباين مذهبي (سني، شيعي) فإن ذلك جعل الولاء للشاه فقط[1]، لاسيما الشاه إسماعيل (المرشد الكامل) [2]، ولما كان طموح الشاهات يحتم عليهم توسيع رقعة النفوذ، للاستئثار بالبقع الاستراتيجية أو الغنية بمواردها الاقتصادية، دفعوا بمن دان لهم بالولاء بغض النظر عن انتمائهم الاثني " العرقي" أو الديني، إلى سلسلة من الحروب الدامية، لتحقيق هذه الغاية، متخذين من الخلاف المذهبي بين الدولتين (الصفوية والعثمانية) الدافع الأول لإقناع عامة المسلمين - وهم الأكثرية - لاستمرار الصراع بين الطرفين، هذا الصراع الذي جرّ الويلات على سكان مناطق النزاع، ومن ضمنها المشرق العربي، لاسيما العراق، ومن هنا نشأ المثل العراقي (بين العجم والروم بلوي ابتلينا) [3] علماً أن المقصود بالعجم الفرس أي الصفويين، وبالروم العثمانيين .

ونظراً لهذه الاختلافات البينة للسكان، مع تغير الولاء للشاه الصفوي أو السلطان العثماني، فإن هذه الاختلافات والنزاعات استمرت إلى ما بعد سقوط الدولة الصفوية، أي في العهدين الا فشاري والقاجاري، وقد تكون الحرب الأخيرة بين الإيرانيين والعراقيين من أحد جوانبها، تتعلق بالقضايا التي طُرحت في الصراع الصفوي العثماني، ولعل من أهمها مشاكل الحدود العالقة حتى الآن .

---

(1) صباغ، عباس إسماعيل، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، ص 112-115.

(2) كوب، عبدالحسين زين، روز كاران تاريخ إيران، ص662 .

(3) الموردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ص 12

المبحث الثاني

السيطرة العثمانية على المشرق العربي

- اجتياح العراق والامتداد إلى الخليج العربي .
- ضم الشام ومصر والقضاء على دولة المماليك .
- أثر التوسع العثماني في المشرق العربي في مرحلة الصراع .

إن إشكالية التواجد العثماني بالمنطقة العربية يكمن في الطريقة والظروف التي أدت إلى السيطرة العثمانية، فهي تختلف من منطقة إلى أخرى، وبحسب ظروف كل منطقة، فبينما إجتاح العثمانيون جل المشرق العربي في صراعهم مع الصفويين والمماليك، فإنهم في المغرب العربي تواجدوا بناءً على طلب أهاليه في اغلب الأحيان .

ومن خلال الرجوع إلى بعض المصادر العربية، يبدو أن العرب بشكل عام، قد رحبوا بالعثمانيين، وأطلقوا على السلطان العثماني، لقب حامي الحرمين الشريفين[1]. وبدون الخوض في تفاسير هذا الموضوع، تكتفي الدراسة بالحديث عن كيفية الوجود العثماني في المشرق العربي خلال فترة الصراع الصفوي العثماني، التي امتدت على العراق نزولاً إلى الخليج العربي إضافة إلى الاستيلاء على الشام ومصر بعد القضاء على دولة المماليك[2].

---

(1) ابن زنبل، تاريخ السلطان سليم خان ..؛ النهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، ابن اياس بدائع الزهور ..، ج3.

(2) منسى، محمود حسن، تاريخ العرب الحديث والمعاصر المشارقة والمغاربة، القاهرة، 2000 م، ص 8-9.

أولا: اجتياح العراق والامتداد إلى الخليج العربي :

لقد شهدت بدايات القرن السادس عشر تفاقم المصالح الاقتصادية بين أوروبا والشرق، فتعاظمت أهمية العراق الاستراتيجية، نظراً لما تمتع به من منافذ حية عبر حدوده الجبلية الشرقية، التي تمتد منها المسالك التجارية البرية عبر سهوله وبراريه، لتصل بالبحر المتوسط، ثم خطوط النقل النهرية العمودية التي تقوم على جوانبها أهم المراكز الحضرية والمدن الاقتصادية[1].

وعلى اثر حملة سليمان القانوني سنة 1534م، على الدولة الصفوية خضع العراق للسيطـــرة العثمانية – عـــدا البصرة – إذ بقـــى فيـــه السلطان قرابـــة ستة أشهر[2].

مطبقا استراتيجية سياسية قوية، وأيديولوجية تنظيمية اقتصادية، كانتا تخدمان المصالح العثمانية من خلال ما سنه من قوانين إدارية وأعراف إقطاعية وأنظمة مركزية في طبيعة العلاقات بين الأقاليم والسلطة العليا "[3].

عندما تمت السيطرة العثمانية على العراق بشكل كامل، إثر تسليم راشد بن مغامس حاكم البصرة مفاتيح المدينة للعثمانيين وخضوعه لهم سنة 1546[4]، بدأ الامتداد العثماني نحو ا لأحساء و القطيف ثم البحرين، إذ كانت البصرة تشكل قاعدة إستراتيجية مهمة لامتداد النفوذ العثماني في الأحساء ومناطق الخليج الأخرى، وصارت البصرة مركزاً لحماية النفوذ

---

(1) الجميل، سيار، بقايا وجذور ...، ص 273.

(2) لونكريك، ستيفن هميسلي، أربعة قرون من تـــاريخ العـــراق، ص 22– 30 ؛ العـــزاوي، عباس، تاريخ العراق بين الاحتلالين، ج4، ص 19– 64 .

(3) الجميل، سيار، بقايا وجذور ...، ص 274.

(4) بيهم، محمد جميل، الحلقة المفقودة في تاريخ العرب الحديث، ص 68.

العثماني في الأحســاء فيما بــعد[1] إضافة إلى أنها أصبحت مركزاً لضرب القبائل العربية البدوية الخارجة عن السلطة في منطقة المشرق العربي[2].

هذا، ولم يستقر الوجود العثماني في البصرة لمقاومة بعض القبائل العربية لهم، إضافة إلى المحاولات الصفوية الرامية إلى احتلال البصرة فلم تمضِ ثلاث سنوات على ضم البصرة من قبل العثمانيين حتى أخذت القبائل العربية تشن حملاتها على المدينة وتقطع الطريق على القوافل التجارية[3]. وكان من أبرز هذه القبائل قبيلة طييَء، بقيادة بن عليان، حيث حاصر بقواته مدينة البصرة، حصاراً طويلاً جعل واليها يطلب المدد من والي بغداد علي باشا، فكلفت الدولة العثمانية الأخير، بقيادة حـملة لتأديب بن عليان بدعم من والي سيواس، ولكن هذه الحملة لم يكتب لها النجاح لاعتماد ابن عليان مباغتة القوات العثمانية ضمن أراضي تكثر فيها المتاهات والأهواز والمسالك الوعرة مستفيداً من جهل القوات العثمانية بجغرافية المنطقة[4].

و الجدير بالذكر أن الدولة العثمانية لم تستطيع أن تهزم ابن عليان، إلا بعد أن كبدت المنطقة خسائر اقتصادية هائلة، كان الخاسر الأكبر فيها سكان المنطقة، حيث مارست السلطات العثمانية حصاراً اقتصادياً قطعت من خلاله الأشجار وأُتلفت المحاصيل، ما جعل ابن عليان يدعن للصلح[5].

---

(1) الجميل، سيار، العثمانيون وتكوين العرب الحديث، ص 368 ؛ العــزاوي، عبــاس، تــاريخ العراق بين الاحتلاليين، ج4، ص 49 – 50 ؛ أحمد عبد الرحيم مصطفي " العرب في ظل الرابطة العثمانية "، العلاقة العربية التركية من منظور عربي، معهد الدراســات والبحــوث العربية، 1991، ج1، ص27 .

(2) أبو علية، عبدالفتاح، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الرياض، 1986م، ص 347.

(3) دروزة، محمــد عزة، العرب والعروبة في حقبة التغلب التركــي، بيــروت، 1981، ج6، ص65.

(4) الصباغ، عباس إسماعيل، العلاقات العثمانية أل إيرانية ...، ص 157.

(5) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

لطي صفحة السيطرة العثمانية على البصرة يجب التنويه بأن ما يذكره محمد دروزة من معلومات، تفيد أن مدينة البصرة كانت تضم الأراضي التي شلمها الصراع الصفوي العثماني، حتى بعد السيطرة العثمانية عليها، فقد تلقى الأمير المشعشعي السيد مبارك – الذي دعم ابن عليان – نائب الصفويين في الأهواز، الدعم من الصفويين أملاً في إعادة سيطرتهم عليها من خلال كسب ولاء قبيلة ابن عليان[1].

ثمة ما يؤكد أن الامتداد العثماني نحو الشام ومصر، إنما يرجع إلى تداعيات الصراع الصفوي العثماني بشكل مباشر، بالإضافة إلى تخوف العثمانيين من نشاط الدعاة الصفويين في الشام، وكذلك في مصر حسب ما أكدته بعض المصادر[2] يمكن النظر لهذا الامتداد بنظرة أخرى اكثر شمولية تندرج ضمن الاستراتيجية التي وضعها العثمانيون للسيطرة على كامل المناطق العربية شرقيها وغربيها .

ثانياً : ضم الشام ومصر والقضاء على دولة المماليك :

على إثر السيطرة العثمانية على مدينة الموصل 1514 م، وجد السلطان سليم أن الحاجـــة تدعوه إلى استكمال السيطرة على المحور التجاري الذي يربطها بحلب، فأخذ يعد العدة لهذا الأمر بعد أن توفرت له كل المسببات لحربه مع المماليك، أبرزها :

1- عرقلة ساقة الجيش السلطان سليم، قبيل معَركة جالديران، التي أعدّ لها السلطان المملوكي الخوري، وكان أداتها علاء الدولة أمير إمارة ذو القدر[3].

---

(1) دروزة، محمد عزة، العرب والعروبة ....، ج 6، ص 67 .

(2) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج1، ص 302؛ العماد الحنبلـــي، شـــذرات الـــذهب، ج8، ص 173.

(3) الرمالي، محمد الزنبلي، سيرة السلطان سليم خان، ص 7ب؛ Pavey .V .J.op.cit.p73.

2- كون شمال بلاد الشام ما يزال مرتعاً لأتباع الطريقة الصفوية الميالين للحكم الصفوي، إذ كان يشكل هذا الأمر في تلك النواحي خطراً على الدولة العثمانية، لاسيما مع إمكانية امتداد فعلي للدولة الصفوية بتلك المنطقة[1].

3- اعتقاد العثمانيين بوجود ائتلاف بين الصفويين والمماليك ضدهم، ولكن المصادر المعاصرة لتلك الأحداث قد أبطلت هذا الإدعاء، فقد كانت العلاقة بين الجانبين (الصفوي والمملوكي) علاقة مداهنة عدائية أكثر منها ودية[2].

إن تفسير السيطرة العثمانية على مصر والشام، تكمن في الاستراتيجية العثمانية لربط ديار بكر والموصل بحلب، للإفادة من متاجر الشرق، وعلى رأسها الحرير، خصوصاً بعد خلوص تبريز للعثمانيين، وخنق الاقتصاد الصفوي تمهيداً لإسقاط الدولة الصفوية[3]، فدارت الدائرة على المماليك وزالت دولتهم .

ترتب على الزوال المملوكي والصعود العثماني، أن سيطرة العثمانيون على خط تبريز – الموصل – حلب[4]، الأمر الذي منع الصفويين من الوصول إلى إتمام هدفهم الاستراتيجي الرامي إلى مدّ نفوذهم إلى حوض البحر المتوسط، ليزيد في الوقت ذاته من إحكام العثمانيين للحصار الاقتصادي الذي فرضوه من قبل على الصفويين[5].

ثالثا : أثر التوسع العثماني في المشرق العربي في مرحلة الصراع :

يتضح مما سبق أن الأراضي التي تنافس عليها الطرفان، قد آلت بشكل دائم – طوال مدة الدراسة – إلى العثمانيين، نظراً لتفوقهم العسكري

---

(1) متولي، أحمد فؤاد، الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته، ص 77-84 .

(2) ابن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص 354- 357 ؛ ابن أياس، بدائع الزهور..، ج2، ص 118-121، 219، 266، 271.

(3) الجميل، سيار، بقايا وجذور، ص 107 .

(4) صباغ، عباس إسماعيل، تاريخ العلاقات العثمانية الفارسية، ص 154.

(5) طقوس، محمد سهيل، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ص 160.

وللاستراتيجية التي اتبعوها في سيطرتهم على البحار المحيطة بالمنطقة (البحر الأحمر، بحر العرب، الضفة الشرقية والجنوبية للبحر الأبيض المتوسط)، إضافة إلى سيطرتهم على الطرق البرية من العراق عبر الشام إلى السواحل الشرقية للمتوسط، ما ضيق الخناق على الاقتصاد الصفوي الذي يعتمد بشكل كبير على تصدير الحرير إلى أوروبا .

إن أبرز أحداث الصراع في هذه الفترة تتمثل في تجسيد السيطرة العثمانية على المشرق العربي، التي انبثقت من خلال الصراعين البري والبحري معاً ضد أكثر من دولة، فكان هناك الصراع البري ضد الصفويين في إيران، وضد المماليك في مصر وبلاد الشام، وكان هناك الصراع العثماني البحري ضد البرتغاليين في البحار الشرقية، وكانت أبرز نتائج هذه السيطرة أن قضى العثمانيون على آخر أنفاس الخلافة العباسية الإسلامية أثر اعتقال ونفي المتوكل على الله أخر الخلفاء الرسميين، وهو آخر خليفة عربي لم تكن له القدرة على اتخاذ القرار، ولم يكن له تأثير سياسي(1)، والمصادر التاريخية القديمة ومن ضمنها الوثائق العثمانية، لم تشر من قريب ولا من بعيد، إلى حدوث أي تنازل عربي / عباسي عن الخلافة إلى العثمانيين(2).

بعبارة أخرى، كانت الانتصارات العثمانية ذات أهمية كبرى في تحديد مصير الوطن العربي عامة، والمشرق العربي خاصة، وقد انتهى النظام السياسي العربي القديم وبضمنه الخلافة العباسية، ولكن بقيت عدة نماذج عربية محتفظة بمقوماتها السياسية حيث اعتمد العثمانيون – كعادتهم – على أبناء البيئات الإقليمية في تسيير المناطق الخاضعة لهم، مثل خاير بيك في مصر، وفخر الدين المعنى الأول في لبنان، والشريف محمد الثاني بن بركات شريف مكة في الحجاز(3).

---

(1) بدون مؤلف، " المتوكل على الله الثالث"، مجلة أقلام، 2001، ص 5، www.aklaam.com

(2) للاستزاده حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى :الجميل، سيار، بقايا وجذور...، ص 124-125.

(3) المرجع نفسه، ص 150-151.

مجمل القــول أن الغرض من هذه السياسة العثمانية في الولايات العربية، أن تبقى على ما كانت عليه، حين تم الاستيلاء عليها مع المحافظة على السيادة العثمانية[1].

في ذات السياق، قسم العثمانيون المشرق العربي إلى عـدة ولايـات، ارتبطت جميعها في المراحل التاريخية الأولى بالسلطة العثمانية العليـا فـي العاصمة استانيول مباشرة، وكان من أبرز تلك الولايات العربية المشـرقية : ولاية الموصل، بغـداد، البصرة، شهرزور، حـلب، دمشـق، طـرابلس الشام[2].

أما فيما يتعلق أن الدولة العثمانية كانت مسئولة عن الركود والتخلف اللذين حلا بالمنطقة العربية الخاضعة لها[3]، فلا يمكن الإقرار بـذلك كليـاً، دون التعرض للأسباب التاريخية التي أدت إلى ذلك، والمصـاحبة للصـراع الصفوي العثماني، وإن طرح هذه الأسباب في مساحة ضيقة جداً يعود لقصر الفترة قيد الدراسة مقارنة بالوجود العثماني في المنطقة العربية الذي نـاهز الأربعة قرون في بعض المناطق.

حقيقةً أن العثمانيين بعد سيطرتهم على المشرق العربي، قد فرضوا عليه نوعاً من العزلة، ومن ذلك أن الدولة العثمانية، بعد أن سيطرت على سواحل البحر المتوسط حولته إلى بحيرة عثمانية، ومنعت دخول السـفن الأوروبيـة إليه حرصاً على سلامة البقاع الإسلامية المقدسة، التي فكر البرتغاليون فـي الاعتداء عليها[4] بيد أنها سمحت بالتدريج للسفن الأجنبية بالإبحار حتى جدة،

---

(1) أحمد عبدالرحيم، " دور العرب في ظل الرابطة العثمانية "، ص 136.

(2) المرجع نفسه، ص 13-137.

(3) للاستزادة في هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى ؛ ارلخ هارمان، " إزاحة صبغة الاحتلال من تاريخ العلاقات التركية العربية " أعمال المؤتمر الثاني للعلاقات العربية التركيـة، تحريـر عقيل البربار، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيـين للدراسـات التاريخيـة، طـرابلس، 1982،ص 8-22 .

(4) منسى، محمود حسن، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص 18-23.

وفي النهاية أصبحت تتجه إلى السويس، وعادت تجارة المرور من جديد في أواخر القرن الثامن عشر، هكذا أمكن كسر نظام العزلة المفروضة على المشرق العربي، بخاصة أن الدولة العثمانية كانت بحاجة إلى بريطانيا وفرنسا في مواجهة الضغط الروسي الهادف إلى إحياء الإمبراطورية البيزنطية التي ادعى آل رومانوف حكام روسيا أنهم ورثتها[1].

إذن، فالعزلة التي فرضتها الدولة العثمانية على أملاكها العربية، كان مبعثها الخوف الناتج من الصراع المستمر بينها وبين العالم المسيحي، فكانت هذه السياسة حماية للمنطقة العربية من الخطر الأوروبي، وان كان كلفها الخضوع للعثمانيين المسلمين حتى مطلع القرن العشرين .

هكذا، فإن الدولة العثمانية لا تتحمل وحدها مسئولية التدهور الذي أصاب المشرق العربي، إذ إن هذا التدهور يرتبط بالعامل الاقتصادي، الذي تأثر بعدة عوامل لعل أهمها، تحول طرق التجارة العالمية إلى المحيطات، بعد اكتشاف الأمريكتين، وطريق رأس الرجاء الصالح[2]، وكانت نتائجه وخيمة على الطرفين : العثمانيين والعرب .

بالإضافة إلى ذلك فقد تحملت الولايات العربية العثمانية، (معتادات) استانبول من الهدايا للسلطان وكبار رجال دولته، وكانت هناك أيضا نفقات القوات العثمانية المرابطة في الولايات للدفاع عنها، ولحفظ الأمن فيها ومنع الثورات، إلى جانب تجهيز فرق حربية وإرسالها إلى ميادين القتال في أوروبا وآسيا للاشتراك مع الجيوش العثمانية[3]، كل ذلك أجهد المنطقة العربية، وحرمها من تطوير اقتصادياتها، في ظل سيادة عربية مسلوبة الإرادة .

---

(1) أحمد عبد الرحيم مصطفى، " العرب في ظل الرابطة العثمانية "، ص 134.

(2) المرجع نفسه، ص 135.

(3) منسى، محمود حسن صالح، تاريخ العرب الحديث، ص 23 ؛ الموردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث والمعاصر، ص 20.

أخيراً إن أبرز ما يلفت الانتباه في موضع السيطرة العثمانية على المشرق العربي، إضفاء جل الكتابات العربية على الوجود العثماني في المنطقة العربية صفة " الفتح "، فمن منطلق أن صفة الفتح لها مدلولها الخاص، لدى العرب المسلمين، يبدو من غير الصواب إطلاق هذا المصطلح على منطقة إسلامية، إسلامها هو أسبق من الوجود العثماني بها، بل هو أقدم من تاريخ قيام دولة آل عثمان أنفسهم.

فكما مر أن العثمانيين قد دخلوا المشرق العربي بالقوة العسكرية في خضم صراعهم مع الصفويين في إيران والعراق، ومع المماليك في الشام والحجاز ومن هذا المنطلق كان الوجود العثماني في المنطقة العربية – رغم الحماية التي قدموها للعرب – هو وجود قوة أجنبية في المنطقة العربية .

المبحث الثالث

العلاقات العثمانية – الصفوية مع أوروبا في فترة الصراع

- العلاقات العثمانية الأوروبية .
- العلاقات الصفوية الأوروبية وتداعياتها على المشرق العربي .
- التدخل البرتغـــالي في الصراع الصفـــوي العثماني وتداعياتـــه علـــى المشرق العربي .

لقد كانت دول أوروبا المسيحيـــة تحاول الإفادة مـــن الحـــروب بـــين العثمانيين والصفويين من جهة، ومن جهة أخرى كان ملوك فرنسا من أسرة آل فالوا يبحثون عن حلف مع العثمانيين ليهاجموا آل هايسبورغ من الخلف، كذلك حاول آل هابسبورغ عقد الصلات مع الصفويين في إيـــران، ليوقفـــوا العثمانيين في أوروبا[1]، ولا يعنى ذلك أن الدولتين العثمانيـــة و الصـــفوية كانتا مُسيّرتين بالإيحاءات الأوروبية، بل كانت لكل منها مطامع خاصة تريد تحقيقها، فكان المشرق العربي هو الخاسر الأكبر في ضل هـــذه العلاقـــات الأوروبية، العثمانية الصفوية .

أولا : العلاقات العثمانية الأوروبية:

تميز عهد السلطان العثماني بايزيد الثاني ببدء العلاقات الدبلوماسية مـــع أوروبا بشكل ملحوظ، وبتغير نظرة الأوربيين للعثمانيين، في الوقـــت الـــذي يسيطر فيه العثمانيون على جزء كبير من أوروبا، وفي هذا الصـــدد، يـــذكر الباحث الإنجليزي تشارلز اليوت : " لقد تغيرت نظـــرة الأوروبيـــين إلـــى

---

(1) حاطوم، نور الدين، الموسوعة التاريخية، القاهرة، مكتبة الأنجلـــو المصـــرية، (د.ت)، ص 410 .

الأتراك، فلم يعودوا يرون فيهم البرابرة الأجلاف غير المتفاهمين، بل اصبحوا ينظرون إليهم نظرة احترام ويدعونهم إلى أراضيهم ويرحبون بالاتفاق معهم، خاصة بعد أن وجدوا عندهم من القيم الإنسانية والحضارية، ما يماثل تلك التي كانت عند الإغريق والسلاف والألبانيين والرومان، بل تمايز الأتراك على هؤلاء بالقوة والنشاط ووحدة الصف، أضف إلى ذلك تواضع السلاطين " [1].

بيد أن هذه النظرة لم تغير من سياسة العثمانيين في الزحف أكثر في أوروبا، فقد استمرت حروبهم مع البنادقة على سواحل البلقان واستولوا منهم على جزر ليبانت ومودن ونافرين في البحر المتوسط وميناء رودنسو على البحر الادرياتيكي[2]. من جهة أخرى اضطر العثمانيون إلى عقد معاهدات سلام مع العديد من الدول الأوروبية، عند انشغالهم بالحرب ضد الصفويين في الشرق، سواء كان ذلك في عهد سليم الأول، أو ابنه سليمان القانوني .

على الرغم من حدة الصراع الصفوي العثماني وانشغال العثمانيين بإعداد الجيوش له، لكنهم لم يوقفوا توسعهم في أوروبا، ففي الفترة الواقعة بين سنتي 927هـ/1521م، 936هـ /1531 م، استطاع سليمان القانوني أن يواصل مسيرة الفتح في أوروبا وكانت أهم خطواته :

- فتح بلغراد 997هـ/ 1521 م، كانت هذه المدينة الحصينة بمثابة درع يحتمي وراءه المحاربون كلما تقدم العثمانيين، من ثم فإن فتحها كان يعني حرمان المجر من هذا الدرع، كما أن توسطها أوروبا جعل منها قاعدة صالحة لانطلاقات عثمانية أخرى إلى قلب أوروبا، وقد استغرق حصارها شهراً كاملاً [3].

---

(1) Eliot . Charles .Turkey In Eueope, London ,1965,p.54-55.

(2) هريدي، محمد عبداللطيف، الحروب العثمانية وأثرها في انحسار المد الإسلامي من أوروبا، ص41 .

(3) متولي، أحمد فؤاد، تاريخ الدولة العثمانية، ص 237-238 .

- فتح جزيرة رودس 929هـ/1523م، حيث فرسان القديس يوحنا يتخذونها قاعدة لأعمالهم البحرية، ما جعل فتحها أمراً حيوياً بالنسبة للدولة العثمانية من ناحية، ولنشاط التجارة العثمانية من ناحية أخرى، ورغم بسالة الفرسان في الدفاع عن الجزيرة وقوة تحصينها استطاع العثمانيون فتحها عام 929هـ[1].

- اجتياح المجر وحصار فيينا، بعد فتح بلغراد استمر الاجتياح العثماني للمجر حيث لقي العثمانيون تحالفاً صليبياً، ضم جيوش أوروبية مختلفة في موقعة موهاج سنة 932هـ، وحققوا نصراً ساحقاً على هذا التحالف، وزحفوا على عاصمة المجر (بودا) واستولوا عليها، ما جعل العثمانيين وجهاً لوجه أمام ملك النمسا فرديناند، وحاصروا عاصمته فيينا 939هـ، واحكم الجيش العثماني الحصار عليها، وظل يقصف أسوارها طيلة ستة أشهر[2]، لكنه لم يستطيع فتحها، بسبب سماعه أنباء من الشرق بخصوص الخطر الصفوي، جعلته يرجع إلى استانبول[3] استعداداً لجولة جديدة مع الصفويين .

إن التحرك العثماني نحو أوروبا في عهد السلطان سليمان، قد زادت حدته أكثر من ذي قبل، ومما يؤكد ذلك رسالة التي بعث بها الإمبراطور شاركان إلى سفيره في إنجلترا في 16 أبريل 1523 م، يقول له: " عليك أن توضح للملك وللكاردينال مبلغ الخطر الذي يتعرض له العالم المسيحي ... ونكاد نعتقد أن الأتراك سينوون مهاجمة العالم المسيحي هذه السنة، وستكون أرض المعركة أما في هنغاريا أو في إيطاليا أو في البلدين

(1) هريدي، المرجع نفسه، ص 61 .
(2) هريدي، محمد، المرجع نفسه، 61 .
(3) مانتران، روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ص 221 ؛ متولي، أحمد فؤاد، تاريخ الدولة العثمانية، ص 241-242.

معاً، وفي الوقت ذاته .. ولكن أينما هاجم الأتراك في العالم المسيحي، فإن ذلك من شأنه أن يعرض كرامتنا بصفتنا إمبراطوراً وحامياً للكنيسة إلى الامتهان .. وإذا سمحنا للعدو أن يقوم بمثل هذا العمل العدائي فإنه سيكون بمثابة وصمة عار تلحق بنا إلى الأبد، هذا فضلاً عما سنتعرض إليه من بؤس وشقاء "[1].

تدل هذه الرسالة على مبلغ الفزع الذي انتاب أوروبا من جراء التوسع العثماني، فبدأ الأوربيون ينظرون إلى الدولة الصفوية في إيران وسيلة لتحويل الخطر العثماني عنهم، ويقول هارولد لامب " إن الرسل الموفدين من البندقية ذهبوا إلى الشاه في إيران ليحثوه على حرب الدولة العثمانية، إذ إن هذه الحرب إذا ما أمكن إشعالها ستخفف الضغط عن مدينة فيينا وعن البحر المتوسط[2]، بينما كتب سفير النمسا في أستانبول " أن الإيرانيين وحدهم يقفون بيننا وبين الدمار "[3].

إذا يمكن القول إن العلاقات العدائية بين أوروبا والدولة العثمانية، قد أسهمت بشكل كبير في التقارب الأوربي الصفوي، منذ وقت مبكر من الصراع الصفوي العثماني، ما كان له بالغ الأثر على منطقة المشرق العربي.

ثانيا : العلاقات الصفوية الأوروبية وتداعياتها على المشرق العربي :

بعد أن أسس الشاه إسماعيل دولة قوية في شرق الدولة العثمانية، دخل في حروب مع السلطان سليم الأول منذ سنة 920هـ/1514م، ولهذا أخذ ملوك أوروبا الذين كانوا في ذعر واضطراب من زحف العثمانيين على أوروبا، في مصادقة الشاه إسماعيل والاتحاد معه، وسعى لا سيما بعد

---

(1) الموردي، علي، لساحات من تاريخ العراق، ص 51-52.

(2) لامب، هارولد، سليمان القانوني، ترجمة شكري نديم، بغداد، 1961 م، ص 235.

(3) Browne ,Edwarad. Alitrary History of Persia ,Cambridge .1953.vol4,p93-94.

هزيمته في جالديران للتقرب من الدول الأوروبية، بخاصة المجر وألمانيا وجمهورية البندقية، الذين يجاورن الدولة العثمانية من ناحية الغرب .

- العلاقات الصفوية الفينيسية (البندقية) :

لقد كانت فينيسيا من الدول المتأثرة تجارياً بسبب قضاء العثمانيين على الدولة البيزنطية إثر سقوط القسطنطينية سنة 1453 م، وإغلاقها الطريق الرئيسي للتجارة بين أوروبا وآسيا[1]، على إثر ذلك حدثت عدة مراسلات بين جمهورية فينسيا والدولة الصفوية منذ وقت مبكر من تأسيس الأخيرة .

حقيقة الأمر أن الغموض، وعدم الوضوح يسود المراسلات التي جرت بين الطرفين فالمصادر العربية التي تعرضت لهذا الموضوع، أكتفت بأن مضمون هذه المرسلات ينحصر في تشجيع البندقية للشاه إسماعيل لشن الحرب على العثمانيين لكي يخفف الضغط على أوروبا[2].

بيد أن أحد المصادر الفينيسية أزالت ذلك الغموض عن محتوي المراسلات الفينيسية الصفوية، حيث تذكر يوميات (مارينو سانودو) أنه جرى ترتيب ذات قيمة في مجلس شيوخ فينيسيا في عام 1502 م، بواسطة أحد رعاياه (أي رعايا مجلس فينيسيا) والمقيم في قبرص بخصوص الاتصال مع الشاه إسماعيل[3]، وفي ذات السياق وصلت رسالة إلى فينيسيا من أحد عملائها في الشرق، مؤرخة في 25 نوفمبر 1502م، أبلغت أن الصوفي [الشاه إسماعيل] أراد أن يحصل على سلاح مدفعية من المسيحيين[4]، وقبل

---

(1) أبو الحسن علوي عطرجي، " الصفويون والدولة العثمانية " . www.d-sunnah.net.p11 .

(2) ابن أياس، بدائع الزهور...، ج4، ص 191 ؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج1، ص 342.

(3) Allouche , Adle .Op.Cit. p.80.

(4) ولايتي، علي أكبر، تاريخ روابط خارجي إيران ..، ص 241.

ذلك أرسلت فينيسيا قسطنطينو لاسكاري من قبرص إلى الشاه إسماعيل في يونيو 1502 م، " ليقدم وعداً بالمساعدة والمدفعية، وأقامت تحالف ضد العثمانيين " [1].

يستشف من هذه المعلومات أن فينسيا سعت للتحالف مع الصفويين ولتقديم المساعدة لهم لحثهم على حرب العثمانيين، فقد كانت فينيسيا تسعي لإبقاء الأناضول في حالة اضطراب، أملاً في إيجاد نقاط اضطراب داخلي للعثمانيين، حيث كانت فينيسيـا في حالة دفاع ضدهم في ميادين القتـال في المـوره (الموريا) [2].

- العلاقات الصفوية الإنجليزيـة، وبداية التدخل الإنجليزي في المشرق العربي :

مع بداية العقد الثاني من القرن السادس عشر، بدأ إهتمام الإنجليز بالمشرق العربي عن طريق شركة مسكو التي تأسست في موسكو على يد التجار الإنجليز ريتشارد شانسلر بإذن من قيصر روسيا أيفان (1584/1533م)، حيث بعثت هذه الشركة انطوان جينكينسن إلى إيران، لعله يستطيع إقامة علاقات اقتصادية مع ولايات شمال إيران الواقعة على ساحل بحر الخرز والتي كانت مراكز لتجهيز الحرير، لينافس بذلك التجار البرتغاليين الذين يحتكرون تجارة الحرير الإيراني، ويحملونـه إلى أوروبا عن طريق الخليج العربي وجنوب أفريقيا[3] .

توجه جينكينسن إلى إيران سنة 1536م، حاملاً رسالة من ملكة إنجلترا إليزابيت(1523-1603م) موجهة إلى طمهاسب الأول [4]، ووصل جينكينسن

(1) Allouche .Adel .op.cit.p.81.

(2) Ibid.p.74.

(3) فلسفي، نصر الله، إيران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي، ص 133.

(4) يوجد نص لهذه الرسالة في الملحق، ص 284، الوثيقة : 11.

إلى ميناء دربند في القوقاز، الذي كان آنذاك ضمن الممتلكات الصفوية، ومن هناك توجه إلى أصفهان عاصمة الشاه الجديدة، ويبدو أن مهمة المبعوث الإنجليزي قد فشلت في عقد اتفاق مع الشاه، لتشجيع التجارة معه، لذا تصف أحد المصادر جينكنيسن " لم يكن يعرف العادات والتقاليد الإيرانية .... فإنه لم يستطع أن يحقق هدفه كما كان يريد وعاد إلى موسكو .." [1].

رغم فشل البعثة الإنجليزية الأولى في تحقيق هدفها، إلا أن شركة مسكو لم تفقد الأمل في اختراق تجارة المشرق العربي والحرير الإيراني، فبعد عدة سنوات استطاعت الشركة أن تعقد اتفاق مع الشاه الصفوي عن طريق مبعوثها أرثر إدوارد، وأهم بنود هذا الاتفاق :

1- التجار الإنجليز الحرية في السفر حسب رغبتهم سواء إلى جيلان أو إلى أي مكان من أملاك الشاه .

2- إذا حدث وتعرضت إحدى سفنهم للغرق في بحر الخزر، فإن رعايا الشاه سوف يهبون لمساعدة الغرقى، وينقذون أموالهم وأرواحهم إذا طلبوا المساعدة .

3- يحق للتجار الإنجليز شراء أو بناء المنازل اللازمة لعملهم، ولا يحق لأي شخص منعهم أو الأضرار بهم[2].

وبهذه الامتيازات التي منحها الشاه طهماسب الأول، كان يُرجى أن تزدهر التجارة عن طريق روسيا إلى إيران، وتؤدي إلى كساد سوق البرتغاليين مع الهند الشرقية وإيران، لأن التجار الإنجليز كان يمكنهم المجيء إلى إيران مرة واحدة على الأقل كل سنة عن طريق روسيا، أما ذهاب البرتغاليين عن طريق البحر من هرمز إلى الهند وجنوب إفريقيا إلى أوروبا ثم العودة للهند وإيران، فلم يكن متاحاً قبل عامين[3].

---

(1) شيباني، نظام الدين مجبر، تشكيل شاهنشاهي صفوية، ص 235-240 .

(2) فلسفي، نصر الله، إيران وعلاقاتها الخارجية ...، ص ص136-137.

(3) المرجع نفسه، ص 137.

وان لم تشر هذه الاتفاقية بوضوح إلى العثمانيين، إلا أن بنودها تهدف ضمنية إلى منع احتكار الحرير من قبل السلطات العثمانية، وبالتالي فتح الباب أمام الصفويين للمتاجرة مباشرة بأوربا، دون عبور الأراضي الواقعة تحت السيطرة العثمانية، وهذا ما يمكن اعتباره بداية التدخل الإنجليزي في المشرق العربي، سيما في ظل موافقة أحد دول المنطقة، وهي الدولة الصفوية المنهكة في صراعها مع العثمانيين .

بيد أن أكثر الدول الأوربية استفادت من هذا الصراع، هي دولة البرتغال لذا أفرد لها مساحة أوسع في هذه الدراسة، وهذا ما يختص به القسم الثالث من هذا المبحث.

- ثالثا : التدخل البرتغالي في الصراع الصفوي العثماني وتداعياته على المشرق العربي :

مع إطلالة القرن السادس عشر، بدأت خارطة العالم الجغرافية تأخذ شكلاً جديداً، وذلك لما طرأ عليها من تطورات جذرية متتالية في المجالات السياسية والاقتصادية والإستراتيجية، ومما لاشك فيه أن الباعث الأول لهذه التطورات هو ظهور البرتغاليين على المسرح الدولي للأحداث، وقد سبق الحديث عن الوجود البرتغالي في المشرق العربي واحتلال جزيرة هرمز سنة 1507م[1]، إثر اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح، فكان ذلك إيذاناً ببدء عهد دولي جديد، ليس في المحيط الهندي فقط، بل في الدول المتحلقة حول الخليج العربي والبحر الأحمر والبحر المتوسط عموماً[2].

---

(1) العماد الحنبلي،شذرات الذهب...، ج4، ص 60 ؛ ابن الربيع، قرة العيون، بغداد، 1980، ص 211 .

(2) بروديل، فرناند، البحر المتوسط، ص 59 ؛ فخري رشيد المهنا، " الخليج " مجلة أفاق عربية، ع5، 1980، ص 55.

جرى أول اتصال بين البرتغاليين و الصفويين سنة 1508م، عندما طالب الشاه إسماعيل الخراج السنوي المعتاد من أمير هرمز، الخاضعة حديثاً للسيطرة البرتغالية، فأستشار الأخير القائد البرتغالي بوكيرك، الذي أرسل رسالة [1] إلى الشاه يقول : " لقد استولينا على هرمز بقوتنا وقدرتنا وهي مملوكة لجلالة إيمانيول ملك البرتغال، وليس لأمير هرمز حق دفع الخراج لملك غيره "[2] . ثم أعطى لمبعوث أمير هرمز بعض طلقات المدافع والبنادق والبارود، وقال له : " قل لأميرك أن يرسلها إلى الشاه إسماعيل بدل الخراج، لأن ملك البرتغال أمرنا ألا نجيب الأعداء، إلا بمثل هذه الأشياء، وبعد أن أنتهي من قلعة هرمز، فسوف أهجم على سواحل الخليج الفارسية ونستولي على كل موانئها الساحلية التي تخضع الآن للشاه إسماعيل، ونضمها لاسم ملك البرتغال "[3].

وليس هناك من شك أن وصول البرتغاليين إلى منطقة المشرق العربي وسيطرتهم على أجزاء من السواحل العربية والفارسية في الخليج العربي، جعلهم على معرفة بأحوال المنطقة الصراع القائم بين العثمانيين والصفويين، ومن ثم سعوا إلى الاستفادة من هذا الصراع، فتقربوا من الصفويين وحاولوا التحالف معهم لكي يتسنى لهم تحقيق مآربهم في المنطقة، ففي سنة 1509م، بعث البوكيرك – نائب ملك البرتغال في الهند – برسالة إلى الشاه إسماعيل الصفوي يقول فيها : " إني أقدر احترامك للمسيحيين في بلادك واعرض عليك الأسطول والجند والأسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك.. وإذا أردت أن تنقض على بلاد العرب أو أن تهاجم مكة، فستجدني

(1) توجد نسخة من هذه الرسالة في الملحق، ص 255، الوثيقة : 7 .
(2) مهدوي، عبدالرضا هوشنك، تاريخ روابط خارجي إيران، ص 22-23.
(3) فودة، محمد رضا، العلاقات الإيرانية الخليجية، مركز الدراسات العربي – الأوروبي، باريس، 1994،ص 10.

بجنبك في البحر الأحمر أمام جدة أو في عدن أو في البحرين أو القطيف أو البصرة، وسيجدني الشاه بجانبه على امتداد الساحل الفارسي وسأنفذ له ما يريد..." [1].

إن كلمات هذه الرسالة توضح مدى الحقد والكره الذي يكنه البرتغاليون للمسلمين وسعيهم الدؤوب للقضاء على الإسلام مستغلين الخلاف الإسلامي – الإسلامي، وفي المقابل كان الصفويون يبحثون عن حليف قوي يساعدهم في صراعهم ضد العثمانيين، لاسيما إثر هزيمتهم في جالديران 920هـ/1514م، لذلك سعى الشاه إسماعيل الصفوي للتحالف مع البرتغاليين ضد الدولة العثمانية، منتهزاً عدواتهما معاً ضد العثمانيين[2].

ففي سنة 921هـ/1515م، أرسل الشاه إسماعيل رسوله إلى القائد البرتغالي البوكيرك يحمل رسالة موجه إلى ملك البرتغال، كتبت باللغة اللاتينية[3]، وإثر هذه الرسالة عقد اتفاقية بين الطرفين، ويقول علي أكبر ولايتي : أن بنودها جيدة للطرفين[4] وتتضمن هذه الاتفاقية ما يلي :

1- تقوم القوات البحرية البرتغالية بمساعدة الدولة الصفوية " في إخماد الانقلابات التي تحدث على سواحل بلوشستات (بلوجستان) ومكران[5].

2- تصرف الدولة الصفوية النظر عن جزيرة هرمز[6] وتوافق على أن يبقي حاكمها تابعاً للبرتغال، وألا تتدخل في أمورها الداخلية[7].

3- تصاحب قوة بحرية برتغالية حملة الصفويين على البحرين والقطيف .

---

(1) الخطيب، مصطفي عقيل، التنافس الدولي في الخليج العربي، ص 23.

(2) نوار، عبد العزيز، تاريخ العراق الحديث، ج1، ص 10.

(3) توجد صورة من هذه الرسالة في المحلق، ص 216 (الوثيقة : 6) .

(4) ولايتي، علي أكبر، تاريخ روابط خارجي إيران، ص 254 .

(5) فلسفي، نصر الله، إيران وعلاقاتها الخارجية، ص

(6) ولايتي، علي أكبر، تاريخ روابط خارجي إيران، ص 258.

(7) أبو الحسن عطرجي، " الصفوي والدولة العثمانية "

www.d-sunnah.ent

4- تتحد الدولتان في مواجهة الدولة العثمانية[1].

بيد أن هذه الاتفاقية لم يتم العمل بها نظراً لموت البوكيرك (15 ديسمبر 1515م، في ميناء جوا بالهند) لكنها بشكل أو بآخر أسهمت بتجدر الوجود البرتغالي في المنطقة لأكثر من قرن، نظراً لانشغال الصفويين والعثمانيين بصراعهما مع بعضهما البعض وغضهما الطرف عن الوجود البرتغالي، وهذا الباحث الإيراني عبد الرضا مهدوي، يرى أن الدولة الصفوية استفادت من هذه الاتفاقية بتعريفها على استخدام الأسلحة النارية الجديدة "[2] .

مما يجدر ذكره في هذا السياق أن ترسيخ الوجود البرتغالي حول منافذ الخليج العربي كان ضربة قاسية للتجار العرب والمسلمين، جعلت التجارة عموماً بيد الأوربيين لأن العثمانيين أخفقوا – إلى حدّ ما – في أن يحلو محل العرب في السيادة الاقتصادية التي احتفظ العرب بها لمدة طويلة، ثم أتى الصراع الصفوي العثماني الذي شغل الدولتين عن سرعة التطورات الدولية في البحار، وليعطي الفرصة لكي تفرض القوى البرتغالية منطق القوة الاستعماري على موانئ الخليج العربي وخليج عمان وخليج عدن [3]، وأن تصبح صاحبة اليد الطولى فيها، والمتحكم الأول فى تجارتها [4].

---

(1) العقاد، صلاح، التيارات السياسية في الخليج، ص 17 ؛ نورس، علاء الدين، السياسة الإيرانية في الخليج العربي، ص 8.

(2) مهدوي، عبدالرضا هوشنك، تاريخ روابط خارجي إيران، ص 23.

(3) تتضح هذه السياسة الرامية إلى محاربة العرب والمسلمين ليس فقط في المشرق العربي، بل محاولة طرد المسلمين من مواقعهم في الهند، من خطاب ألقاه البوكيرك على رجاله جاء فيه " الخدمة الجليلة التي سنقدمها لله بطردنا العرب هذه البلاد (الهند) وبإطفائنا شعلة محمد، بحيث لا يندلع لها هنا بعد ذلك لهيب .. وذلك لأني علي يقين أننا لو انتزعنا تجارة ملقا هذه أيديهم، لأصبحت كل من القاهرة ومكة أثراً بعد عين..." . بانيكار، ك، م، أسيا والسيطرة الغربية، ص 48 .

(4) نوار، عبدالعزيز، الصراع العثماني الفارسي والعلاقات الفارسية العربية، ص 54.

ثم كان لسعي البرتغاليين الحثيث ومحاولاتهم المستمرة لإجتياز باب المندب بهدف الوصول إلى جدة، أذ وقع على العثمانيين – بعد أن دان لهم أشراف الحجاز بالولاء – مسؤولية حماية البحر الأحمر لوجود ممتلكات لهم فيه، وعدا الدفاع عن هذه الممتلكات واجباً تفرضه المعطيات الأيدلوجية في الدفاع عن مقدسات المسلمين في مكة والمدينة، وواجباً استراتيجياً تفرضه مصلحة الدولة الاقتصادية في السيطرة على طرق التجارة الدولية[1].

أخيراً، إن الصراع الدولي حول المشرق العربي، الذي شكل الصراع الصفوي العثماني جزءاً منه، ولم ينته بمجرد زوال الدولة الصفوية، أو خروج العثمانيين من المنطقة العربية، ذلك بسبب المشاكل العالقة جراء ذلك الصراع، لاسيما الحدودية منها، كما أن أحد أهم أسباب الصراع، (الطرق التجارية التقليدية) تبدلت بمنابع النفط (العربي والإيراني)، بل ليس ببعيد القول إن ما يجري في العراق اليوم، ليس ببعيد عن تداعيات الصراع سالف الذكر، وهذا موضوعٌ جديرٌ بالمناقشة والبحث .

---

(1) ياغي، إسماعيل احمد، الدولة العثمانية، ص 32 ؛ صباغ، عباس إسماعيل، تاريخ العلاقات العثمانية، الإيرانية، ص 69.

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة التي ألقت الضوء على جانب من تاريخ الصراع بين الدولتين العثمانية و الصفوية، وبالتحديد الفترة الممتدة من بداية القرن السادس عشر وحتى منتصف العقد الخامس من ذات القرن، وما رافق هذه الفترة من أحداث ووقائع، وما تمخض عنها من نتائج، لاسيما المتعلقة بمنطقة المشرق العربي، لابد من الإشارة إلى بعض الاستنتاجات .

إن الدولة العثمانية نشأت من جراء انسياح قبائل التركمان الآتية من أواسط آسيا إلى الأناضول، مستقرة على أراضي دولة بزنطة، وذلك منذ الفترة التي تلت معركة ملاذكرد (1070م) فتم لهؤلاء التركمان الاستيطان بالأناضول، وجهدوا على تتريكه، ليغدو فيما بعد عثمانياً من الجانب القومي، وإسلامياً، لاعتناق معظم سكانه الديانة الإسلامية من الجانب الديني، ثم بدأ الزحف العثماني نحو أوربا في منتصف القرن الرابع عشر، توج بفتح القسطنطنية سنة 1453م، والسيطرة على جزء كبير من أوروبا، ومع بداية القرن السادس عشر يتجه العثمانيون للمشرق (الفارسي والعربي) ليدخلوا في صراعٍ طويلٍ الأمد مع الدولة الصفوية الناشئة حديثاً .

بعد أن خسر زعماء التركمان نفوذهم السياسي إثر اضمحلال دولتي القره قويونلو والأق قويونلو، وجدوا ضالتهم في المشيخة الصفوية في أردبيل التي كان ينضوي تحت لوائها الآلاف من المريدين التركمان، والمتمثلة آنذاك في إسماعيل الصفوي – الذي لم يتجاوز الاثني عشرة سنة – وحملوه من كيلان إلى أردبيل سنة 1499 م، ثم تبريز وجعلوه ملكاً عليهم سنة 1501 م، فتحقق لهؤلاء الزعماء ما كانوا يرنون إليه، من استحواذ على السلطة بعد أن قامت بالفعل الدولة الصفوية على أكتاف قبائل " القزلباشية " .

لقد أيقن الصفويون أهمية الرقعة التي قامت عليها دولتهم من الناحية الإستراتيجية، فأخذوا يتوسعون شرقاً إلى أن وصلوا مرو– الحد الذي يفصل

الهضبة الإيرانية عن آسيا الوسطى - غرباً إلى أن وصلوا ديار بكر الواقعة شرق الأناضول، الأمر الذي جعل العثمانيين ينظرون نظرة ريبة وحذر من التوسعات الصفوية الرامية إلى السيطرة على المناطق الإستراتيجية، الأمر الذي أخذ بالفعل يهدد كيان دولتهم .

تفاديا لهذه الخطر عمد العثمانيون إلى مبدأ الحصار الاقتصادي لخنق اقتصاد الدولة الصفوية، تمهيداً لضربها، كما حدث في جالديران سنة 1514م، ولما كانت هذه المعركة غير حاسمة، استمر الصراع منقطعاً بين الطرفيين قرابة قرنين .

لقد حاولت هذه الدراسة تفنيذ الأسباب المذهبية للصراع، إذ ارتأت عدم إمكانية ردّ الصراع إلى الخلاف المذهبي بين الطرفين، وأن الخلاف المذهبي لم يكن سوى وسيلة دفع بها المتنفذون في الدولتين، جموع العامة لتحقيق مآربهم التوسعية .

إذاً، إن التشيع والتسنن لم يكونا بحد ذاتها الغاية التي يتوخاها الطرفان، ويستدل من ذلك أن قيام الدولة الصفوية في منطقة أذربيجان، وبين الأتراك بالذات له دلالة خاصة، فهي لم تقم في الأقاليم (فارس، عراق العجم، خراسان) التي تضم قسماً من الفرس الآخذين بالمذهب الشيعي، بل قامت في إقليم لم يكن فيه التشيع أصيلاً بل مستحدثاً، قام على نشره شيوخ الأسرة الصفوية، بدءاً من الشيخ سلطان جنيد (1447/1460م) حتى إعلان حفيده إسماعيل قيام دولتهم وهي فترة ليست بكافية لتأصيل الخلاف المذهبي بين ساكني تلك المناطق على نحو يجعله السبب الأساسي للصراع بين الدولتين .

من جهة أخرى إن ارتكاز بداية الصراع بأذربيجان وشرقي الأناضول (معركتي جالديران، وقره غين دده) يعزز هشاشة السبب المذهبي، لأن تلك المناطق يعُدها العثمانيون من مناطق نفوذهم، بحكم صلة القرابة بينهم وبين أتراك أذربيجان، وعلى الجانب الأخر ينظر شاهات

الصفويين إلى منطقة شرق الأناضول النظرة ذاتها، على أنها من مناطق نفوذهم، وذلك لانتشار الطريقة الصفوية بين القبائل التركمانية فيها، كما أن امتداد دائرة الصراع لتشمل المشرق العربي – وأغلبه تحت سيطرة المماليك – تنفي بقوة مذهبية الصراع، أما فيما يخص الأعمال العربية بين الطرفين، يمكن استخلاص جملة من النتائج .

لم تضع الحروب التي دارت بين الجانبيين حداً للصراع، رغم تفوق العثمانيين فيها أغلب الأحيان، ولم تستطع الدولة العثمانية القضاء على الدولة الصفوية، نتيجة لعدم دخول الصفويين في حرب مباشرة ضدهم، باستثناء معركة جالديران 1514 م .

لئن استطاعت الدولة العثمانية الاستيلاء على العراق، فإنها أدركت صعوبة الحفاظ على المدن (الإيرانية) التي تم الاستيلاء عليها، وإن الحاميات العثمانية مهما بلغت قوتها، لن تستطيع الصمود كثيراً أمام الجيش الصفوي، وإن الإبقاء عليها مضيعة للجهد والأرواح والمال .

لعب بعض أمراء الدولتين الفارين من الجانبين دروا بارزاً في إشعال الصراع واستمراره في بعض الأحيان، واساهم بعضهم في تجريد الحملات في بعض فترة الصراع .

وضعت معاهدة اماسيه (1555 م) حداً مؤقتاً للصراع لأول مرة منذ اندلاعه في عام 1514 م، حيث تعد أول معاهدة تعقد بين الطرفين، وقد وضعت حداً مؤقتاً للصراع، كما فتحت الباب أمام المساعي الدبلوماسية لمناقشة القضايا العالقة بين الطرفين .

على الرغم من عدم تمكن أحد الطرفين من حسم الصراع لصالحه بشكل حاسم، فإن ذلك لم يمنع من استخلاص عدة نتائج من جولات الصراع حتى عقد أول اتفاقية بينهما سنة 1555 م .

حيث أن كلا الدولتين ضمت تنوعاً سكانياً (أثني) انضوى تحت لــواء الأسرة العثمانية (الترك العرب، الكرد، الكرجستانيين، البلقــانيين) وكــذلك بالنسبة للدولة الصفوية، ضمت تعدداً سكانياً (ترك، فــرس، عــرب، كــرد، أرمن، بلوج، كرجستانيين) فكان الولاء في هــذين المجتمعين للسـلطان أو للشاه، ولما كان طموح السلاطين و الشاهات يحتم عليهم توسيع رقعة النفوذ، لاستئثار بالبقع الاستراتيجية أو الغنية بمواردها الاقتصادية، دفعوا بمــن دان لهم بالولاء، بغض النظر عن انتمائهم الأثني أو الديني، إلــى سلسـلة مــن الحروب الدامية، لتحقيق هذه الغاية، مما جرّ على هؤلاء الكثير من الويلات كخسائر في الأرواح والأموال وأشكال من الهجرة والتهجير .

أما من الناحية الاقتصادية، فقد كان وقوف الدول الصفوية في إيــران بمثابة حاجزٍ بوجه قوافل التجارة العالمية، إضافة إلى تمكن البرتغاليين مــن الالتفاف حول أفريقيا إلى الهند، دون الاعتماد على الطــرق البريــة التــي تخترق مناطق السيطرة العثمانية والصفويــة، الأمر الذي ألحــق الضــرر بالدولة العثمانية، لاعتماد موارد خزانتها على هذه التجــارة، رغــم ذلــك، فرضت حصاراً للتعامل بمتاجر الشرق عبر إيران في عهد بايزيــد الثــاني وبداية عهد إبنه سليم الأول، لحرمان الدول الصفوية الناشئة مــن الحصــول على عدة الحرب المتضمنة معدني الحديد والنحــاس، إلــى أن تســنّى لهــا السيطرة على معظم مناطق الأطراف، فأمنت بذلك جــانب من اقتصــادها، لاسيما بعد أن ضم سليمان القانوني بغــداد (1534) والبصرة (1547م) إلى دولته، لتأمين طريق بري يصل بالدولة إلى المحيط الهنــدي عبــر الخلــيج العربي، الأمر الذي ادخله في صــراع مــع البرتغــاليين حلفــاء أعدائــه الصفويون.

أما الدولة الصفوية فقد اقتضت مصلحتها السياسية والاقتصادية التحالف مع القوى البرتغالية، وذلك لتسهيل الأعمال التجارية، بين الطرفين من جهة،

وللوقوف في وجه العثمانيين من جهة أخرى، حيث كان حـــافز البرتغــاليين لهذا التحالف وحدة الهدف مع الصفويين على الصعيد الاقتصادي والسياســي في آن معاً.

وسرعان ما بدأ تدفق دول أوروبية أخرى- إضافة للبرتغاليين – إلى منطقة المشرق الإسلامي عامة، والمشرق العربي خاصة، على هيئة علاقات صداقة وتعاون مع الدولة الصفوية، ويحرضـونها علــى الاســتمرار فــي صراعها مع العثمانيين، أملاً في تخفيف حدة الزحف العثماني على أوروبــا، وطمعاً في الاستحواذ علي خيرات المنطقة العربية .

لقد انعكس كل ذلك سلباً على المشرق العربي، تمثل فــي فــرض السيطرة العثمانية عليه، مع استمرار المحاولات الصفوية لـنفس الغــرض، لاسيما العراق، الذي تمركز فيه الصراع بين الجانبيين العثماني و الصفوي، لاعتبارات استراتيجية، باعتباره يتحكم في طرق عديدة لمتاجر الشرق فــي وقت السلم، وجسراً لمرور القوات العسكرية أوقات الحرب . وقــد تكــون الحرب بين الإيرانيين والعراقيين من أحد جوانبها، استمراراً للقضايا العالقــة من جراء ذلك الصراع .



المصادر والمراجع



قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر .

أ. المخطوطات :

1- بهليكان، يوسف بن علي بن محمد شاه، غزوة السلطـان سليم لروافض الأعجام، مخطوط (بتاريخ 922هـ) محفوظ بدار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة، ميكرو فلم، 1678.

2- خوندامير، غيات الدين بن همام، حبيب السير في أخبار وبشر، مخطوط بدار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة، ميكروفلم، 49051 .

3- الفتاح، إبراهيم أحمد، كتاب في التاريخ، مخطوط بدار الكتب والوثـائق المصرية، القاهرة، ميكروفلم، 14668.

4. الرمال، محمد الزنبلي، سيرة السلطان سليم خان، مخطوط بـدار الكتـب والوثائق المصرية، القاهرة، ميكروفلم 1720 .

5- النهروالى، قطب الدين، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، مخطوط بـدار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة .

ب. المصادر العربية والعثمانية .

1- أصاف، عزتلو يوسف بك، تاريخ بنى عثمان من أول نشـأتهم حتـى الآن، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د.ت)

2- الأمين، محسن، أعيان الشيعة، ط3، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف، بيروت، 1986م .

3- أبن اياس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج 3-4-5، حققه وكتب له المقدمة والفهارس محمد مصطفي، القاهرة، 1960 م .

4- باخرمة، قلائد النحر في أعيان الدهر، دراسة وتحقيق محمد عبد العال، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية، 1980م .
5- الحموي، أحمد بن محمد، فضائل سلاطين بن عثمان . تحقيق محسن محمد حسن سليم، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، 1993م .
6- ابن الربيع، قرة العيون، بغداد، 1980 م .
7- الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق حسن بن عبد الله المبري، دار الفكر، بيروت، 1998م .
8- الصدفي، رزق الله منقريوش، تاريخ دول الإسلام، ج 3، مطبعة الحلال، القاهرة، 1908م .
9- الصديقي، محمد بن أبى السرور البكري، المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، وذيله اللطائف الربانية على المنح الرحمانية، تقديم وتحقيق وتعليق ليلي الصباغ، دار النشائر، دمشق، 1995م .
10- ابن طولون، شمس الدين محمد، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفي، القاهرة، 1961م .
11- العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج8، المكتب التجاري، بيروت، (د.ت) .
12- العمري، ياسين خيرا لله، زبدة الأثار الجلية في الحوادث الأرضية، مطبعة الآداب، بغداد، 1974م .
13- ــــــــــــــ، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد، دار السلام، بغداد، 1968 م .
14- ــــــــــــــ، منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء، تحقيق سعيد الديوه جي، الموصل، 1955م .
15- العبيدي، إبراهيم بن عامر علي، قلائد العقيان في مفاخر دولة آل عثمان، شمس الحقيقة، القاهرة، 1317هـ.

16- فريدون بك، منشآت السلاطين، استانبول، 1275هـ.
17- الغزي، نجم الدين، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، حققه وضبط نصه جبرائيل سليمان جبور، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1997م.
18- القرماني، أحمد بن يوسف، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت، (د.ت) .
19-الكرملي، انستاس ماري، خلاصة تاريخ العراق منذ نشوه إلى يومنا هذا، مطبعة الحكومة، البصرة، 1919م .
20- المحني، فضل الله محب الله، خلاصة الآثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت، (د.ت).
21- نظمي زاده، مرتضى أفندي، كلشن خلفا، ترجمة موسى كاظم نورس، النجف، 1970م .
22- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، (د.ت).

ج. المصادر الإيرانية والمعربة .

1- البدليسي، شرف خان، شرفنامة، ترجمه إلى العربية محمد على عوني، دار إحياء الكتب العربية، بغداد، 1962.
2- بستكى، محمد أعظم بن عباسيان، بر فارس أحداث ووقائع ومشايخ بستك وخنج والنجة ولار، ترجمة وتعليق محمد وصفي أبو مغلي، مؤسسة الأيام، المنامة، 1993م .
3- روملو، حسن، أحسن التواريخ، بسعى وتصحيح جارلسن نارمن سيدن ، انشارات كتابخانه صدر، تهران، 1342هـ، ش .
4- طهماسب، صفوي، تذكره طهماسب، شروح وقايع وحولات زندكاني شاه طهماسب صفوي، بن اهتمام عبد الشكور، تهران (د.ت).

5- عزيزي، يوسف القبائل العربية في خوزستان، عربه عن الفارسية جابر أحمد، دار الكنوز الأدبية، بيروت، 1996.

6- كاشاني، أحمد غفاري قزويني، تاريخ نكارستان، تهران، (د.ت).

7- كاشاني، أحمد غفاري، تاريخ جهان أرا، تهران، 1344هـ ش.

8- مؤلف مجهول، تارخ قزلباش، به إهتمام مير هاشم محدث، تهران، 1361هـ ش.

9- مؤلف مجهول، عالم أراي صفوي، باهتمام يد الله شكري، تهران، 135هـ ش

10- ميرزا، نادر، تاريخ وجغرافي دار السلطنة تبريز . تهران، (د.ت).

ثانيا : المراجع .

أ. الكتب العربية .

1- أباظة، فاروق عثمان، مستقبل الجانب الشرقي من الدولة العثمانية، دار المعارف، 1986 م .

2- أبوغنية، زياد، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، ط2، دار الفرقان، 1986م .

3- أبومغلي، محمد وصفي، إيران، منشورات مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية بجامعة البصرة، 1985م .

4- أحمد، خليل أحمد، تاريخ الوطن العربي، جامعة الموصل، 1983م .

5- الأعظمي، علي، تاريخ الدول اليونانية والفارسية في العراق، مكتبة الثقافة الدينية، بغداد، 1927 م .

6- ـــــــــ، مختصرة تاريخ البصرة، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 2001 م .

7- أنيس، محمد، الدولة العثمانية والمشرق العربي 1514- 1914، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1993م .

8- ــــــــــ، تاريخ الشرق الأوسط الحديث 1516 – 1914 م، دار العلم للعربي، القاهرة، (د.ت) .

9- البربار، عقيل، محاضرات ألقاها في جامعة الفاتح، كلية الآداب (غير منشورة)، 1999م .

10- برجاوي، سعيد أحمد، الإمبراطورية العثمانية، الأهلية للنشر، بيروت، 1993م .

11- بيهم، محمد جميل، الحلقة المفقودة في تاريخ العرب، (د.م)، (د.ت).

12- بدوي، جمال، الشيعة قادمون، القاهرة، 1988م .

13- جمعة، بديع محمد، الشاه عباس الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م .

14- ــــــــــ، العلاقات العربية الإيرانية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1993 م .

15- ــــــــــ، أحمد الخولي، تاريخ الصفويين وحضارتهم الجزء الأول، دار الرائد العربي، 1976 م .

16- الجميعي، عبد المنعم إبراهيم، العثمانيون في الميزان الإسلامي والعربي، القاهرة، 1995 م .

17- جميل سيار، حصار الموصل والصراع الإقليمي، بيت الموصل، الموصل، 1990م .

18- ــــــــــ، تكوين العرب الحديث، 1516-1916م، دار الكتب، الموصل، 1991م .

19- ــــــــــ، العثمانيون وتكوين العرب الحديث، من أجل بحث رؤيوي معاصر، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1989م .

20- ـــــــــ، بقايا وجذور وتكوين العرب الحديث، الأهلية، عمان، 1997م .
21- الجهماني، يوسف، العلويين في تركيا، دار الكنوز الأدبية، بيروت، 2002 م .
22- جودة، حسنين جودة،، أحمد هارون، جغرافية الدول الإسلامية، الإسكندرية، 1984.
23- الجوهري، يسري عبد الرزاق، جغرافية الشعوب الإسلامية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1981م .
24- الحرتي، نزار عبداللطيف، العلاقات العربية الفارسية، دراسة تحليلية، دار واسط، لندن - بغداد، 1982م .
25- حسنين، عبدالمنعم، ماذا بعد البصرة، المكتب العربي الإسلامي، القاهرة، 1988م .
26- ـــــــــــــــ، إيران في ظل الإسلام في العصور السنية والشيعة، دار الوفاء، المنصورة، 1988م .
27-حسين، فاضل، مشكلة شط العرب، معهد البحوث والارسات العربية، بغداد، 1975 م .
28ـــــــــ، تاريخ العراق السياسي الحديث، مطبعة العرفان، صيدا، 1977م .
29- الحسني، عبد الرزاق، عبد العزيز الدروي، بغداد، دار الكتاب اللبناني، 1984م .
30 حسون، علي، الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، المكتب الإسلامي، دمشق، 1980م .
31- حلاق، حسان، مدن وشعوب إسلامية، ج4، بيروت، (د.ت) .
32- الحلو، علي نعمة، الأحواز " عربستان "، بغداد، (د.ت) .

33- حليم، إبراهيم بك، تاريخ الدولة العثمانية العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1988م .

34- الحميد، عبداللطيف بن محمد، سقوط الدولة العثمانية، القـاهرة، 1988 م.

35- الخطيب، مصطفي عقيل، التنافس الدولـي في الخليج العربي، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت) .

36- الخولي، أحمد، الدولة الصفوية تاريخها السياسي والاجتماعي، علاقتها بالعثمانيين، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1981م .

37- درورة، محمد عزة، العرب والعروبة فـي حقبـة التغلـب التركـي، 1981م.

38- الدجيلي، حسن، العلاقات العراقية الإيرانية خلال خمس قـرون، ط3، دار الأضواء، بيروت، 1991م .

39- دهليش، عبد اللطيف عبد الله، قيام الدولة العثمانيـة، مكتبـة النهضـة العربية، مكة المكرمة، 1988م .

40- رافق، عبدالكريم، العرب والعثمانيون 1516-1261، مطبعة ألف باء، دمشق، 1974 م .

41- ــــــــــــــ، بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلـى حملـة نابليون بونابرت، دمشق، 1988م .

41- الربيعي، هيفاء عبدالعزيز، غزاة في الخليج العربي، مكتبة الوطنيـة، بغداد، 1989م .

42- راضون، نبيل عبد الحي، جهود العثمانيين لانقاد الأندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، (د.ت) .

43- الروسان، محمود محمد، القبائل الثمودية و الصفوية، دارسة مقارنـة، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، 1412 هـ.

44 – زيادة نقولا، الجغرافية والرحلات عند العرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1987م .

45- زين، نور الدين زين، نشوء القومية العربية، بيروت، 1968م .

46- زيادة، نقولا، الجغرافية والرحلات عند العربب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1987م .

47- زياد، أبو غنية، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك ، ج2 ، دار الفرقان ، 1986م .

48- سلطان علي، تاريخ الدوْلة العثمانية، منشورات مكتبة طرابلس العلمية، طرابلس، (د.ت).

49- ـــــــــــ، تاريخ العرب الحديث، منشورات مكتبة طرابلس العلمية، طرابلس، (د.ت).

50- السيد، محمد السيد، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000 م.

51ـــــــــــــ، إنهيار الدولة العثمانية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2003 م .

52شاكر، محمد، إسماعيل ياغي، تاريخ العالم الإسلامي، مكتبة العبيكان، الرياض، 1998م .

54- الشريفي، إبراهيم، التاريخ الإسلامي، القاهرة، (د.ت) .

55- شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية، ج8، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1983م .

56- ـــــــــــ، موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية، ج7، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1977م .

57- الشناوي، عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1980م .

58- ـــــــــــــــــــــــ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتـرى عليهـا، ج2، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1986 م .
59- الشبيني، مصطفى، الطريقة الصفوية وراوسبها في العراق المعاصر، مكتبة النهضة، بغداد، 1967 م .
60- الشيخ، رأفـت غنيمي، تاريخ العرب الحديث، عين للدراسات، مصر، 1994م .
61- ـــــــــــــــــــــــ، ومحمد رفعت، أسيا فـي التـاريخ الحـديث والمعاصر، عين للدراسات، 2001م .
62- الصباغ، عباس إسماعيل، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانيـة الحـرب والسلم بين العثمانيين و الصفويين، دار النفائس، بيروت، 1999م .
63-الصباغ، ليلي، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، جامعة دمشق، دمشق، 1982م .
64- الصمانجي، عزيز قادر، التاريخ السياسي لتركمـان العـراق، مكتبـة المثنى، بغداد، (د.ت) .
65- الصيرافي، نوال حمزة، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، الرياض، 1983م .
66-الصلابي، علي محمد، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار البيادق، بيروت، 1999م .
67- طقوس، محمد أسعد، تاريخ العـرب، مـج 2، ط 2، دار الأنـدلس، 1997م .
68-عاشور، سعيد عبد الفتاح،
69- عامر، محمد علي، الدولة العثمانية، تـاريخ ووثـائق، دار الرحـاب، دمشق، 2001 م .

70- عبد المنعم، صبحي، الشرق الإسلامي في زمن المماليك والعثمانيين، العربي للنشر، القاهرة، (د.ت) .

71-عبد المؤمن، محمد السعيد، الظواهر الأدبية في العصر الصفوي، الانجلو المصرية، القاهرة، 1987م .

72-ـــــــــــــــ، الأدب في العصر الصفوي، (د.م)، 1984م.

73-عبد الكريم، أحمد عزت، دراسات في تاريخ الغرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1970 م .

74-العبادي، عبد الحميد، وآخرون، الدولة الإسلامية تاريخها و حاضرها، 1985م .

75- العريني، السيد الحباز، المماليك، دار النهضة العربية، بيروت، 1967م.

76- العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين الاحتلالين : الحكومات التركمان (1534/1338)، ط3، مطبعة النفيف الأهلية، بغداد، ج3، 1939م .

77-ـــــــــــــــ، تاريخ العراق بين احتلالين : العهد العثماني الأول 1534 - 1638 م، ج4، شركة التجارة والطباعة، بغداد، 1949 م .

78- العقاد، صلاح، التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1974.

79-عمر، عبد العزيز عمر، المشرق العربي : 1516م/ 1916م، دار المعرفة الجامعة، الإسكندرية، 2000 م .

80-ـــــــــ، دراسات في التاريخ الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ت) .

81- عمر، فارق، تاريخ الخليج، ط2، دار أواسط، بغداد، 1985م .

82-عوض، عبد العزيز، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، ج1، دار المريخ، الرياض، (د.ت) .

83-أبو علية، عبد الفتاح، دارسات في تاريخ الجزيرة، الرياض، 1986م .

84-غرابية، عبد الكريم محمود، تاريخ العرب الحديث، الآهلة، بيروت، 1984م .

85- فرغلي، أبو الحمد محمود، الفنون الزخرفية الإسلامية في عصر الصفويين بإيران، مكتبة مذبولي، القاهرة، 1990م .

86- فروخ، محمد، الأمة العربية على طريق وحدة الهدف، دار الفكر، (د.ت).

87- فهمي، نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1973م .

88-فودة، أحمد رضا، العلاقات الإيرانية الخليجية، مركز الدراسات العربي – الأوربي، باريس، 1994م .

89- كواثراني، وجيه، الفقيه والسلطان، دراسة في تجربتين تاريخيتين : العثمانية والصفوية – القارجارية، دار راشد، بيروت، 1989م .

90- قلعجي، قدري، الخليج العربي، دار المكتب العربي، بيروت، ج1، 1965 م .

91- متولي، أحمد فؤاد، الفتح العثماني، للشام ومصر مقدماته، دار النهضة العربية، القاهرة، (د.ت) .

92- متولي، محمد، محمود أبو الفداء، جغرافية الخليج العربي وخليج عمان ودول شرق الجزيرة العربية، ط2، مكتبة الفلاح، الكويت، 1985.

93- محمود علي، الدولة العثمانية،

94- المسلم، محمد سعيد، ساحل العاج، ط3، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت).

95- مجموعة مؤلفين، العراق في التاريخ، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983.

96-المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار الجليل، بيروت، 1977

97- المصري، حسن مجيب، صلات بين العرب والفرس والترك :دراسة تاريخية أدبية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، (د.ت).

98- المصري، المهدي، الموفق القومي التاريخي ازاء التحدي الفارسي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980 م .

99-مغنية، محمد جواد، دول الشيعة في التاريخ، النجف، 1965م .

100- ـــــــــــــــ، الشيعة والحاكمون، ط2، المكتبة الأهلية، بيروت، 1962م .

101- مطران، خليل، مرآة الأيام في مخلص التاريخ العام، دار نظير عبود، بيروت، 1995م .

102- مؤنس، حسين، أطلس الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987.

103- ـــــــــــــ، الشرق الإسلامي في العصر الحديث، ط2، مطبعة حجازي، القاهرة، 1938م .

104- الموصلي، منذر، الحياة السياسية في كردستان، لندن، 1991 م .

105- منصور، محمد، تاريخ إيران بعد الإسلام، القاهرة، 1979 م .

106- مهنا، محمد نصر، الإسلام في أسيا، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية 1991م .

107-المهاجر، جعفر، الهجرة العاملية إلى إيران في العصر الصفوي، دار الروضة، (د.ت).

108- الموردي، علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج1، كوفان للنشر، لندن، 1991م .

109- منسي، محمد حسن صالح، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، المشارقة والمغاربة، القاهرة، 2000 م .

109- نورس، علاء الدين، السياسية الإيرانية في الخليج العربي، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1982 م .

110-النبراوي، فتيحية، محمد مهنا، الخليج العربي، دراسة تاريخ العلاقات الدولية،

111- النجار، مصطفي، التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية، دار المعارف، القاهرة، (د.ت) .

112-ـــــــــــــــ، التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1975م .

113-ـــــــــــــــ، وآخرون، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1984م .

114-نوار، عبدالعزيز، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، 1973 م .

115- ـــــــــــــ، العلاقات العربية الإيرانية، دار الفكر العربي، 1974م.

116- ـــــــــــــ، وآخرون، تاريخ العلاقات العربية الإيرانية، الاتجاهات الراهنة وأفاق المستقبل، بيروت، 1996م .

117- نوفل، سيد، الأوضاع السياسية لامارات الخليج العربي وشبه الجزيرة، ط2، المعرفة، القاهرة، 1962م .

118- هريدي، محمد عبداللطيف، الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المدى الإسلامي عن أوروبا، دار الصحوة، القاهرة، 1987م .

119- هيئة تحرير عربستان، عروبة الاحواز وخرافات حكام إيران، مطبعة الحوادث، بغداد، 1975م .
120- الورد، باقر أمين، حوادث بغداد في أثنى عشر قرناً، مكتبة النهضة، بغداد، 1989م .
121- يحي، جلال، العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي، الإسكندرية، 1989م .
122- ـــــــ، العالم العربي الحديث، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
123- ياغي، إسماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، (د.م)، (د.ت).

ب. الكتب الإيرانية :

1-أشتياني، عباس إقبال، تاريخ أيران بعد الإسلام من بداية الدولة الظاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية، ترجمة عن الفارسية محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة، القاهرة، 1989م .
2- باستاني، باريزي، إبراهيم، سياست واقتصاد عصر صفوي، تهران، 1367هـ ش .
3- براون، إدوارد، تاريخ ادبيات إيران از اغاز عهد صفوية تازمان حاضر، ترجمة رشيد باسمي، جاب دوم، تهران، 1329هـ ش.
4-بيكولوسايا، ن، و، تاريخ إيران از دوران باستان تاپايان سده هيجدم ميلادي، نقله إلى الفارسية كريم كشاوز، ط4، انتشارات بسام، تهران، 1945.

5- بيبرنيا، حسن، تاريخ إيران ازاغارتا انقرض قاجارية، انتشارات كتاب خانة خيام، ط6، تهران، 1730هـ ش .

6- بارسا دوست، متوجهر، زمنية تاريخي اختلافات إيران وعراق، تهران، 1346هـ.ش.

7- شيباني، نظام الدين مجير، شاهنشاهي صفوية، تهران، 1346هـ ش.

8- زكي، محمد امين، تاريخ السلمانية، نقله إلى العربية جميل احمد الروزبياني، شركة النشر والتوزيع، بغداد، 1951.

9- ــــــــــــ، خلاصة تاريخ الكرد والكردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن، نقله إلى العربية وعلق عليه محمد علي عوني، مطبعة السعادة مصر، 1931.

10-ــــــــــــ، تاريخ دول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي، نقله إلى العربية محمد علي عوني، (د.م)، 1945.

11- فلسقي، نصر الله، تاريخ إيران وعلاقتها الخارجية في العصر الصفوي 1500- 1736م، ترجمة فتحي الريس، دار الثقافة، القاهرة، 1989م .

12-ــــــــــــ، زندكاني شاه عباس، ط5، تهران، 1352هـ ش .

13- كوب، عبد الحسين رزين، رزكاران، تاريخ إيران أزغارتا سقوط سلطنت بهلوي، ط2، انتشارات سخت، تهران، 1379هـ ش .

14- مهدي، عبد الرضا هوشنك، تاريخ روابط خارجي إيران از ابتداي دوران صفوية تايابان خيك دوم جهاني، انتشارات أمير كبير، تهران، 1364.

15- مير احمد، مريم، دين ودولت، در عصر صفوي، تهران، 1369هـ.ش.

16- مؤلف مجهول، تاريخ عربستان خلال خمسمائة عام من تاريخ المشعشعين في عربستان، ترجمة عن الفارسية سعيد السيد الباجوري، دار الثقافة، مصر، 1984.

17- نوائي، عبد الحسين، شاه طهماسب صفوي، تهران، 1350 هـ ش .

18- نوائي، عبد الحسين وآخرون، تاريخ روابط فرهنكي ايران، تهران، 1359هـ.ش.

19- ولايتي، علي اكبر، تاريخ روابط خارجي إيران در عهد شاه إسماعيل صفوي، مؤسسة جاب، تهران، 1375 هـ .

20- يازوكي، رضا، تاريخ إيران از مغول تا افشارية، ج1، تهران، 1334 هـ ش.

ج. كتب مترجمة .

1- أوغلي، أكمل الدين إحسان (إشراف)، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج1- 2، نقله إلى العربية صالح سعراوي (استانبول)، 1999م .

2.أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود الأنصاري، مؤسسة فيمل للتموين، استانبول، 1988.

3- أولسن، روبرت، حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية، ترجمة عبد الرحمن الجليلي، الرياض، 1983م .

4- ايفانوف، نيقولا، الفتح العثماني للأقطار العربية، ترجمة يوسف عطا الله، دار الفاربي، بيروت، 1988 م .

5-إينالجيك، خليل، الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد .م. الارناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002م .

6-بانيكار، ك . م، أسيا والسيطرة العربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، دار المعارف، القاهرة (د.ت).

7- بروديل، فردناند، البحر المتوسط، ترجمة عمر سالم، تونس، 1990 م .
8- بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي دار العلم للملايين، بيروت، 1988م .
9- بطرو شوفسكي، الإسلام في إيران، ترجمة السباعي محمد السباعي، دار الثقافة، القاهرة، (د.ت).
10- توينبي، ارنولد، تاريخ البشرية، ترجمة نقولا زيادة، ط2، الأهلية للدراسات، بيروت، 1981م .
11- ــــــــــ، مختصر دراسة للتاريخ، ج1، ترجمة فؤاد محمد شبل، ط2، مطبعة التأليف والترجمة، القاهرة، 1966م .
12-حوراني، ألبرت، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة كمال قولي، مطبعة نوفل بيروت، 1997م .
13- سبديو، خلاصة تاريخ العرب، ترجم بأمر ناظر المعارف، مطبعة محمد أفندي، 1903 م .
14- ستانلي، لين بول، الدولة الإسلامية، نقله من التركية إلى العربية محمد صبحي فرزات، أحمد دهمان، دمشق، 1974م .
15-ــــــــــــ، طبقات سلاطين الإسلام، ترجمة طاهر الكعبي، مطبعة البصري،(د.م)، 1969م .
16- سرهنك، إسماعيل، تاريخ الدولة العثمانية، تقديم ومراجعة حسن الدين، دار الفكر الحديث، بيروت، 1988م .
17- ققلجمي، حكمت، التاريخ العثماني رؤية مادية، تعريب فاضل لقمان، دار الجليل (د.ت) .
18- لامب، هارولد، سليمان القانوني، ترجمة شكري محمود نديم، بغداد، 1961 م .

19- لسترنج، كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس كـوريس، بغداد، 1954م .

20- لومبير، ج . ج، دليل الخليج، القسم التاريخ، ج1-6، ترجمـة مكتـب أمير دولة قطر، دار الكشاف، بيروت، 1949.

21- لونكريك، ستيفن همیسر، أربعة قرون من تاريخ العراق الحـديث، ط 2، نقله إلى العربية

22- لويد، سيتون، الرافدين، نقله على العربية طه باقر، بشـير فرنسـيس، بغداد، (د.ت) .

23- مانتران، روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشـير السـاعي، دار الفكر، القاهرة، 1983م .

24- مؤلف مجهول، تاريخ الأتراك، عربه عن الإنجليزيـة حسـن لبيـب، مطبعة الواعظ، مصر (د.ت).

25- ولبر، رونالد، إيران ماضيها وحاضرها، ترجمة عبد المنعم حسـنين، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1985 م .

26- ولسن، روبرت، حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية، ترجمة عبد الرحمن الجليلي، الرياض، 1983 م .

27- كوك، ريجارد، بغداد مدينة السلام، ترجمة فؤاد جميل، مصطفي جواد، ج1، بغداد، 1962م .

28- كروزيه، موريس " إشراف "، تاريخ الحضارات العام، ترجمة يوسف داغر، وفريد داغر، منشورات عويدات، بيروت، (د.ت) .

- المراجع الاجنبية :

1- Allouche , Adel , the Origins and Peve lopment of the Ottoman- Savavid Conflict 1500/1555,Berlin.1983.

2- Browne .O.G.Aliteravy History of Persia ,vol4.

3- Eliot , Chavles . Turkey in Eueope , London , 1965 .

4- Elton . G . R . the new Cambridge modernhistory . Vol2 . the reformation 1520 – 1559 , Cambridge . University Press .
5- Faroghi .Suraiga . Making Alivinc in the Ottoman Lands .1480-to1820.

6- Inalcik . Halil . the Ottoman Empier , the Classical Age 1300-1600 , London.1973
.

7- Itzkowitz . the Ottoman Empire and Islamic Tradition, Newyork,1972.

8- Jackson , Peter . The Cambridge History Iran , Vol.6 . the Timurid and Safavid periods .
9- Kinross . Lord . the Ottoman Centuies, the rise and fal Turkish Empire .Morrow Ouill Paper Bacte , 1977.
10- Lewis , Bernaed . the Emergence Modern .Turkiy , London , 1963 .
11- Mazzaoui , M.M. the Origins of the Safavids Visbadem , 1977 .
12- Mccarthy . Justin . the ottoman .Turks An Intordusctio History . London ,1923.
13- Morgan .David . Medieval Persia 1040-1797.Langman, London.1988.

14 – Tapper .Richard. Frontier nomads of Iran , Combridge University,1996.

15- ---------------. the Middle ESAT Intelli, Gence Handbooks .
16- Sykes , Pexcy . History of Persia , Macmillan and co, limited , 1951.
17 – Shaw . Stanford , History of ottoman Empire and Modern Turkey vol1Cambridge ,University press,1977.
18- Savory . R.Iran Under the Safavids,Cambridge University Press,1976.
19- Potter . G.R. the New comhrdge Modern History the Renaissance 1493/1520.
20- Roemer .H.R. the Safavid Period Combridge University press . Chopter5. Combridge History of Jran, vol6.
21- Merriman .R.B. Suleiman the Magnificnt Harvard,1944
The Ency Clopaedia of Islam . Leiden ,1980.
22- Middle East Inntelligence Handbooks, Persia - General Organlzation of the Alexandia Library. 1987.
23-Parry .V.J,A History of the ottoman Empire te 1730,Cambridge , University .Press.1976.

ثالثا: الدوريات

أ. العربية .

1- إبراهيم، خليل إبراهيم، " بدايات التوجه العثماني نحـو منطقـة الخلـيج العربي"، مجلة المؤرخ العربي، تصدر عن الأمانة العامة للمؤرخين العربي، بغداد، ع43، س 16، 1990م .

2- أبو عجيلة، عبد الفتاح، " العثمانيون وبنو خالد في الاحسـاء"، المجلـة التاريخية المغربية، ع29-30، س10، تونس، 1983م .

3- أحمد، عبد الرحيم مصطفى، " العرب في ظـل الرابطـة العثمانيـة "، العلاقات العربية التركية من منظور عربي،ج1، معهد الدراسـات العربيـة، 1991م .

4- أرلنح هارمان، " ازاحة صبغة الاحتلال من تاريخ العلاقـات التركيـة العربية "، أعمال المؤتمر الثاني للعلاقات العربية التركية، تحرير عقيل محمد البربار، منشورات مركز دارسة الجهاد الليبي للدراسات التاريخية، طرابلس، 1982م .

5- أكمل الدين إحسان أوغلي " العرب في ظل الرابطة العثمانية "، العلاقات العربية التركية من منظور تركي، معهد البحوث والدراسات العربيـة، ج2، 1993م .

6- إيوار، " الدردنيل "، دائرة المعارف الإسلامية، نقله إلى العربية محمـد ثابت أفندي وآخرون، دار المعارف، بيروت، مج 9، (د.ت) .

7- ـــــــ، " هطماسب الأول "، دائرة المعارف الإسـلامية، نقلـه إلـى العربية محمد ثابت أفندي وآخرون، دار المعارف، بيروت، مج 15، (د.ت).

8- بدر الدين الخصوصي، " الدولة الصوفية في مواجهة التحديات "، مجلـة دراسات الخليج والجزيرة العربية، ع، 1990 م .

9- زهير، عبدالحسين مهدي، " طبيعة العلاقات العراقية الفارسية" سلسلة دراسات الإيرانية – رقم8- صدرت عن معهد الدراسات الآسيوية الأفريقية، الجامعة المستنصرية، 1985.

10- طارق، نافع الحمداني، " علاقات المماليك المصريين السياسية بالدولتين الصفوية والعثمانية في مطلع القرن السادس عشر "، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، تصدر عن جامعة الكويت، ع17، مج5، 1985.

11- عبد العزيز، نوار، "الصراع العثماني الفارسي والعلاقات الفارسية العربية من العهد الصفوي حتى نشوب الحرب العالمية الثانية "، العلاقات العربية الإيرانية، تحرير يونان لبيب رزق، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية، 1993.

12- عبد المنعم، الجميعي، " دور الدين في التوجه السياسي للدولة العثمانية " مجلة تاريخ العرب، ع26، 2001/1422 .

13- عماد، احمد الجواهري، " العراق والتوسع الصفوي 1570/1502"، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، ع20.

14-______________، " الدور التاريخي للبصرة على الخليج العربي 1600/1500"، ع13، س 4، 1978.

15- فاروق، عثمان أباظة، " تحول التجارة العالمية عن البحر المتوسط إلى راس الرجاء الصالح و أثره في العلاقات التجارية بين الإسكندرية والبندقية في مطلع العهد العثماني "، مجلة التاريخ العربي، ع10، 1999.

16- فخري، رشيد المهنا،" الخليج "، مجلة الأفاق عربية، س 5، ع5، 1980.

17 – كرامرز، " اسكودار "، دائرة المعارف الإسلامية، نقله إلى العربية محمد ثابت أفندي وآخرون، دار المعارف، بيروت، مج 2، (د.ت) .

18- ـــــــ، " سليم الأول "، دائرة المعارف الإسلامية، نقله إلى العربية محمد ثابت أفندي وآخرون، دار المعارف، بيروت، مج 12، (د.ت) .
19- ـــــــ، " سليمان الأول "، دائرة المعارف الإسلامية، نقله إلى العربية محمد ثابت أفندي وآخرون، دار المعارف، بيروت، مج 12، (د.ت) .
20- كاراده فو، " جالديران "، دائرة المعارف الإسلامية، نقله إلى العربية محمد ثابت أفندي وآخرون، دار المعارف، بيروت، مج 6، (د.ت) .
21- محمد، عبد المحسن عبود، " عدن والمطامع البرتغالية في القرن السادس عشر "، من كتاب الأبحاث، ج2، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، 1987.
22- محمد، عبد العال أحمد، " أضواء جديدة على ملامح فاسكو دي جاما "، مجلة معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة، ع5، 1976.
23- محمد، حسن العيدروس، " التاريخ الاقتصادي للخليج العربي والجزيرة العربية في العصر الحديث 1513-1914"، في مجلة التاريخ العربي، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، ع10، 1420، 1999.
24- محمد المراجعي، " الدولة الدربندرية في بلاد القوقاز "، مجلة التاريخ العربي، تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، ع 12، س 1420 هـ/ 1999 م .
25- مورتان، " ذو القدر "، دائرة المعارف الإسلامية، نقله إلى العربية محمد ثابت أفندي وآخرون، دار المعارف، بيروت، مج 9، (د.ت) .
26- مونرسكي، " تبريز "، دائرة المعارف الإسلامية، نقله إلى العربية محمد ثابت أفندي وآخرون، دار المعارف، بيروت، مج 4، (د.ت) .
27- هيوار، " إسماعيل الأول "، دائرة المعارف الإسلامية، نقله إلى العربية محمد ثابت أفندي وآخرون، دار المعارف، بيروت، مج 2، (د.ت) .

28- ـــــــ، " البدليسي "، دائرة المعارف الإسلامية، نقله إلــى العربيــة محمد ثابت أفندي وآخرون، دار المعارف، بيروت، مج 3، (د.ت) .

ب. الاجنبية .

1- Halil. Inalcik. " Bursa and the Commerce of the Levant " Journal of Economicand Social History of orient , vol3 , 1960.
2----------------." Haria ". in Encyclopdia of Islam , Luzac , vol3 , London .1970.
3-----------------," the Rise the ottoman Empire" the comhridge History of Islam.vol1.

رابعا: الموسوعات .

1- الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، 8مجلــدات، ط5، دار التعارف سوريا، 1995م .
2- البستاني، بطرس، دائرة المعارف، مج4، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).
3- حاطوم، نورالدين، الموسوعة التاريخية، مكتبــة الأنجلــو المصــرية، القاهرة، (د.ت) .
4- الخوند، مسعود، الموسوعة التاريخية الجغرافية، دار المعرفة، بيــروت، 1995 م .
5- وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن الرابــع عشــر – العشــرين، مطبعة دائرة المعارف القرن العشرين، 1924م .
6- غربال، محمد شفيق (إشراف) الموسوعة العربية الميسرة، دار الشــعب، القاهرة 1965م .

خامسا: الرسائل الجامعية .

1- خادم، سيد علي، الشرق الإسلامي والغرب المسيحي عبر العلاقات بين المدن الإيطالية وشرق البحر المتوسط 1450 - 1517 م، (رسالة دكتوراة)، دار الريحاني، بيروت، 1989 م .

2- شتار، إبراهيم الدسوقي، أثر الصراع المذهبي بين الشاه إسماعيل والسلطان سليم العثماني في الأدب الفارسي، رسالة ماجستير (غير منشورة)،جامعة القاهرة، كلية الآداب، سنة 1967.

3- شرف، مصطفي موسى، قبائل القزلباش ودورهم في العصر الصفوي (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة القاهرة، كلية الآداب، 1991.

4-العربي، توفيق حسن، الصراع العثماني الصفوي، 1622/1520م على ضوء المصادر والوثائق التركية، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية الآداب، القاهرة، 1993.

5- نورس، علاء موسى، الصراع العثماني الفارسي و أثره على العراق في القرن الثامن عشر، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة القاهرة، كلية الآداب، 1995.

سادسا : شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت).

1-أحمد تمام " سليم الاول من السلطنة إلى الخلافة "

www.Islam-online.ent

2- أحمد تمام " سليم القانوني وقمة عهود الدولة العثمانية "

www.Islam-online.ent

3- سمير حلبي "جالديران "، الطريق إلى المشرق العربي

www.Islam-online.ent

4-أبو الحسن عطرجي " الصفويون والدولة العثمانية "

www.Islam-online.ent

5- خالد توفيق " مناقشة في الفقه السياسي " ww.alwelayah.net

6- الصـــــراعات الإقليميـــــة ومحـــــاولات الاســـــتقلال " العصـــــر الصفوي" 7www.mogatel.com- عصر الدولة الصفوية

www.mogatel.com

8-عربستان

www.mogatel.com

9- العصر الافشاري

www.mogatel.com

10- أزمة المرجعية في المشروع الكردستاني

www.alayislam.com

11- محمد غريب " كيف تحولت إيران من السنة إلى الشيعة

www.khayma.com

12- الدولة العثمانية :سليم الأول 918/926هـ

www.altaareekh.com

13- الدولة الصفوية www.al-shis.com

14- جالديران

www.Islampedia.com

15-الكرد بين الماضي والحاضر

www.alayislam.com

16- موجز تاريخ الاحواز www.al-ahwaz.com

17- نظرية النيابة الملكية

www.btinternet.com

18- حرب إيران 920هـ ؛

www.islampedia.com

19- المتوكل على الله الثالث

www.aklaatn.com

20- www.bintjbeil.com

21- www.khayma.com

22- www.islamccoins.com

الملاحق

1. الوثائق
2. الأشكال والصور
3. الخرائط

كان من ضروريات الدراسة الرجوع إلى بعض الوثائق المتعلقة بفترة الصراع قيد الدراسة، حتى تكتمل الصورة الحقيقية للصراع، وتضم الوثائق التي تم الحصول عليها، بشقيها الفارسي والعثماني مجموعة من المراسلات بين السلاطين والشاهات وحاكم الأقاليم ومراسلات لبعض ملوك أوربا إضافة إلى فتوة عثمانية بشن الحرب ضد الصفويين، وقد استعان الباحث في الحصول على هذه الوثائق علي :

- **فريدون بك، منشأت السلاطين .**
- **على اكبر ولايتي، تاريخ روابط خارجي إيران در عهد شاه إسماعيل صفوي .**
- **محسن الأمين، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، مج 6.**
- **العملات الإسلامية الذهبية .**

www.islamccoins.com

الوثائق :

1- الرسالة الأولى من السلطان العثماني سليم الأول إلى الشاه إسماعيل الصفوي قبيل معركة جالديران بتاريخ صفر 920 هـ / 1514 م .

2- الرسالة الثانية من السلطان العثماني سليم الأول إلى الشاه إسماعيل الصفوي قبيل معركة جالديران بتاريخ 920 هـ / 1514 م .

3- رسالة من الشاه إسماعيل الصفوي إلى السلطان العثماني، عقب معركة جالديران بتاريخ 920 هـ / 1514 م .

4- رسالة من الشاه إسماعيل الصفوي إلى السلطان العثماني سليمان القانوني بتاريخ 926 هـ .

5- رسالة من السلطان العثماني سليمان القانوني إلى الشاه إسماعيل الصفوي بتاريخ 930 هـ .

6- رسالة من السلطان الشاه إسماعيل الصفوي إلى إمانويل ملك البرتغال .

7- رسالة من البوكيرك نائب ملك البرتغال في الهند إلى الشاه إسماعيل الصفوي .

8- ورقة من مخطوط الإعلان بأعلام بيت الله الحرام للمؤرخ قطب الدين النهروالي (خُط سنة 922 هـ) .

9- ورقة من مخطوط سيرة السلطان سليم خان للمؤرخ محمد الزنبلي الرمال .

الوثيقة الأولى :

از جناب سلطان [illegible] شاه [illegible]

[illegible] نام [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

لله الملك العلام [illegible] الاسلام [illegible]

[illegible]

[illegible]

اجعلنا من الهادين المهتدين [illegible] وصلى على سيدنا [illegible]

محمد المصطفى النبي الامين وآله وصحبه اجمعين اما بعد ان خطاب [illegible]

[illegible]

[illegible] سلطان [illegible]

[illegible] سلطان سليم شاه بن سلطان بايزيد بن سلطان محمد بن مراد خان [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] وما خلقنا السموات والارض

وما بينهما لاعبين [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

و رد بر ... بنیاد اوامر و نواهی بیرون آید و خلل به رونق دین و هدم شرع مبین راه
قیام نماید بر کافهٔ مسلمین عموماً و سلاطین عدالت آیین خصوصاً واجب که زمان
با تمادی این آشوب کوتاه انصار الله بکوشش هر چه تمامتر جهد نمایند و در دفع مکاید و
رفع مفاسد آن مفسد حسب الاستطاعة و الامکان بجان بکوشند مفسده از این شیب
آتش که گاه تنور در مجاعت باشند بحکم بیت چو بینی نهی که جدا از تو شیر
نهان اندر آید بیابان دلیر . بطریق تعدی امانت بلاد شریف را که مستقر
کسی و ... منزلت فرمان بری بصفت یاغی فرمان دهی مترصد نهادی ابواب
ظلم و بیداد را بر روی مسلمانان باز کرده زندقه و الحاد را با یکدیگر اندواج و امتزاج
داده و اشاعت فتنه و فساد را شعار و دثار خود ساخته علمهای ستمکاری
بر افراشته و فرمان روایی را بر حسب دواعی هوای نفس و دعیات طبیعت حمل
نموده شریعت را اطلاق از نوامیس ملت برداشته مفاتح افعال و مساوی احوال چون
اباحت فروج محرمه و اراقت دماء مکرمه و تخریب مساجد و منابر و احراق مراقد
و مقابر و اهانت علما و سادات و اکابر . مصاحف کریمه و رفاه ... و سب شیخین
کریمین رضی الله عنهما هر یک جدا جدا از پوست ائمهٔ دین و علماء مهتدین رضوان الله علیهم
اجمعین کفر و ارتداد او را با اتباع و اشیاع که موجب ... و سعی علی رؤس الاشهاد
متفق الکلمة و الاقلام باسم ایشان فتوی داده بنا علی ذلک ما از جهت تقویت
دین و اعانت مظلومین و اغاثت ملهوفین و اطاعت امر الهی و اقامت مراسم ناموس
پادشاهی بجای خیر و بنیان زده و عنان بر سیدیم بجناب الله تعالی و حسن
توفیقات او به ظفر دثار و عساکر نصرت شعار و شیران کارزار و دلیران جنگ که
چون تیغ از نیام غضب بر آرند عدوی مدبر را قاطع ... که بدرجه بر
کمان کین دعا آورند سهم المون خصم برج ... در شهر ... با شیر و الظفر
از دریا عبور ... بدان نیت که اگر ... باری ... کند ... قوت

دست کامکاری دست و بازوی همت کاربست رکیم در سمرقند سرور ری
سودای صغدی از سرحد سیوات بدرکیم خان شد و ترد و نوبت سرکش
و سکبان بود ادیم و زان آتش که در غنا غنا زده و دهه اند و دو دست رسم
کرشی منبع کلاان صد کاهن چون شبل الشیخ تخلیف اسلام و حکم شریعت منصوص
علیه السلام را بنامه نامی حلیه حریر و حنین بانت لا بیجنبه تنوس آمی د
شطلوفسیه که الناس بصاد شکما و نااهدحب الفتنة ملکات بدیه درس
مزاج طبیعت قابل نقال نیست ع کز کی بشستن نکو شود حبشی
و بعضی عادت از مزاولت شهوت و ممارست مخابیث احوال خبیث تا
او را امکان ارادت است اما ممکنه اند که فیما اثر اربلادب منطلع از [illegible]
اخیار مباشد مار اخیال نانی اکر خود را در سلک زمره والذین اذا عملوا ما
او ظلموا انفسهم ذکروا الله و ما استغفروا الله تو بهم سلک و عزم کرد و قدرم
حال خدای منان را حاضر و ناظر دان ارکان دعای بد و کرد از حلق ناموس
و سیرتهای زشت شیافهای [illegible] ران در زودن دین وصحیم جان نو بد و [illegible]
در کف و آنه بنام رفلاح که نه بینش نه در زمان حسن سم سود لشکر شهر یار را
رعیت سالیه [illegible] مثال عطایا [illegible] سه ارزان نوای حلقه امکنیک بکوش کشید
و دان سخنان مالک حقیقه عثمان محسوب داسته بتدکان سخن [illegible]
مارا بسیاری سعادت از است از خوب کار [illegible] دیوان نیکوی و دو [illegible]
و حوزه [illegible] حکو جز [illegible] نبی و کو [illegible] بیت خوی بد در طبیعتی که نشست
نرود جز بوقت مرک از دست . ران اعمال [illegible] و احسان [illegible]
با خوبان منا . انه الاعز [illegible] آن ملک که از روی [illegible] بدست [illegible]
[illegible] حیم ارده [illegible] عسکر [illegible] آنرا ما خواهد شد [illegible] از غایت
سبکساری سودای سرداری در سر دارد [illegible] در رای [illegible]
و کشور کشایی پر زبان آری چو مردی به میدان مردان درآی که [illegible]
نهاده برد نه دیر است بظهور آید [illegible] والسلام علی من اتبع الهدی
حرر ذلک فی شهر صفر المظفر سنه عشرین و تسعمایه فی دار الملک [illegible]

الوثيقة الثانية :

نظيره مكتوب ناجي زاده كه به ميرزا سرفرستاده بود از جناب حضرت سلطان سليمخان حماه الله لمولانا شيخ مرشد العجم

انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي واتوني مسلمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه اجمعين. هذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون اين منشور ظفر ظهور كالوحي النازل من السماء بمقتضاى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا از حضرت اينه منزلت ما كه خليفه تعالى بالطول والعرض هبط واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض سليمان مكان اسكندر نشان مظفر نصرت و مجدد ظفر قاتل الكفرة الفجرة كافل الكرام البررة المجاهد المرابط المنصور المظفر الليث بن الاسد بن الغضنفر ناشر لواء العدل والاحسان سلطان سليمشاه بن سلطان بايزيد بن سلطان محمد خان بجانب ملك عجم مالك خطه ظلم و ستم سرور مزور و سردار اشرار دارا زمان ضحاك

روزگار عدیل قابل امرا سما میل عز صمدی یافت موجب آنست که از کمال
عزت و بخشکاه الوهیت یؤتی الملک من یشاء. ما یفتح الله للناس
من رحمة فلا ممسک لها کلک تقدیر با سم سامی ما رقم زده که جوهر اوامر و نواهی
ناموس الهی و امور احکام شریعت حضرت شاهی را در فضای عرصهٔ جهان چون فضای آسمان
نشاه داده و ذلک فضل الله یؤتیه من یشاء و چون بعضی از اجلاف سنام افتاد
که ملت حنیفیه محمدیه علی واضعها الصلوة والتحیة را تابع رای ضلالت آمیز
خود ساخته و اساس دین متین را برانداخته و ظلم را بقواعد منقح برافراخته
امور منکره و نهی معروف از شعار شریعت دانسته شنیعه شنیعه خود را تحلیل
فروج محرمه و اباحت دماء محترمه غیر مشروعه و یجعلون مستحلون للتکذیب الذی
لیغضب باستماع کلمات مزخرفات و اکل محرمات نموده م مسجد خراب کرده
معبدها ساخته پایهٔ بلند پایهٔ منابر اسلام را بدست تعدی در هم شکسته
قرآن مبین را اساطیر الاولین خوانده شناعت شناعت را بلعن شیخ نام خود
حادث کرده هر آینه بموجب فتوای عقل و نقل علماء اعلام ملت و اجماع اهل سنت
و جماعت بر ذمت همت عالی نهمت ما که ظل الرحمن من الایمان حضرت ندین نامه ختن
قلع و قمع و دفع و منع رسوم مبتدعه که رسم بدعت کاو و معنی بمؤکد علیه السلام من احدث
فی امرنا هذا ما لیس منه فهو رد معنی روایت من قتل جاهلا لیس هالک الا مرتکب علم و لا ترکت
و چون قضای ربانی منقدر بصدای اجل اجلاف کرده را در قبضه لشکر ما نهاده
بعد کالقضاء البرم توجه آن دیار نموده و با شکال امر و لا تذر علی الارض من
الکافرین دیارا ان شاء الله العزیز اقدام کردیم تا از صولت تیغ ظفر دثار صاعقه
کردار قضا رحمتی که در جویبار شریعت غرا به نویسنده و چون جمله همّا نشوها
یافته از بن برکنده و بنیاد منزلت اندازیم تا کلکد کوب حوادث ساخت کرده
که و جعلوا اعزة اهلها اذلة و کذلک یفعلون و از صدمه که زکین آین معز

دماغ صفا دین که بخیال خام پخته شدن طمع شیران و دلیران غزاة سازم و
سیعلم الذین ظلموا ای منقلب ینقلبون بعیث من آنم که چوب برکشم تیغ تیز .
بر آیدن تری زمین رستخیز . کباب اندل زه شیران کنم . مسوی بخون
دلیران کنم . شود صید زاغ کام عقاب . زخون یلان زرد دل آفتاب .
اگر در برهمن نو کردیم . ز کردون گردنش نشنیده . زخون شبیه تابان
عنانم برین . زمرام آب سنانم برین . اگر تاج داری مرانج هست . جو
نیم بوعد تاجت آن بدست . امید مرچنانست بیزبدی بخت . که بستانم از
دشمنان تاج و تخت . بموجب ان الدین النصیحه اگر رذی بنا ز صله امثال و کفر آمال
آسمان ملاحیان آشیان ما که حال رحال رجالنست آورده و دست تعدی از
سر ذریه سنان مظلوم که بابال الظلم طغیان کشته اند کوتاه کرده و خود را در
سلک التائب من الذنب کمن لا ذنب له منسلک کردانیده و در مذهب ملت
بتبعیت سنت سنیه حنیفیه محمدیه علیه الصلوة والتحیة و آل طاهرین و اصحاب
مهتدین ابد رضوان الله علیهم اجمعین که اصحابی کالنجوم بایهم اقتدیتم اهتدیتم که
مکان ملحد را با سپاهان مضافات و متعلقات ممالک محروسه عثمانیه نمیدهد هر
آینه عنایت پادشاهی و معاطفت شاهنشاهی ما شامل حال نموده در مهب
سایه عدل و عنایت بسرا و مکینیم . هر که چون مهر نهد روی بخاک در ما هم
نعم مصلحت نا نکس که این اجابت کرد . و الا بحکم العادة طبیعة ثانیه بمقتضا
طبع فرا نگیرند آمیز عامل باشی که ما بالذات لا ینفک بها بالعرض هم باسبه حال
چشم کشن رخط . تا بسیجا تیغ وحسن نو نبینه . سر هر تاجداری تاجداری
سلطنه عیسا بسیط زمین را از ان نفوس مظلمه بر جا نهم انما ان حزب الله هم
الغالبون دست ستمکار را بیقوت سر پنجه بد بختا بپیچیده در هم شکنم که ید الله
فوق ایدیهم بابدکه پنبه غفلت از گوش هوش بر هنه کرده کمن در درون که کفتها

الوثيقة الثالثة :

از جانب شاه مبرت اختم بالخير والسعادة والحسنى اسماعيل جناب

حضرت سلطان سليم خان علیه الرحمة والغفران

حوزه سجانعمنال غياثا للسلطنة والعدالة والحشمة والشوكة ولد

سلطان سليم شاه حضرت سامی رتبت عالی منقبت سلطنت پناه

عدالت دستگاه خورشید دولت جمشید رتبت فریدون فر دارای ممالک صفات

ممالک آرای مناصید انتفاع رجیس ارتفاع افتخار اعاظم السلاطين اعتضاد اماثل الخو

رافع اعلام الملك والدين حامي الاسلام والمسلمين اختر ... شهد لنا ان الامان وظهير

بتاشير ... من امن الاحسان المؤيد من عند الله الملك الاحد . المؤمن با

الله الملك المنفرد شاه اسمعيل بن حيدر بن جنيد الصفوي . ابد الله ظلال ... ملكه

وسلطانه وايد بكمال لطفه واحسانه شرايف دعوات طيبات تحت آيات ولطايف تحيات

زاكيات مودت سمات مقتبس از انوار ان تذكرني ايام دهر حكم نفحات كه طراوت

ازهار ونضارت گلزار صفا بخش خواطر ارباب صدق وصفا وروح فزای حدایق

احباب سلطنت وولا بود ونسیم دلگشای آن مروح روح ومفتح ابواب فتوح باشد

تحفه وهدیه وتبلیغ وموذی داشته منهی ضمیر منیر مهر تنویر آنکه بنابر استحکام

قواعد محبت وولا وانتظام مودت وصفا که از مقتضیات آثار علاقه ابوت وبنوت

وشمات الطوار رابطه فتوت ومروت است مدد رسول این ایام بایام زمن ... آن ازجا

حضرت ابوت مکان فرید درس ماشیان انار الله برهانه بنوعی منطوی ... شهود بود که عمو

سلاطین با نظار ومنبوط خواقین اشعار گشته علی القدر ... مستعدهای شمة

جبلته ومقتضای فطرت اصلیة این ... ورفع اسباب ریح عدوان ودفع وقلع

احباب عصیان وطغیان اشتغال بود ... از جانب امکان مخالفت واحتمال

ساریست مخلوط و مستور نبود بلکه چون جنبه احیاء بزم محبت موروثی مهمی طلعت

معالم مودت یعنی قدیمی فیما بین اولاد امجاد سلطنت نژاد حضرت جنت مکان

نسبت این محبت را از حضرت خلافت مرتبت ظهیری یافت و استمالت ترشح

و اتحاد در رعایت خواطر و مرایای ضمایر ایشان می‌نمایند مکنون ضمیر و مکنون خواطر

صافی ضمیر آن بود که هرگاه که در امور سلطنت و مهام خلافت بیاس مودت ذمت

آن حضرت اتساق و انتظام یابد تشیید بنیان صداقت و تشیید این مبانی موجب نزهت

المحبة لا بلد و راثة لا آباء بنوعی ثبوت و رسوخ پذیرد که در مقاطع حکمت و ملت و جهت

دینیه و دنیویه از جانبین ظاهر می‌شود امداد و اعانت مرتفع نما ساد بظهور رسید

نکند که خلل سرطعنی و مداخلت و تصور منصب مجادلت اما انجمان با عناد آن

کم شاه نشأ مخالفت غیر افساد ارباب فتنه و فساد و اتباع اصحاب اغراض بر عناد

نبوده اما ان اما قبل کان ذهبنا بالحلال و ابا طل لا طائل جمع غرضنا الیوم بانت آن شخص مرتعیب

که مطلع انوار غیب است مکدر ساخته باشند و ضمیر منیر را از انعکاس صور حقایق

صفا و صفاء او برقع اکتساب پرداخته و مع ذلک جمیع ایشان از جبلت کریمه محبت خویش

محبت تام رعایت نمود که با وجود تأسیس قواعد آن مشیدة الارکان و ترصیص آن مبانی

مستحکمة البنیان تا غایت اقوال و تغییر احوال نمی‌توانند بود با آنکه هر چند ان اکاف اخبار

متخبرات ایشان بدین بلاد متواتر بخلاف مقتضیات محبت و رجاء دی رسید تخاطر نتیجه

اعتماد نموده بسمع قبول مسموع نشد و شاهد عدل این کلام صدق آنکه درین حکم

چنانچه مسامع علیه رسیده باشد احضار عساکر ظفر اثر نکرده بجواب یعنی آنکه جمعی

با معضی چند از ملازمان رکاب و معدودی از مردم چند در یکرویست المروه

بسبب مقابله استقبال خود و بحسب المعذور که هر فهم سامع صاحب حسب بود

علم شهادت برافراخت و چون استشمام نسایم صلاح و ستروح روایح اصلاح بین

معاهدین از ریاض احوال ایشان نموده تمکن همت و تمسک همت ملتمس آن بود و مرغب شده

مصروف و منعطف بود حمایت بیضهٔ اسلام مخزون خزینهٔ نیت و مکنون گنجینهٔ طویت بود

مخالفت سلاطین دیندار موجب اختلال مبانی دین و ایمان و سبب جرات و جسارت

اهل کفر و عصیان میشد هر آینه بمقتضای حقیقت مؤدای مَن سبق من المؤمنین بالنعم

فهو اسبق بدخول الجنة برعایت یحمون الاخوة و یدوون المحبة باهداء آثار موافقت و استحکام

شمل مصادقت مسابقت نموده و بحسن مساعدت بمضمون آیهٔ کریمهٔ الصلح خیر و ان

طایفتان من المؤمنین اقتتلوا فاصلحوا و بمصلح و لا تتبع سبیل المفسدین وجههٔ توجه

و قبلهٔ نیت ساخته سیادت و نقابت پناهی افادت و افاضت دستگاهی امیر نظام

السیادة و الدین عبدالوهاب را جهت تاسیس اساس جمعیت و یکانگی و تشیید مخالصت

و یکانگی بدان صوب صواب مآب روانه کرده اند و بر مستدرک آن بو حکم جهت اصلاح

حال مصالح حال کافهٔ انام و مصالح انام اهل اسلام را متضمن است سیادت پناه مشار

الیه را بزودی روانه ساخته اظهار رضا بمن اعتماد نافی علی رسم السابق والی یوم الدین

فرمایند و اکنون مدت مدید است که گذشته و اثری بر آن مترتب نگشته بخاطر خطور می‌کند

که در این اثنا وقوف شمه‌ای از بعضی امرا حسد بر طریق بخلاف توجه صورت بسته

جلوه‌گر شده که موهم تبلیغات مولانا سیادت پناهی مرتضی الاستفادت همان که سبب تشویش

و تعویق آن باشد و لهذا ایالت پناه رفعت انتسابی کمال الدین حسین بیک را که از اعاظم

برادر کلانم که از خواص و ارباب اخلاص این خاندان است فرستاده شد که مفاصیل حالات بعرض

والا رسانند الیها که انتهای آن کامی که کامی جایزند و مستعد علیه اند معلوم شد که حکم

جمال مرتفع کرده اند یقین که مصالح عموم انام و انتظام مناظم امور جمهور اهل اسلام را

نصب العین ساخته فتح ابواب رضا و نشر اسباب ولا بامیات و وسایط و وسایل و تجویز

آن جنس مشغول و معامل حاصل شده بود و اکنون عرض انار رسایل رسل و ابلاغ مراسلات

منبسط بساط مفاوضات و مکاتبات عیر ملاحظه مزاج حال عموم رایا و جمعیت حال ملک

پیمانها نموده و نیست چه دفع جنایات ناشایسته و اعمال دیگر بی جمیع امکنی زیاده از آن

سیرت دیگر مستور نماند مرتواند شد و متعاقب مؤید و حزم باتصلی جهد در متمم

الوثيقة الرابعة :

الوثيقة الخامسة :

الوثيقة السادسة :

[illegible]

الوثيقة السابعة :

الوثيقة الثامنة :

جم فبرز الى السلطان بايزيد لقتاله وجرى بينهما ما انهزم السلطان جم [illegible]

ثم وصل الى مصر والتجأ الى السلطان قايتباي فأكرمه وعظمه ثم ذهب الى رودس وتوجه

طائفة من الفرنج وتنازع [illegible] الملك [illegible] السلطان بايزيد فلم يمكنه

السلطان جم باستانبول فمات ببلاد النصارى سنة ٩٠٠ وارسل السلطان بايزيد

[illegible] في صورة [illegible] وحلق رأس السلطان جم بالموسى وقيل

بموسى مسموم وهرب في الحال واثر السم في رأسه وسرى الى بدنه فمات

الى رحمة الله تعالى وله اشعار لطيفة بلسان التركي وعمر الجوامع بما بناه

من الجوامع العظيمة والمدارس المحكمة [illegible] فلعمري [illegible]

[illegible] من الجوامع [illegible] بلاد الروم في ايامه شاه

اسماعيل بن الشيخ حيدر بن الشيخ جنيد الصوفي سنة ٩٠٦ وكان له ظهور

عجيب واستيلاء على ملوك العجم [illegible] وقتل في البلاد [illegible]

[illegible] العلماء واظهر مذهب الرفض والالحاد وغير اعتقاد اهل العجم الى

الضلال والفساد [illegible] واخرج [illegible] العجم [illegible]

اهل احسن الاعتقاد [illegible] في مدة ملكه ما اراد وتلك الفتنة

باقية الى الآن في جميع البلاد وشرح ذلك يحتاج الى تاريخ مستقل ولم

[illegible] من له من العلماء الاجتهاد وكان السلطان بايزيد رحمه الله [illegible]

[illegible] في سبيل الله [illegible] يقاتلون على الحق ظاهرين

على من ناواهم منصورين [illegible] القضاة [illegible]

لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى [illegible]

[illegible] في سبيل الله [illegible]

[illegible] من عناية الله واعانته [illegible]

الوثيقة التاسعة :

فلما كان سليم بحلب [illegible] من الغوري [illegible]
أن يمكنه من ذلك فاشتدت العداوة بينه وبين
الغوري فلما [illegible] وقع العداوة
بينهما أن السلطان سليم لما غزا اسماعيل شاه
سلطان العجم وجاذبا العساكر على [illegible] وكان
[illegible] فلما توجه السلطان فانضم
الغوري ملك مصر وأمر علاء الدولة [illegible]
أن لا يبيعوا على عسكر السلطان سليم شيئا
مطلقا من [illegible] وغيرها فمات أكثر [illegible]
والدواب لشدة الغلاء وكان هذا سبب الحرب
بينهما بين الغوري وسليم [illegible] علاء الدولة
[illegible]
السلطان سليم أعرض له وزراؤه [illegible]
[illegible] وكان السلطان سليم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

أ - ترجمة الرسائل (الوثائق) .

1- فتوة عثمانية " شيخ الإسلام " يحل فيها قتل الصفويين (القزلباش) .

2- الرسالة الثانية من السلطان العثماني سليم الأول إلى الشاه إسماعيل، بتاريخ صفر 92 هـ / 1514م .

3- الرسالة من السلطان العثماني سليم الأول إلى الشاه إسماعيل الصفوي بتاريخ 920 هـ / 1514 م .

4- رسالة من الشاه إسماعيل الصفوي إلى السلطان العثماني سليمان القانوني، يعزيه في وفاة والده سليم الأول، ويهنئه بالجلوس على العرش، بتاريخ 929 هـ / 1522م .

5- رد السلطان سليمان القانوني إلى رسالة إسماعيل الصفوي بتاريخ محرم 930 هـ / 1522 .

6- رسالة من السلطان سليمان القانوني إلى حسام الدين حاكم كيلان يطلب منه الاستعداد لحين قدومه للاستيلاء على إيران، بتاريخ رمضان 930 هـ/ 1523 .

7- رسالة من السلطان سليمان إلى الشاه طهماسب يهدده فيها بالخروج لحربه، والقضاء عليه، ويخبره فيها بأنه قد عزم على محاربة بتاريخ 931 هـ/ 1523م .

8- رسالة من السلطان سليمان القانوني إلى الشاه طهماسب الصفوي يدعوه فيها للخروج إلى الحرب وينعته بالجبن عن لقائه، بتاريخ 961 هـ / 1554م .

9- رسالة من الشاه طهماسب الصفوي إلى السلطان سليمان القانوني، يطلب فيها الصلح بين الجانبين، بتاريخ 961 هـ/ 1554 م .

10- رد رسالة السلطان سليمان القانوني إلـــى رســـالة الشــاه طهماســب الصفوي السابقة، وفيها يخبره بقبول طلبه على الصلح .

11- رسالة من ملكة ملكه انجلترا اليزابيت إلى الشاه طهماسب الصفوي .

الوثيقة الأولى

- السؤال : هل يحل قتال طائفة القزلباش شرعاً، وهل يعتبر من قتل على أيدي طائفة القزلباش شهيداً والقتلة الغزاة ؟ .

الجواب: نعم: فإنه غزو وأكبر وشهادة عظيمة .

- السؤال: هل يرجع إباحة قتالهم لتعديه وبغيهم على حضرة سلطان الإسلام وأهله وتجريدهم السيف على جنود الإسلام، أم أن هناك سبباً آخر ؟ .

الجواب : هم باغون وكفرة لأسباب كثيرة .

- السؤال : يقال أن رؤساءهم من آل بيت النبي عليه الصلاة السلام، وطالما الأمر هكذا إلا يوجد أدنى شك في الأمر ؟ .

الجواب : فعلاوة على أن أعمالهم الشنيعة تدل على عدم علاقتهم بالنسب الطاهر، كما أنه منقول عن ثقة أن إسماعيل عند بداية خروجه أكره السادات العظام الذين كانوا في مشهد على الرضا ابن موسى الكاظم وبقية الأماكن على درج نسبة إلى أنسابهم (بحر الأنساب)، وكان يقتل من لا يقبل التزييف قتلاً عاماً، ولأنه قتل بالفعل بعض السادات، فقد أظهروا له الامتثال، وفعلوا ما يقول، ولكنهم قاموا ببعض التدابير بحيث وضعوا نسبه بين أنساب العلماء الشريفة، على الرغم من أنه لا نسب له على الإطلاق وأوصلوا نسبه إلى أحد السادات المعروفين، بحيث يعلم أصحاب اليقين حقيقة الأمر وحتى وإن صح نسبه فرضاً، فإنه لا دين له، ولا يمكن تفريقه عن بقية الكفرة، فآل رسول الله عليه الصلاة والسلام هم المراعون لشعائر الشرع المبين، والحامون لأحكامه المتينة، وعندما دعا سيدنا نوح عليه السلام رب العزة لإنقاذ ابنه الذي من صلبه (كنعان) لأنه لم يكن على دينه ؛ أجاب رب العزة بقوله : " أنه ليس من أهلك "، حتى أنه عذب كل الكفرة وأغرقهم، وإذا كان الانتساب إلى الأنبياء العظام (عليهم الصلاة والسلام) سبباً في النجاة من العذاب الدنيوي

والأخروي، يعني هذا أنه لن يعذب أحد في الدنيا و الآخرة من الكفار لأنهم ينتسبون إلى النبي آدم عليه السلام، والله تعالى أعلم وأحكم .

- السؤال : تدعى الطائفة المذكورة أنها من الشيعة، وأنها تقول لا إله إلا الله، فما هي الأحوال التي تطرأ من جراء هذا الأمر، فلتتفضلوا بالشرح والتفصيل ؟ .

الجواب : أنهم ليسوا من الشيعة، وكان رسول الله (ﷺ) قد صرح قائلاً أن هناك ثلاثاً وسبعين فرقة غير أهل السنة في النار، وهذه الطائفة ليست إحدى الفرق الثلاث والسبعين الخالصة، وقد أتى كل شخص من هذه الجماعة بقدر من الشر والفساد وألحقه بالبدع والكفر الذي اختاره بأهوائه الشخصية، وأوجدوا مذهباً للكفر والضلالة وتمسكوا به، واستمروا عليه من يوم إلى آخر، وهذا هو حكم الشريعة المفصل على قبح أعمالهم المعروفة التي يتمسكون بها حتى الآن، فبعد تكفيرهم ونتيجة لاستخفاف هؤلاء الظالمين بالقرآن العظيم، والشريعة الشريفة، ودين الإسلام، وتحقيرهم للكتب الشرعية وحرقهم إياها، وإهانتهم لعلوم علماء الدين وخرقهم لها، وعبادتهم للفاجر الملعون رئيسهم بدلاً من الله، وسجودهم له بل واستحلالهم لأنواع الحرمات الثابتة والمحرمة بالنصوص القطعية، ولعنهم لحضرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، كما أنهم في الوقت الذي نزلت فيه الآيات العظيمة في براءة حضرة السيدة عائشة الصديقة (رضي الله عنها) قاموا بإطالة اللسان عليها، وكذبوا القرآن الكريم، وبالإضافة إلى كفرهم فإنهم سبوا النبي (ﷺ)، وقد أباح جمهور علماء العصر والأمصار بالإجماع قتلهم، ومن يشكون في كفرهم، أيضاً كفار، وقد أفتى الإمام الأعظم (أبو حنيفة) والإمام سفيان السوري، والإمام الأوزاعي (رحمهم الله) بالصحة التامة لقتلهم، وأنه لا يغفر لهؤلاء الكفار ولا يعفى عنهم - مثلهم مثل بقية الكفار الكفرة- إلا بتوبتهم ودخولهم في الإسلام، أما الإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أحمد بن

حنبل، والإمام ليث بن سعد والإمام اسحاق بن راحوية وجمع كثير من عظماء علماء الدين فلا يقبلون توبتهم على الإطلاق عند قتالهم، ولا يعترفون بإسلامهم، وبالتأكيد فإن قتلهم من الحدود، كما أنه مشروع أن يعمل حضرة الإمام ملجأ الدين (أيده اله تعالى وقواه) بقول أي من أئمة الدين المذكورين، وإن اتصافهم بتلك القبائح معلوم وواضح ومتواتر بين كل أهل الإسلام وليس هناك شك أو تردد في أحوالهم، لهذا يجب إلا يتم العفو مطلقاً عن من كان منهم من الجنود، ومن مارس القتال، ومن كر وفر، وكذلك من اتبعهم أما من بقي منهم على الصلاح في حالة في المدن والقرى، وترفعوا عن أفعالهم وصفاتهم، ومن دلل على صدقه بما ظهر من أحواله، ولم يظهر عليه الكذب، فإنه لا يجوز تطبيق الأحكام والعقوبات عليه، وأن قتال هذه الطائفة أهم من قتال بقية الكفرة، لهذا أجمع الصحابة الكرام (رضوان الله تعالي عليهم) على تقديم وترجيح الغزو ضد الطائفة المرتدة التي اتبعت مسيلمة الكذاب – والتي ظهرت على خلافة أبي بكر الصديق (ﷺ) – قبل أي غزو آخر ؛ في الوقت الذي كان هناك كثير من الكفار حول المدينة، ولم يكن قد تم الانتهاء من فتح الشام، كما قاتل حضرة علي (كرم الله وجهه) في خلافته الخوارج أيضاً هكذا، وإن فساد هذه الطائفة أعظم من أي شيء آخر، كما أن الجهاد من أجل القضاء على فسادهم من ظهر الأرض، أهم من أي شيء آخر .

والله المستعان وعليه التكلان، ربنا أغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين .

كتبها مولانا وأولانا قدو العصر أبو السعود المفتي في دار الإسلام والنصر في سنة 955 .

الوثيقة الثانية

" أنه من سليمان وأنه ﷺ " ألا تعلوا علينا وأتوني مسلمين " وصلي الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه اجمعين، هذا كتاب انزلناه مباركاً فاتبعوه واتقوا لعلكم تفلحون، إن منشور الظفر هذا هو كالوحي النازل من السماء، قد كتب بأمر الحضرة السامية الذي هو خليفة الله في الأرض، بمقتضى " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً .

من سليمان المكان، شبيه الاسكندر الظافر وفريدون النصر ؛ قاتل الكفرة وكافل الكرام البررة، المجاهد المرابط المنظور المظفر الليث ابن الأسد ابن الغضنفر، ناشر لواء العدل والإحسان السلطان سليم شاه من السلطان بايزيد بن السلطان محمد خاتيم إلى ملك العجم، مالك دولة الظلم والجور، الزعيم الشرير وقائد الأشرار وضحاك الدهر وعديل قابيل ؛ الأمير إسماعيل، معرب عن أن العزة الإلهية والقدرة الربانية تؤثر الملك من تشاء وبتوقيع ما يفتح الله للناس من رحمة لا ممسك لها، ولا جرم فإن الأوامر والنواهي الإلهية وأمور الإحكام الملكية نافذة في القضاء الأرض مثل فضاء السماء، ذلك فضل الله يوتيه من يشاء ولما كان أمر إخضاعك للملة المحمدية على واضعها الصلاة والتحية بالقوة لآرائك الضالة، متواتراً عند الجميع وبأنك هدمت أساس الدين المتين ونشرت لواء الظلم على قواعد الاعتداء، ورأيت أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مغير للشريعة وطفقت وشيعتك الشنيعة تحللون الفروج المحرمة والدماء المحترمة، وبحكم سماعون للكذب أكالون للسحت رحت تستمع إلى زخرف الكلام وتآكل المحرمات، وتخرب المساجد وتقيم المعابد والأوثان، وتحطم منابر الإسلام بيد الاعتداء وترى التعاليم المبينة أساطير الأولين .... " .

الوثيقة الثالثة

" إسماعيل بهادر، أصلح الله شانه، عندما يبلغك التوقيع الرفيع لسيد العالم والحكم الشريف لواجب الانقياد والاتباع، فعليك أن تعلم ان رسالتك وقد وصلت حضرتنا السعيدة، وقد كتب فيها كلمات وقحة مما زاد في عزمنا، وأمرت بترك الانتظار .

وقد دخلنا مملكتك بقواتنا الجريئة التي قدمت من الأماكن البعيدة في جيوش لا تحصى، مع رأيان الفتح وآيات النصر، وبعد قطعنا للمراحل والمنازل، وفي عرف السلاطين أولى الأمر ومذهب الخواقين ذوي القدر، فأن المملكة هي بمثابة المرأة وإن الشخص الذي له نصيب من الرجولة وحظ من الفتوة قطعاً لا يرضى بتعرض الآخرين لعرضه و ناموسه .

ومع هذا فإن جيوشنا الظافرة لا تزال موجودة في بلادك رغم مضى الأيام، وليس ثمة أي حركة أو علامة تدل عليك، وليس هناك أي أثر واضح على وجودك، بل ظللت متستراً فكانت سيان حياتك ومماتك .

وظاهر الحال يشير إلى أن اكتساب الجرأة هو عارض لما هو لازم، ولم يبدر منك إلى الآن أي عمل يمكننا استنباط رجولتك وصلابتك منه، أن عملك هو ثمرة الكمر والحيلة التي تتصف بهما، ولا ريب فإن جرأتك العارضة، إنما هي أثر للتلبيس والتدليس لاغير وعلاج مرضك الذي أنت مبتلي به معروف وتستعمله لاجل الحصول على قوة القلب، فلتكن الآن كما مضى واستعمل هذا الدواء عسى أن تجد شيئاً من الجرأة .

ونحن قد قمنا لأجل إزالة ضعف قلبك بفصل أربعين ألفاً من قواتنا وإبقائها بين قيساربة وسيواس، وليس ثمة مروءة ورجولة اكثر من ذلك يمكننا تقديمها لعدونا، وبعد كل ذلك فإن بقيت على حالك منزويا في ركنك خائفا مذعوراً فإن أسم الرجولة يحرم عليك حينها وأفضل لك أن تريدي زي

النساء بدلاً عن زي الملوك وحري بك أن تتخلى عن القيادة والزعامة ولـــن تقوم بهذا العمل لانك لست كفوءاً،و السلام على من اتبع الهدي تحريراً .

أواخر شهر جمادى الآخرة سنة 920 هـــ .

الوثيقة الرابعة

هو الله المستعان سليماً للمعدلة والسلطنة والخلافة والشوكة والظفر والجلال والإحلال سلطان سليمان خلد الله تعالى ظلال سلطانه بين الخواقين ونصر جنوده وأعضاءه لقلع مآثر معارضي الدين وقطع دابر المشركين وقمع منابر الكفر والكافرين، وظفر عسكر الإسلام وجيوش المسلمين إلى يوم ينال فيه أجر العاملين، أنه بعد الدعاء المتصلة فوائح قبوله رياض الجنان العبقة إلى مشام سكان معشر الإنس، والثناء الذي أخرجت بوادر وصوله – إلى نسائم نفس الرحمن نتيجة لإذعان عالم الجان – وورود حديقة القدس، زينه تحفة مجلس الجنة، المنتمي إلى هدية محفل الخلد، حضرة الخاقان الجمى الجاه، والإسكندري التمكين، والسليماني المكان، منله أسلوب دارا، قدرة أكاسرة المجاهدين، عمدة قياصرة السلاطين، ذلك الذي أظهر الضمير الأقدس، كشف الخاطي الخطير للأنفس، من هو في مكان خطة الإمكان بين البشر أبدعهم، والشاهد عليه لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك، وهو مع سمو شأنه وعلو مكانه يتبع حكم الآية الكريمة ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾، وما الآية إلا وسيلة العبادة لرب العالمين والذريعة لإطاعة الشرع المبين والدين المتين، وإن فضل الجهاد لواضح وظاهر ومبرهن عليه بمقتضى الكلمة الطيبة ﴿ فضل الله المجاهدين على القاعدين ﴾، وأنه لمعروف أن كل فتح ونصر للإسلام على الكفر، والهدي على الضلال ينكشف من وراء حجب الغيب بإمدادات التوفيقات السبحانية، وأعداد العنايا الربانية، ويتجلى من خبايا عوالم اللا ريب وأن فتح سيما يلخصه (مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) إذ لم تر مثله في الأزمنة السابقة والقرون السالفة عيون أعيان أولى الأبصار، ولم تسمع بمثله أذان عقول عقلاء أهل الاعتبار، ولم يرد مثله على الخاطر المنير لضمائر أهل البصيرة، ومن المؤكد أنه سيكون سبباً في سرور خالق الأرض والسماء،

وسبب سعادة الأرواح المقدسة لجميع الأنبياء وأئمة الهدي وكافة الأولياء وزمرة الأصفياء عليهم التحية والثناء واستبشاراً بذلك فإن لكم النعمة الجسيمة العظمى والسعادة الميمونة الكريمة الكبرى مصداقا لقول الآية ﴿ يستبشرون بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ﴾، ومع هذا فقد جال بالنفس خاطر مؤلم إلا وهو رحيل العالي الحضرة، الخاقان الفردوسي المكان، من له منزلة العليين، حامي بيضة الإسلام، ماحي دابر عبدة الأصنام الواصل إلى أعلى غرف جنات النعيم المنعوت (من أتى الله بقلب سليم) عظم الله معالي درجات السلف، وأبد ترقي قدر الخلف وليكن معلوماً أن هذه صورة أعظم من عيد الأضحى وأفخم من سرور البشرى، وأنه قد تم إرسال سعيد المآب عمدة العلماء العظام تاج الدين حسن خليفة ؛ وهو من الخلفاء القدامى الموثوق في ولائهم لهذه الأسرة للتهنئة بالفتوحات الكبرى المتوجهة إلى قبلة الإقبال والمحرمة بحريم كعبة الأماني والآمال، فليبق صفاء الوداد مؤكداً، وصدق الإعتقاء مؤيداً، والاعتماد والدعاء مخلداً إلى يوم التناد .

الوثيقة الخامسة

جناب من مآبه الإمارة وانتسابه الحكومـــة إسماعيل بن الشيخ حيدر الصفوي أرشده الله تعالى، عندما يصلكم المثال الشـــريف الســـلطاني فـــاتح الأقاليم، والطفراء الغراء الخاقانية المزينة للعالم واللذان هما الفـــرة الفـــراء لصبح الدولة والسعادة، وشمس الرايات التي آياتها الفـــتح والنصـــر، لـــيكن معلوماً لديكم أنه عندما كان الفتح المبين لدين الإســـلام المبـــين والطريـــق المستبين لشريعة سيد الأنام عليه أفضل التحية والسلام يوصيا بـــالرد علـــى رسائل ورد التحية والسلام مصداقاً للحديث الشريف : " فإذا حييـــتم بتحيـــة فحيوا بأحسن منها أوردوها " لهذا كان لزاماً علينا الرد على خطابكم، كما أن السلام من جملة الواجبات ومن قبيل المفروضات، وفي هذا الصدد وصل إلى السدة السنية التي هي كالكعبة والى العتبة العلية التي هي قبلة السعادة وهمـــا مطاف طائفي كل العالم، وقبلة زائري جمهور الأمم، الطائر الميمون الطويل الجناح ؛ أعني رسالة المودة المصحوبة بأسلوب الصداقة والمعنونة بفاتحـــة كتاب الإخلاص، والمزينة بمحاسن خلوص الطوية والاختصاص مع عمـــدة الخواص والمعتمدين، زبده أصحاب العز والتمكين تاج الدين حسن خليفة زيد مجـــده (مصراع) " في ساعة سعد ووقت سرور " . وقد قرأناها من أولهـــا إلى آخرها وأطلعنا على ما بها من نتائج الكلمات الطيبات من تهنئة بالجلوس على عرش السلطنة، وفتح القلاع والبلاد، وبالأخص التعزيـــة فـــي رحيـــل العالي الحضرة السلطان الفردوسي المقر، الخاقان الذي مكانه الجنة؛ مالـــك نواصي الملل، سالك أقاصي الدول، ناصر شعائر الإسلام والمسلمين، قـــامع مآثر الفجرة والمتمردين، الساكن في أعلى درجات جنات النعيم، المتصـــف بـــ(من أتى الله بقلب سليم) تغمده الله بغفرانه وبوأه حيث يشاءون جنانه، وقد لاقت في أنفسنا هوى وحسن قبول، ولأن القاصد المومي إليه قد قام بـــإبلاغ الرسالة على أحسن الوجوه بموجب (وقولوا للناس قولاً حســـناً)، وملتزمـــاً

بآداب التبليغ ؛ صدرت إليه الإجازة العلية بالانصراف وهو متجه إليكم، ومن الله التوفيق، ليجعل الحق سبحانه وتعالى على الدوام أركان بنـــاء حكـــومتكم مزينة ومشرفة بحجة رعاية الشرع والامتثـــال لأحكـــام الـــدين ؛ أصـــوله وفروعه، والى محمد خير العباد وإله الأمجاد إلى يوم التنـــاد جـــرى ذلـــك وحرر في الرابع عشر من شهر محرم الحرام لسنة ثلاثين وتسعمائة .

الوثيقة السادسة

جناب من مآبه الإمارة، ونصابه العزة، ومآبه الدولة، وقبابه الرفعة، واكتسابه العدل، وانتسابه المكرمة، ساحب أذيال المجد والوقار، صاحب أدلة العز والافتخار، ناسخ دروع الأنصاف، ناسخ فروع الإجحاف، مستعبد الأبرار بالبر والأعطاف، مستبعد الجور والحيف والتسعف، المختص بمزيد عواطف الملك الخفي الألطاف، حاكم كيلان حسام الدين دام إقباله وزيداً إجلاله، سلام موفور، وتحية غير محصورة صادرين من العناية الشريفة السلطانية، عندما يصلكم الخطابّ ليكن لديكم أننا كنا قد قررنا وصممنا من سالف الأيام وسابق الأعوام على محو الوجود التافه لأبن أردبيل صاحب التضليل من دائرة الوجود وصحيفة العالم بسيف النصر الذي شعاره الظفر، لتقوية دين الإسلام المتين وتطبيق الشرع الشريف لسيد الأنام عليه الصلاة والسلام فلا جرم في أنه بناء على النية السابقة الشاهانية وطبقاً للهمة اللاحقة السلطانية تم التوكل على الله عز وجل والتوسل بمعجزات أفضل الكائنات عليه أفضل الصلوات، وكنا قد أمرنا بالتوجه على الديار الشرقية باليمن والإقبال والعز والإجلال والجنود التي مظاهرها النصر كأنها البحر، للقضاء على رئيس الزنادقة الغادرين وزعيم الملاحدة والأشرار، والآن قد وصل إلى المسامع العلية (أسمعها الله أحد البشائر دائماً) خبر من المسافرين يستحق التحقيق إلا وهو أن منبع الفتن والضلال هذا، ومجمع الجور والتباهي قد قهر بالقهر الإلهي، وأن روحه الخبيثة قد عهد بها إلى زبانية جهنم، ولا شك في كمال محنتكم وإخلاصكم وثبوت تمام تبعيتكم من قديم ْزمان والى الآن، وأنكم من المخلصين المعتمد عليهم، والوثوق بهم والمعروفين بصدق النية وصفاء العقيدة وإطاعة سدتنا سدة الخلافة، وحسن اجتهادكم ورجولتكم في سبيل الدين ومخالفة أعداء أمة النبي (ﷺ) وقد علمنا مرة بعد أخرى وكرة بعد أولى إذعانكم لنا، وأنكم تسعون لنيل عنايتنا العلية السلطانية ومخالطة همتنا الجليلة

الخسروانية، إلى أن نظرنا إليكم بعين العناية وأصبحنا نعتبركم من رجال الدولة، لهذا فقد تم في هذا الصدد التصميم على تطبيق أحكام دين المسلمين وتطهير البلاد الإيرانية من أوساخ وجود توابع ولواحق ذلك المقهور والمردود الشيطاني .

ويجب عليكم أن تستعدوا وتترقبوا من جميع الوجوه مقدمنا السعيد وبموجب فحوى البشارة التي مؤداها (الفرصة مزنة صيف ومرور طيف) عليك اغتنام الفرصة وعليك كذلك أن تجمع حولك الرجال والجيوش وأبدأ في الظهور هناك يوماً فيوم، وابذل كل ما تستطيع لإنقاص ملك ومال الملاحدة الزنادقة وإهلاك أعوانهم ورجالهم الذين مالهم الضلال، واسع لإتمام مصالح ومهام الدولة الأبدية البقاء، ولا تتهاون ولو لدقيقة رقيقة، وأفعل كل ما ترى أنه يجب فعله، ولا تتوان على التعاقب والتوالي عن إرسال الرسل والرسائل وإخبارنا بمطالبكم وبكل ما يحدث حتى إذا ما طلعت وأشرقت الشموس الخسروانية التي آياتها النصر في هذه المنطقة، سيحظى جنابكم الكريم اللائق بالتكريم الجميل السلطاني وأجناس الرعاية الجليلة الشاهنشاهية، وأنعم عليكم في الدين والدنيا بالمراتب العظمى والمطالب العليا، وارفع من رتبة جاهكم وجلالكم إضعاف ما كان عليه آباؤكم وأجدادكم حتى تعلق فوق السماء، ولتتدبروا أمركم في هذا، ولتظلوا دائماً في رفعة وإقبال مصانين من وصمة الزوال بنص النون والصاد جرى ذلك وحرر في أواسط شهر رمضان المبارك لسنة ثلاثين وتسعمائة .

الوثيقة السابعة

طهماسب الشجاع أرشده الله الملك القادر عندما يصلك المثال الذي لا مثال لــه الواجب الامتثال ليكن معلوماً أن سعيد الحياة وشهيد الممات والدنا المرحوم السلطان سليم خان عليه الرحمة كان قد انتقل منذ فتــرة مــن دار الفناء إلى دار البقاء، وكان الله سبحانه وتعالى تقدست أسماؤه وتوالــت آلاؤه قد عهد إلينا بمصدوق الآية ﴿ تؤتي الملــك مــن تشــاء ﴾ ســرير الملــك الخسرواني وعرش الخلافة وأصبحت الممالك المحروسة اللانهائية والأقاليم المحمية لسدة السعادة بمقتضى الآية ﴿ أنا جعلنــاك خليفــة فــي الأرض ﴾ ممسوكة ومحكمة بقبضة قدرتنا الحاكمة للعالم، ومسخرة لمخلب مكنة فرماننا وقد عفر السلاطين الذين لهم مرآة دارا، والملوك أصحاب التمكين، وجوههم على تراب سدتنا التي هي كالفلك، وأظهروا العبودية والامتثــال لأوامرنــا، والآن ستشاهد أنت أيضاً صدماتنا الصرصرية البطولية، وعقابنا الذي آياتــه السطوة والدهشة، فلو وجد طائر روحك خلاصاً من مخلب الصقر الأجل أو مناصاً من منقار الصقر العالي الطيران، لسقطت فريســه لســهام صــيدنا، ويضيق فضاء الدنيا الواسع على رأسك في ساحة الحرب المليئــة بالفســاد، وستقضي سريعاً زمزمة الرجال العدائية التي لا وصف لها وولولة البنــادق والمدافع الزائدة، على وجودك الضار، وسيشاهد جيشك الــذي هــو دليــل الشيطان بعينه الآية ﴿ يوم يفر المرء من أخيه ﴾ إلا أنني جبلت أباً عن جــد على الطباع الحميدة من كمال مرؤة وأقصى عاطفة ووفور شفقة ورأفة ولأنه ليس من عادتنا المرضية ولا قواعدنا المألوفة طرد من يلجأ إلينــا أو قتــل الضعيف، ففي الوقت الذي كان من المتسير لنا والمكن إزالة نقطة وجــودك الملوث بالخبائث بسيف الجنود التي مآثرها النصر من فوق صــفحة الــدنيا، أغمضنا أعيننا، أولاً نهبتهم استوليتم علــى خزائن البلاد ودمر تم الولايــات المعمورة، فما كان إلا أن انهزم جماعــة الملحدين – الذين جمعــتهم– مــن

سيوف الغزاة التي مرآتها الفتوح، ولو كنتم قد أظهرتم مثقال ذرة من جلادة وحمية لكنتم قد هلكتم منذ زمن بعيد، وكنا سنوليكم عنايتنا ونأمن خوف أنفسكم بسيوفنا، لماذا لم ترسلوا رجلاً إلى سدتنا الفاتحة للعالم وعتبتنا التي هي كالفلك فتعرضوا العبودية وتظهروا التذلل والانكسار، وبما أنكم لم تعدلوا عن دائرة ضلالكم وتمام غروركم لنقصان عقلكم، فقد حدي بي هذا التوجه الهمايوني والعزيمة الميمونة إلى الديار الشرقية عما قريب إن شاء الله تعالى.

واصبح من المقرر إقامة معسكر الفلك في نطاق أراضي تبريز وأذربيجان وربما كل بلاد إيران وتوران وسائر ولايات سمرقند وخراسان، وأن ما أخرنا عنكم حتى ذلك الوقت هو أننا كنا قد أرسلنا جيوشنا الجرارة لفتح بلجراد ورودس الواقعتين في أقصى الممالك المحمية في بلاد الإفرنجية الكفار وهما أعظم قلاع الأرض،فأهدى الهادي جيشنا بمقتضى الآية ﴿ أنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ ولم يحتمل العدو ضربة هجوم نسور الروم مصداقاً للآية ﴿ وينصرك الله نصراً عزيزاً ﴾، وتم تسخيرهما وفتحهما في زمن قليل وتحولت مدار الأصنام إلى دار الإسلام، ومعابد الأوثان إلى مساجد أهل الإيمان ودمرت مرآة الكفر والضلال تماماً، ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا ﴾ الآن ليكن في معلومك أن عنان عزيمتنا التي قرينها النصر قد انعطف عليك، ولأنه قد تم إبلاغ جيوشنا التي مآثرها النصر بالحرب عليك فقد تم إبلاغك أنت أيضاً، وهكذا فربما يدخلون أرضك، فإن خلعت عن رأسك تاج الإلحاد الذي لم يسلم منه حتى أهلك وبلدك وأتبعت طريق أجدادك ولبست لباس الزاهدين، وانزويت في زاوية الدراويش المساكين، وتكية المذلة لن ينالك شيء منا، وتكون لك الدولة والسعادة، فإذا فعلت غير هذا، ولم يذهب عن جبلتك – التي هي منزلة الشقاوة – الغرور الفرعوني والضغيان النمرودي، واتبعت طريق الضلال والغي فعندما تسمع صدى تصادم السنان وتزاحم الرماح ودوى المدافع ستعلم حينها ما أنت ملاقيه .

ولتدخلن في ثقب الأرض أو لتطيرن إلى الفضاء، وبعناية الله الملــك الخبير لأطهرن ساحة الدنيا من خبث وجودك، فإن لم ترسل رداً على فرماننا النافذ فلتستعد لنهايتك .. والسلام على من أتبع الهدى .

الوثيقة الثامنة

طهماسب الشجاع أرشده الله تعالى عندما يصلكم المثال اللازم الامتثال ليكن معلوما لديك أنه قد تجلى في درجة الوضوح كفروا والارتداد أرباب الفساد الذين اتبعوك وانقادوا لك وابتعدوا بالخروج والعدول عن دائرة الإنصاف إلى أقصى حد، بتبديل الدين المبين وتغير مراسم الشرع المتين، وخاصة وأنه كان مكتوب ومسطور في المذاهب الأربعة أن سب الشيخين رضى الله عنهما، كفر وضلال، كما أفتى جميع الفقهاء أرباب اليقين وأئمة شريعة سيد المرسلين بإجازة قتل من يهدمون بنيان الدين . بناءً عليه، ومن أجل الامتثال للأوامر الإلهية واتباع شرائع حضرة ملجأ الرسالة والاعتماد على علو همة الأئمة الأربع العظام ؛ ثم التوكل على عناية الحق سبحانه وتعالى والتوسل بمعجزات فخر الدارين جناب خاتم الرسالة . ومر ما يقرب من عام تحركنا فيه من مقر سعادتنا وتوجهنا بعساكرنا التي مأثرها الهياج عاقدين العزم على الغزو والجهاد بنية تخريب ديار الشرق التي شعارها الكفر وتعذيب الأعداء . والآن ولتحقيق هذا الهدف العالي تحركت الأسود كالبحر المائج، وتم طي العديد من المنازل، واستدعت نواحي قارص في اليوم الخامس من شهر شعبان حبيب الرحمن الذي قرينه بالشرف قبل النصر بظلال الرايات التي آياتها النصر وقد صدر إليك حكمنا الهمايوني هذا المقرون بالشرف قبل السيف لتطبيق الإسلام وشرع سيد الأنام، ولقد مرت سنوات على توليك منصب الشاه تدعى خلالها الرجولة الشجاعة قولاً وكلاماً . وعندما كان يتم تخريب الأراضي والبلاد التابعة لحكمك في السنين السابقة مرات عديدة بالجيش المنصور لم تكن تقبل مواجهتها لاستيلاء الخوف والخشية على قلبك من طعنات نصال السهام القتالة، واختفيت بملجأ الخفاء، وتسترت بهذا الحال الذي ماله الفضيحة، وبينما كنا قد اخترنا منزلة العبادة وغفلنا عن مضمون : (الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها) وبينما كانت بعض

جنودنا التي مأثرها النصر مشغولة بقتال الكفار وجدت الفرصة وجئت بما في نفسك من ضلالة واتبعت أهواء نفسك وعذبت وآذيت رعايا بعض الأماكن الواقعة في أكتاف ممالكنا المحروسة، وليكن في معلومك أخر ظلمك وخيم، وثمرات فتنتك وفسادك نهايتها عقاب عظيم، وان شاء الله الأعز الأكرم تشرف عما قريب حدود نخجوان بلغلغة الجيش الذي علامته السعادة ودبدبة الشجعان الذين هم كالأسود، فلو كنت قد صحوت من رقود الغفلة التي كانت عندك في المرات السابقة، أزلت من رأسك العناد، ووضعت القدم على دائرة السلام، وكنت من المسلمين حينها ربما يحظي الرعايا بمرحلتنا ويلقى سكان الشرق الغارقين في الفتنة مزيداً من عاطفتنا، ولن يتم التعرض لهم . وأن النية البادشاهانية التي خاتمتها الخير مبذولة هذه المرة بعناية الحق جل ذكره في قتل ذكور الطوائف التي تسب وتلعن الصحابة الكبار، وأسر نسائهم وأطفالهم لهذا فإن كان في ذاتك أثر للغيرة والحمية وفي جنبك مثقال حبة خردل من الجلادة والشرف، وإذا كان لديك بعض رجولة وذرة من وجود فتلأت وتقابل جنودنا التي مأثرها النصر حتى يظهر ما قدره الله تعالى من المشيئة الأزلية والإدارة الأبدية وأنه ليس بخاف على جناب الحق جل وعلا إن مقصودنا ومرامنا في الدنيا هو إحياء السنة النبوية، اني منكر للمال والملك ولا أهتم ولو مثقال ذرة بالدنيا التي قرينها الفناء، وإن أيامنا أثارها السعادة كانت منصرفة ومتجهة دائماً للجهاد والغزو ضد الكفار، وإن ساعدينا مربوطة ومحكمة بعناية حضرة الباري وعم نواله فإذا كان الخوف من المدافع والبنادق التي لها صوت الرعد وهو السبب والباعث على عدم مواجهتكم حتى الآن لجنابنا الذي مآبه الجلالة واختفاؤكم في زاوية الخفا ؛ فلتبعد هذا الخوف عن قلبك فإن المدافع والبنادق كانت من العادات القديمة الموروثة عند جنودنا التي مآثرها النصر، وأصبحت ضرورة من قواعد الفتح إلا أنها ليست لمحاربة وقتال من تركوا الشرف والعرض مثلك، كما أن

جميع أحوال الأوباش الذين اتبعوك معلومة وظاهرة، فلا تخشى من المدافع والبنادق للمجيء إلى الحرب . إذ لا حاجة للمدافع والبنادق للقضاء على الملاحدة، وأن سنان السيوف والرماح كافية للقضاء على أرباب الطغيان، أنزلنا الحديد فيه بأس شديد، شعر تضرب كفوف الرجال بالبنادق، وتكفي فتنة الغواني عن طبنجات، وإذا كان عدم إقدامك على الخروج لمواجهتها هو خوفك وهلعك من كثرة الجنود الفاتحين للعامل ! فكيفما نزيل خوفك هذا تم تسريح العديد من جنود الجيش الذي دليه النصر، وتم إصدار الأوامر بعودتهم على أماكنهم، فأية مرؤة وعاطفة تلك التي لدى الخصم وليس عندك منها شيء، فلا يملأ قلبك الخوف من كثرة الجنود، أما إذا اخترت الفرار طبقاً لعادتك القديمة، ولم تخرج لقتال الجيش الذي دأب على الحرب واخترت أن تجلس بين النساء، فحرام أن يطلق عليك لقب الشاه، وتصبح من زمرة اللصوص، فأن اللصوص هم من يفرون ولا يخرجون لميدان القتال، وإن من العادات القديمة للملوك العظام هو الإحراق بشرارة نار السيف، ولن يترك الجيش الغفير حجراً والبوم، وليكن ذلك مدار علمك، على كل حال أرسل الرد على فرماننا المطاع في العالم، ولتأخذ وقتك والسلام على ن أتبع الهدى.

الوثيقة التاسعة

.. المؤيد بالتأييد الجلية من عند الله، املك العزيز المنـــان، الموفــق بتوفيق الله الكريم، المستعان سليمان سرير الســلطنة والحشــمة، والشــوكة والإقبال، ومعز العظمة والأبهة والنصفة والعز والإجلال سلطان سليمان شاه خان لا زالت ميا من سلطنته زاهرة مقرونة بدوام الأيــام ومــآثر عظمتــه وجلالته ممدودة لتقوية دين الإسلام ليكن معلوماً أنه قد طلعت ولمعت كواكب ثواقب العز والعلا، والشهب الجليلة المراتب المتعليــة الفلــك، أي الكتــاب الواجب التعظيم والخطاب المستطاب اللازم التكريم مصداقاً للآية الكريمة ﴿ أني ألقي إلى كتاب كريم أنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ مــن مشارق سرادق العظمة السليمانية والمطالع السعيدة الطوالع للعظمة والسعادة وقد جاء في أعز الأوقات وأشرف الساعات مع عمدة الأعاظم والأعيان شاه قورجي قاجار، وفاز بإشارات البشائر الغيبية التــي فاضــت مــن مــورد الفيوضات اللاربية، وأنه لمع ولاح من مضمونه المشحون بــالخير أنــوار صلاح وفلاح الفرقتين وآثار فوز ونجاح عامة العجزة والمسلمين ﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ﴾ والتي ظهرت على كافة البرايا، وقوبــل وصوله الكريم بشرط الإعزاز والإكرام، ولوازم التعظيم والاحتــرام، وفــي مقابل ذلك وصلت أصناف التسليمات المسكية النفحات التي شــمائم طيبهــا نسائم رياض الرضوان حسب (سلام عليكم طبتم) إلى مشام أرواح العالمين، وعطرت وعمرت آلاف الدعوات الوردية النسمات – التي فــوائح روائــح أزهارها حسب ﴿ فإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها ﴾- ساحة الآفاق كأنهــا ساحة حدائق الجنان وهي تحفة المجلس الأعلى والمحفل الأعلى، وقد لاحظنا حقاً وبعزة الله تعالى أن من بداية الحال حتى النهاية أنه أشاع أنــوار العــدل والإحسان، وأفاض آثار الرأفة والامتنــان علــى كــل العــالمين بمقتضــى

﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ﴾ وتقرر بذل كل همة خير لانتظام أسباب الصلح وصلاح الجانبين واستحكام قواعد المحبة والصفاء فيما بين الفرقتين والذي هو بلا شك فيه صلاح حال العباد ويؤدي لعمران الولايات والبلاد وأنه لتوفيق من الله في هذا الشأن بمقتضى أن أرباب الدولة ملهون من الطرفين لتوقيع تلك النية السعيدة والتي هي في الواقع سبب لسعادة الدين والدنيا ومحصن رضا وسرور حضرة المحق جل وعلا، وحضرة ملجأ الرسالة المحمدية صلوات الله عليه وعلى آله الأئمة المعصومين عليهم الصلاة والسلام، وأن كتاب ذلك السلطان العالي الشأن وصفحة الكرام التي هي مظهر اللطف والإحسان تأمر بتوجه واهتمام تام لإتمام هذا المرام الذي هو بلا شك من أعلى مآثر الإلهامات الربانية والتوفيقات السبحانية، وأن غاية الأمل وأقصى المراد الوثوق والاعتماد، والرسوخ والثبات على تلك القاعدة، وقد أرسلنا الأمير الذي نصابه الحكم كمال الدين فرح زاده بك أيشك أغاسي وهو من المقربين إلينا والمعتمد عليهم، إلى السدة العلية لتبليغ الرسالة وتشييد مباني الموافقة وتأكيد قواعد الصداقة والتحالف، وزودناه بتفاصيل الأحوال التي ستتشرف بالعرض، وعندما يطلب من مهب اللطف الإلهي، ومكمن الفضل اللامتناهي هبوب نسائم القبول والإقبال على رياض تلك النية التي مالها الخير فإن من المؤكد والمستحكم إتمام هذا الأمر الأهم والذي سيجعل كل أهل الإسلام من جنود ورعايا في أمن وأمان ومستقري ومستريحي البال، ويلهجون بالدعاء بدوام الدولة الأبدية الاتصال نتيجة للاطمئنان البال، ويصل إلى الله عز وجل نتيجة لانتشار آثار اللطف والرحمة من لسان كل شخص من صغار وكبار مضمونها :أنه لو كانت لي دعوة مستجابة لصرفتها للسلطان العادل، وعندما كان من المؤكد والمستحكم طبقاً لعادات وتقاليد بنيان الصداقة والتصافي تبادل الرسل والرسائل فإنه من المتوقع والمأمول أن يستمر على الدوام تبادل

الرسل والرسائل حتى تظهر حقيقة صلاح الجانبين وإصلاح ذات البين على جميع العجزة والمسلمين، ويصبحون قادرين على القيـام بمراسـم الـدين، والسعي وراء الرزق بفراغ خاطر وطمأنينة ويفوزون بزيارة بيت الله الحرام والمدينة المشرفة مكة المكرمة وبقية الأماكن المقدسة ببال فارغ وسعادة كي يستجاب دعاؤهم في تلك الأماكن المباركة، ويقومون بالدعاء بـدوام الدولـة المقرونة بالأبد، وأن تستمر ميامنها مقرونـة بخـط الـدوام، إن أريـد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه وتوكلت وإليه أنيب، وليظـل على الدوام سرير العرش السّليماني النظير، وسرير عرش السلطنة والمملكة مقر عزة وجاه ومستقر حشمة السلطان الجمي الجاه السليماني المكان الخاقان العالي الشأن الإسكندري الشهرة .

الوثيقة العاشرة

العالي الحضرة الفلكـــي البسطة الشمسي الإفاضة، برج السعادة من له مرتبة زحل ومنزلة الثريا ودراية دارا، وخصال جمشـــيد، وحـــظ جـــم، وعرش كسرى من منابه الرفعة، وقبابه المنقبة، واكتسابه المكرمـــة ســـائق غايات الرتب الزاهرة رافع رايات العزة البـــاهرة، وأفـــر الفضـــائل كامـــل الخصال مطلع كواكب المناقب وتشريفات قبلة الطـــلاب العـــارفين ســـلالة سلاطين كسرى أصل خلاصة الخواقين، الحاتمي العطـــاء، مؤســـس بنيـــان السعادة والإقبال، مشيد أركان العظمة والإجلال شمس فضاء الولاية السعادة الدرية لبرج الرفعة والحظ المحفوف بصنوف عواطف الملك الإلـــه، معـــز السلطنة السنية، ظهير الدولة البهية، طهماسب شاه لا يزال مقروناً بهداية الله أنه بعد إبلاغ وإرسال لطائف التسليمات الوافية المسكية النفحات، وشـــرائف التحيات الصافيات العنبرية الروائح والتي فاضت ولاحت من محض العاطفة الشاهانية التي شعارها البهجة، وعين الرأفـــة السلطانية التي دثارها السعادة، مع قافلـــة نسيم الشمال، فإنه ليس بخاف على الضمير المنير الشمسي التنوير والخاطر العاطر، أننا عندما كنا نسعد بظـــلال رايات انتصارنـــــا فـــي دار الفتح والنصر المحروســـة ارزن الروم (ارضروم) جاءتنا من قبلكم رســـالة مع قورجي قاجار وكنتم تتوقعون فيها أن يصبح بين جناب جلالتنا وبينكم ود وصفاء، وتطلبون الصلح وصلاح الأمور وهو ما ينتج عنه راحـــة الرعايـــا ويؤدي إلى انتظام أحوال الجمهور، وقد وقع رجاؤكم محل رضانا، وحينهـــا تم إرسال السفير المشار إليه إليكم مع الكتاب المستطاب، كمـــا تـــم إرســـال فرماناتنا المطاعة في العالم إلى إحكام الموجودين داخل حدودنا المحروســـة، وتم التأكيد عليهم بالا يتعرضوا للغادين والرائحين، وقد تم الآن سلوك هـــذا الطريق الذي قرينه التوفيق، وتم إرسال شرف الأماجد والأكـــارم مســـتجمع المحامد والمكارم المختص بمزيد عواطف هادي السداد أيشك أغاسي فـــرح

زاد بك قدره وهو من المقربين لتلك الأسرة، كرسول إلـــى ســدتنا المخلـــدة الإقبال لتأكيد مراسم المحبة والوداد وتشييد مبني المودة والاتحاد، وتم كتبـــة الكتاب المستطاب والخطاب المسكي النقاب إلى سدتنا التي اشتمالها السعادة، فوصل إلى سدة فلكنا في أيمن الأوقات وأحسن الساعات، وسعد بشرف تقبيل تراب عرشنا الذي هو مصير الخلافة، وعرض على عز حضورنا الأمـــور التي أمرتموه بها، وتم أيضاً الاطلاع علـــى خلاصـــة الآمـــال المســطورة والمكتوبة ضمن الرسالة الشهيرة وصحيفة الكرام، ووصل إلى علمنا الشريف المزين للعالم كل ما قبل بشأن تشييد مباني المولاه وتمهيد قواعد المصـــافاه وبالنسبة لهذا الأمر فإن شمس العالم والعالمين الله سبحانه وتعالى مالك الملك كان قد عهد إلى زمام تصرفنا الممالك الواسعة الأطراف في العالم بـــالطول والعرض بمقتضى ﴿ إنا جعلناك خليفة في الأرض ﴾ وسلم إلى رأينا المزين للعالم أحوال البلاد والعباد والحمد لله على آلائه العميمة ولقـــد كانـــت نيتنـــا الهايونية المقرونة بالخير مبذولة دائماً لترفيه أحوال المسلمين بالآيات الهادية المقترنة بالمعجزات لسيد الكائنات وخلاصة الموجودات عليه الصلاة والسلام والآثار العميمة التي تفيض بالبركات للأرواح المقدســـة لأل البيـــت الكـــرام والصحابة الأبرار، وان ميامن هممنا العلية التي مرآتها العدل معطوفة على الدوام لانتظام مهمام الأنام، ولأنه قد أشير إلى الصلح والصـــلاح مع عتبتنا التي هي مدار العالم من اجل استحكام واستقرار ما بيننا من مولاة ومصافاة، فإنه لو حظ صدق نواياكم واخلاصكم في هذا الأمر مما تضـــمنته رســـالتكم (وأحسن الموافقة والاتحاد فيما بين المتحابين) ولابد وأن يكون قاعدة الملوك الذين مرائهم الأنصاف، أن تشع الضمائر المنيـــرة لشـــمس تنـــويرهم، وأن أقصى مرامنا وعمدة آمالنا أن يحفظ ستر شرف الصحابة الأبرار والخلفـــاء المهديين الذين يطلق عليهم ضجيج سيد المرسلين، وقد أبلغنا رسولكم الـــذي جاءنا هذا المعنى، وتم إخباره ليبلغكم بأن هذا الأمر مدفوع وممنوع، وفـــي

الواقع فإن هذا الأمر غاية الأماني ومنتهى الآمال، وقد تم ذكر بعض الكلمات الخاصة بسلطان الولاية وبرهان الكرامة الإمام علي (كرمه الله وجهه ورضي عنه) في الموضع الذي ذكر في الرسالة التي مآلها السعادة، ولا شك في أن علو شأنه أكثر من مرتبة الكتابة وبعيد وخارج عن دائرة الحصر، ولكن مع ما هو عليه من علو جاه فإنه لا يجب سب وكره بقية الصحابة وقد قال سيد الكائنات وخلاصة الموجود صلوات الله عليه وسلامه " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم "، ولا شك في أن عظيم الحب لجميع هؤلاء السادة يؤدي إلى سعادة الدنيا والآخرة، وفي النهاية فإن ما تأملونه بشأن التصالح مع سدة بهجة عطائنا قد حاز لدينا القبول، كما أن رسولكم المشار إليه قد قام بتوصيل الرسالة كما ينبغي، وتم إعادته إليكم بحسن إجازتنا الهمايونية، وأن شاء الله الأعز الأكرم تصبح بعد ذلك روابط الاتحاد أبديه وتراعي وتشيد شروط الانبساط، ما دامت لم تظهر أو تقع من جانبكم أوضاع تثير الفتنة ومغايرة للمصافاه والمولاه .

كما أنه أغلقت أبواب التعرض لحدودكم من قبل ضباط الملك والملكة وحراس الأقاليم والمملكة الموجودين في أكناف المملكة المحمية، إذ يجب ألا تضيع دقيقة في الحفاظ على سبل الصفاء، وقد تشرفت الإجازة العلية الخاقانية بالنفاذ بشأن الأمور التي أشرتم إليها في خطابكم المستطاب بمقتضى الصلح والصلاح والفوز والفلاح، وهي أن يحظى حجاج بيت الله الحرام وزوار المرقد المطهر لحضرة سيد الأنام عليه الصلاة والسلام برفاهية واطمئنان عند توجههم لتلك النواحي، ولن يحول القائمون على الثغور بين عامة المسلمين والموحدين والراغبين في زيادة الأماكن المشرفة والقبلة المطهرة والطواف حولها وبين ما يبتغون، وليتموا مرامهم بفراغ خاطر واطمئنان بال .

الوثيقة الحادية عشرة

خطاب من ملكة اليزابيت إلى الشاه طهماسب الأول :

من اليزابيت ملكة انجلتر المؤيد بالتأييد الإلهي إلى الأمير العالي القوى الصوفي الكبير ملك الملوك أب ان وشعب مادربارث وجرجان وكرمان ومرور والقبائل على شاطىء دجلة وكطل الشعوب التي تقطن ما بين بحر الخزر والخليج الفارسي أبعث وافر السلام وأماني الساعدة والإقبال .

من رحمة الله التي لا تحد أصبحت الامتان الإيرانية والانجليزية صديقتين عن طريق المراسلة، رغم المسافة التي تفصيل بينهما من بحار وأرض الطرفين، ولهذا فان تابعنا العزيز الوفي أنطواني جينكينسن الذي يحمل هذه الرسالة باذننا ومراحمنا وبعون الله ينوي السفر من بلادنا إلى إيران وباقي المناطق التابعة لنفوذكم . ولما كان هدفه إقامة علاقات تجارية مع رعاياكم، وبقية التجار الذين يعملون في بلدكم بالتجارة . لهذه أردت أن أطلب من جلالتكم ان تتفضلوا باصدار تصاريح المرور اللازمة له ولمرافقيه والتسهيلات الأخرى حتى لا يواجهوا أية مشاكل في تنقلاتهم أو أقامتهم في إيران ...

كتب في انجلتر بمدينة لندن الكبير في 25 / إبريل / 1536م .

الأشكال والصور





منمنمة من مخطوطة مصورة، إيران 1515 م، ألوان مائية على ورق

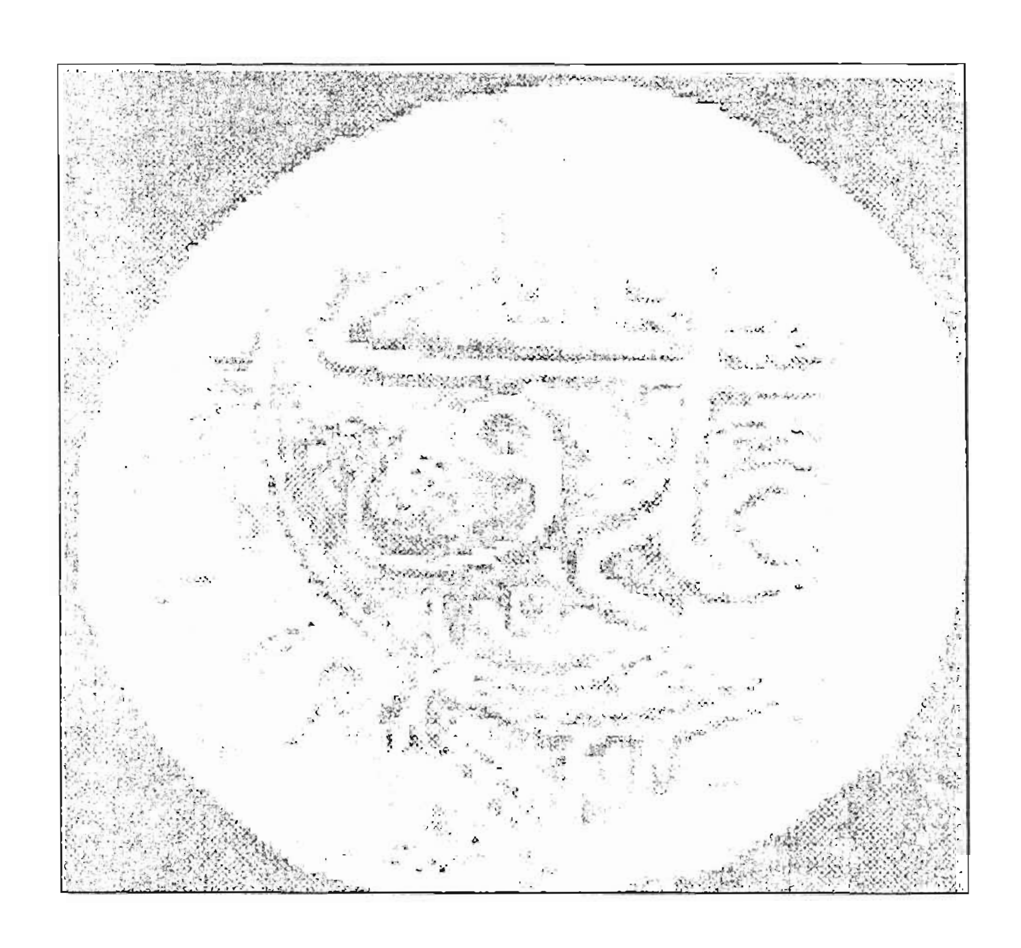
منمنمة من مخطوطة مصورة " **خمسة كنوز نظامي للشاعر الإيراني** " خمس قصائد للشاعر نظامي .

في الصورة نرى الملك الفارسي بهرام " جور الصياد الماهر "، يصيب برمية سهم واحدة أذن وقدم الغزال، وخلفه محبوبته أزده نعزف القيثارة .



منمنمة من ألبوم، إيران، قزوين، القرن السادس عشر ألوان مائية على ورق. ملاك متبرج يجلس منتصب القامة بيده سبحة، على خلفية سماء ملبدة بالغيوم بالأسلوب الصيني، وتسريحة شعره وعيونه صينية .

عن : المرشدون للفنون الإسلامية *www.ammaj.org* .



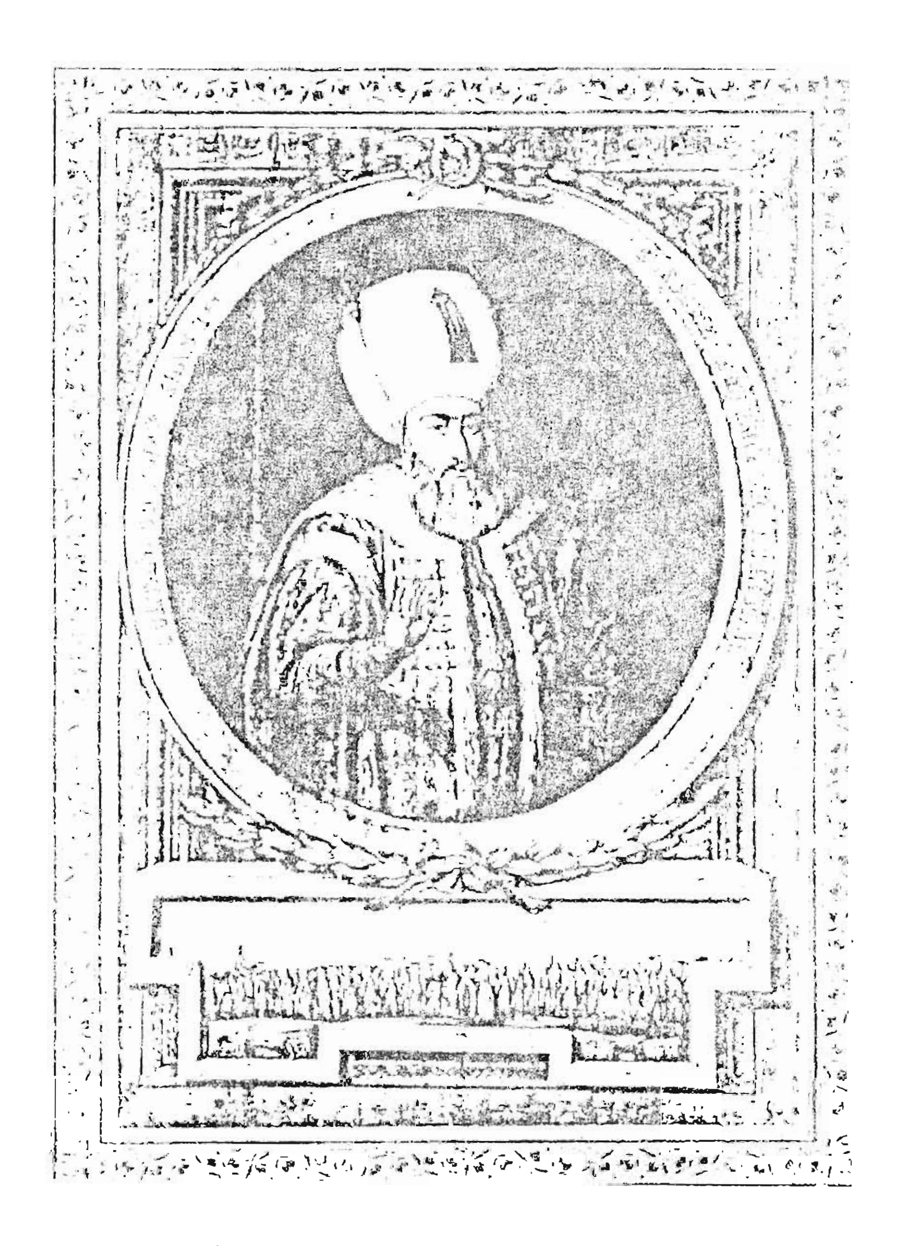
عملة ذهبية في العصر الصفوي، سكت في عهد الشاع إسماعيل 1501 - 1524 م، ضرب عليها : لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله .



صورة للسلطان العثماني بايزيد الأول . عن : علي أكبر ولايتي، تاريخ روابط خارجي إيران وعهد شاه إسماعيل الصفوي، ص 283 .



صورة للسلطان العثماني سليم الأول . عن : علي أكبر ولايتي، ص 283 .



صورة للسلطان العثماني سليمان القانوني . عن : علي أكبر ولايتي، ص . 285



صورة للشاه إسماعيل الصفوي . عن : علي أكبر ولايتي، ص 282 .



الخرائط

1 - خريطة للدولة الصفوية .

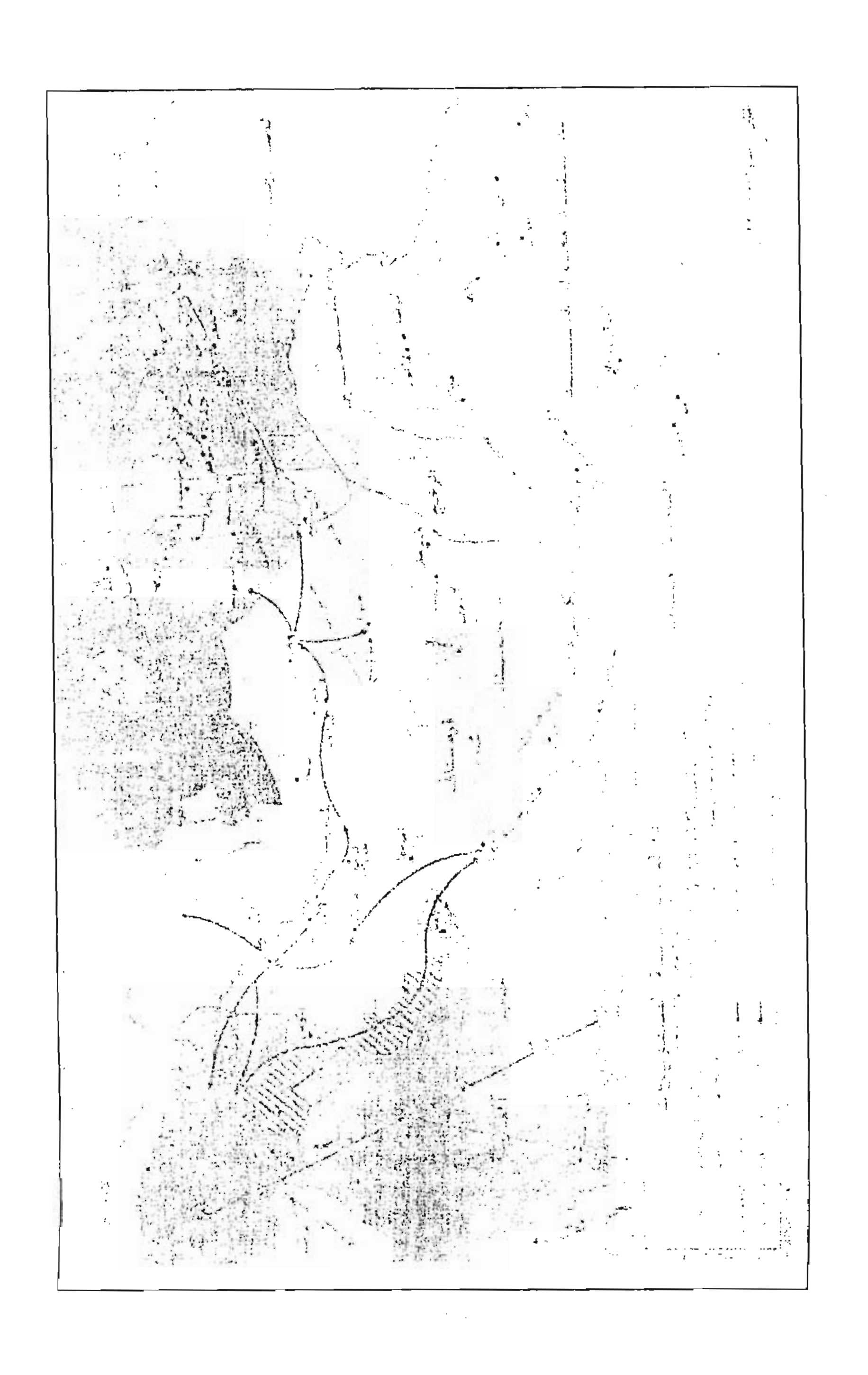
2 - خريطة لميلاد الدولة العثمانية وتوسعها حتى نهاية حكم سليم الأول 1520 م .

3 - خريطة الصراع بين العثمانيين والصوفيين .

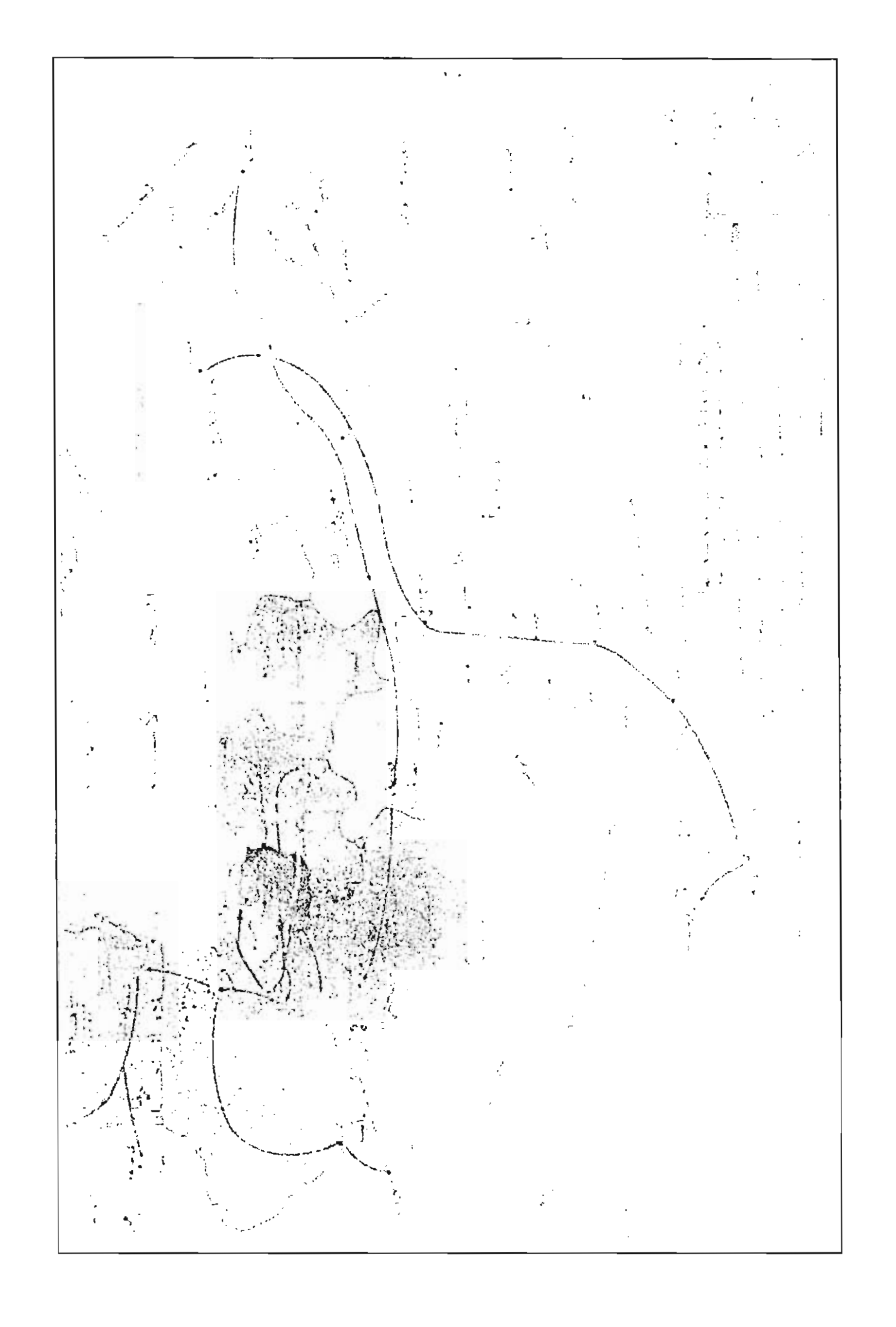
4 - خريطة اقتصادية للعالم الإسلامي في العصور الوسطى .

5 - خريطة اقتصادية للعالم الإسلامي في العصور الوسطى والطرق الرئيسة للتجارة .

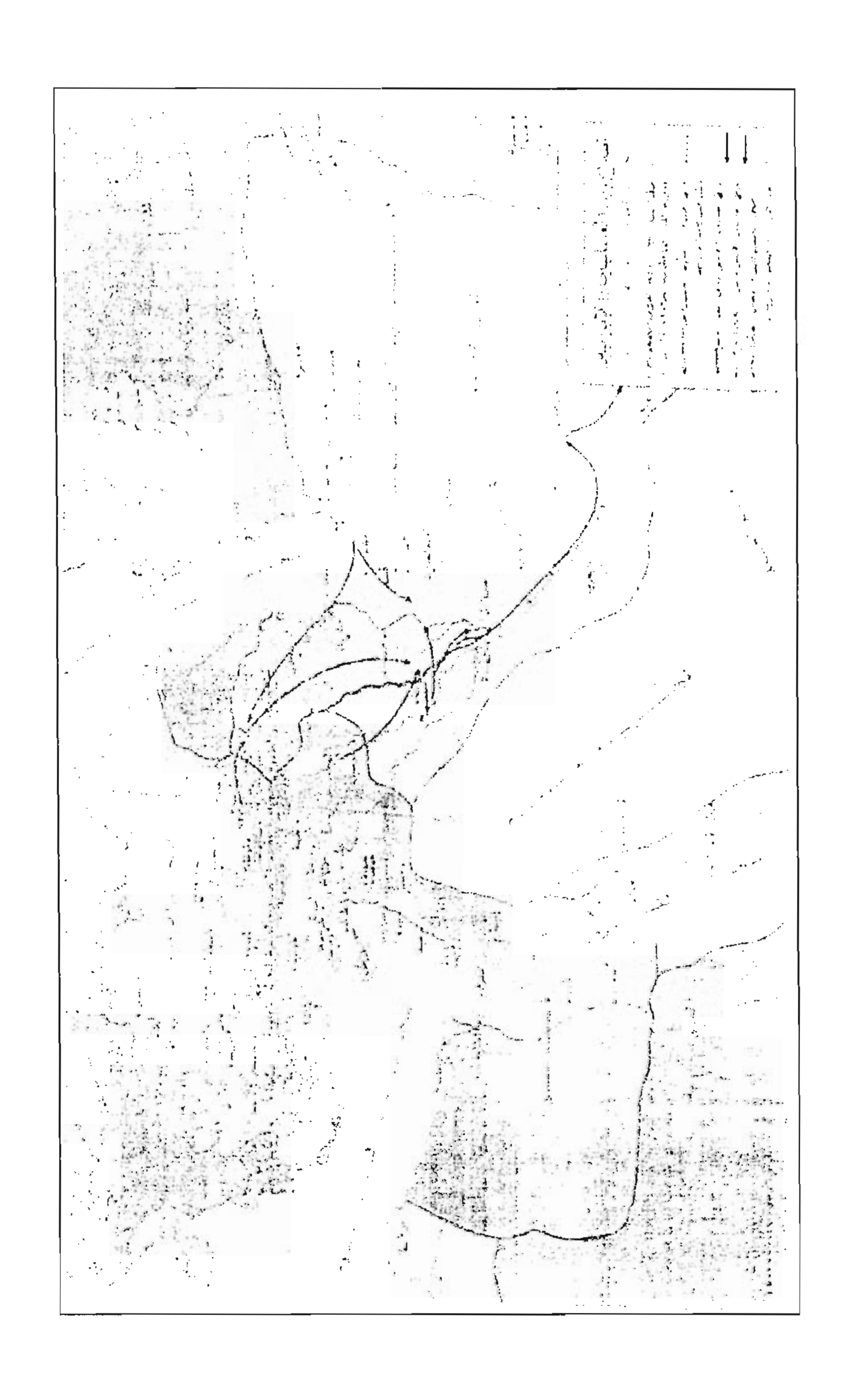




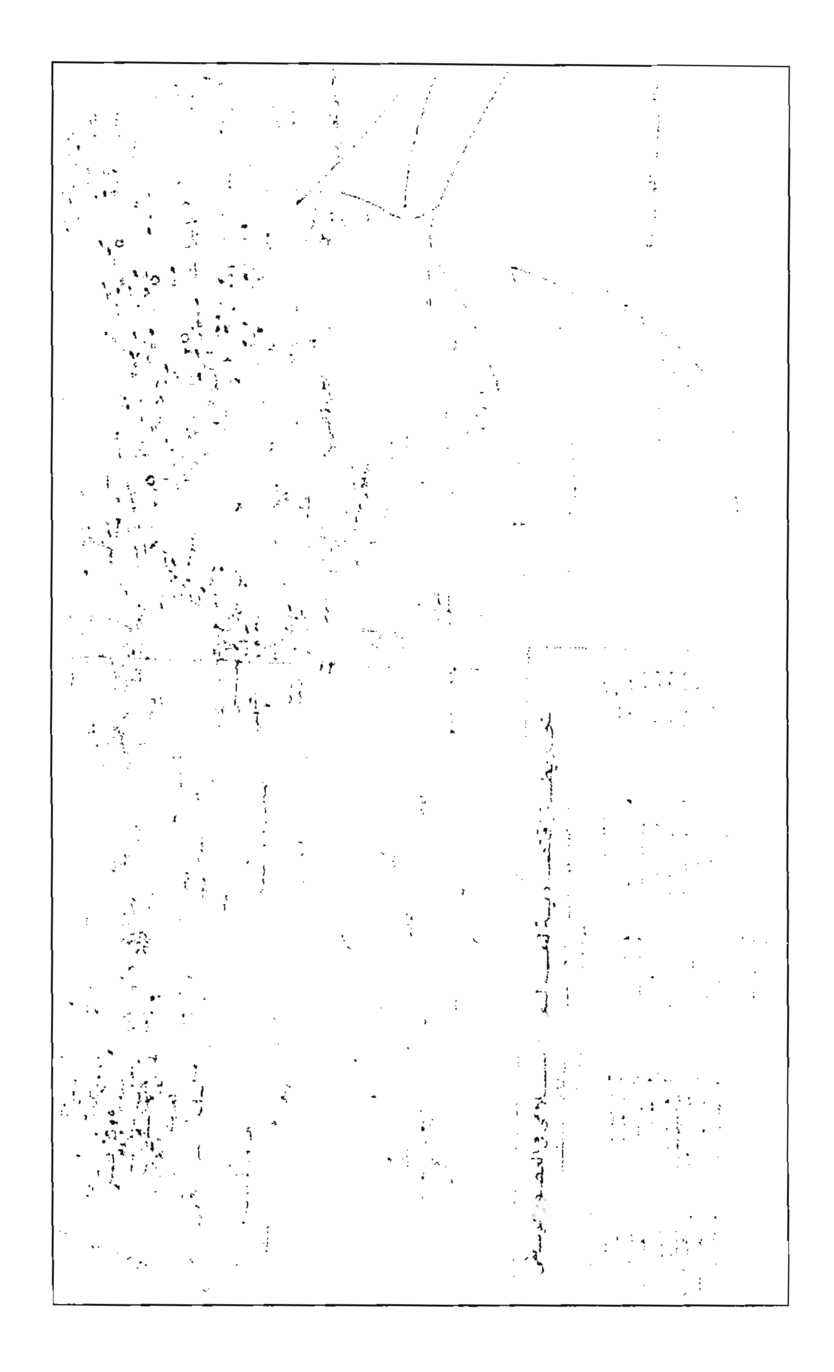
الشكل : 1 . خريطة للدولة الصفوية . عن : حسين مؤنس ، الأطلس الإسلامي .



الشكل : 2 . خريطة لميلاد الدولة العثمانية وتوسعها حتى نهاية حكم سليم الأول 1520 م . عن : حسين مؤنس ، الأطلس الإسلامي .

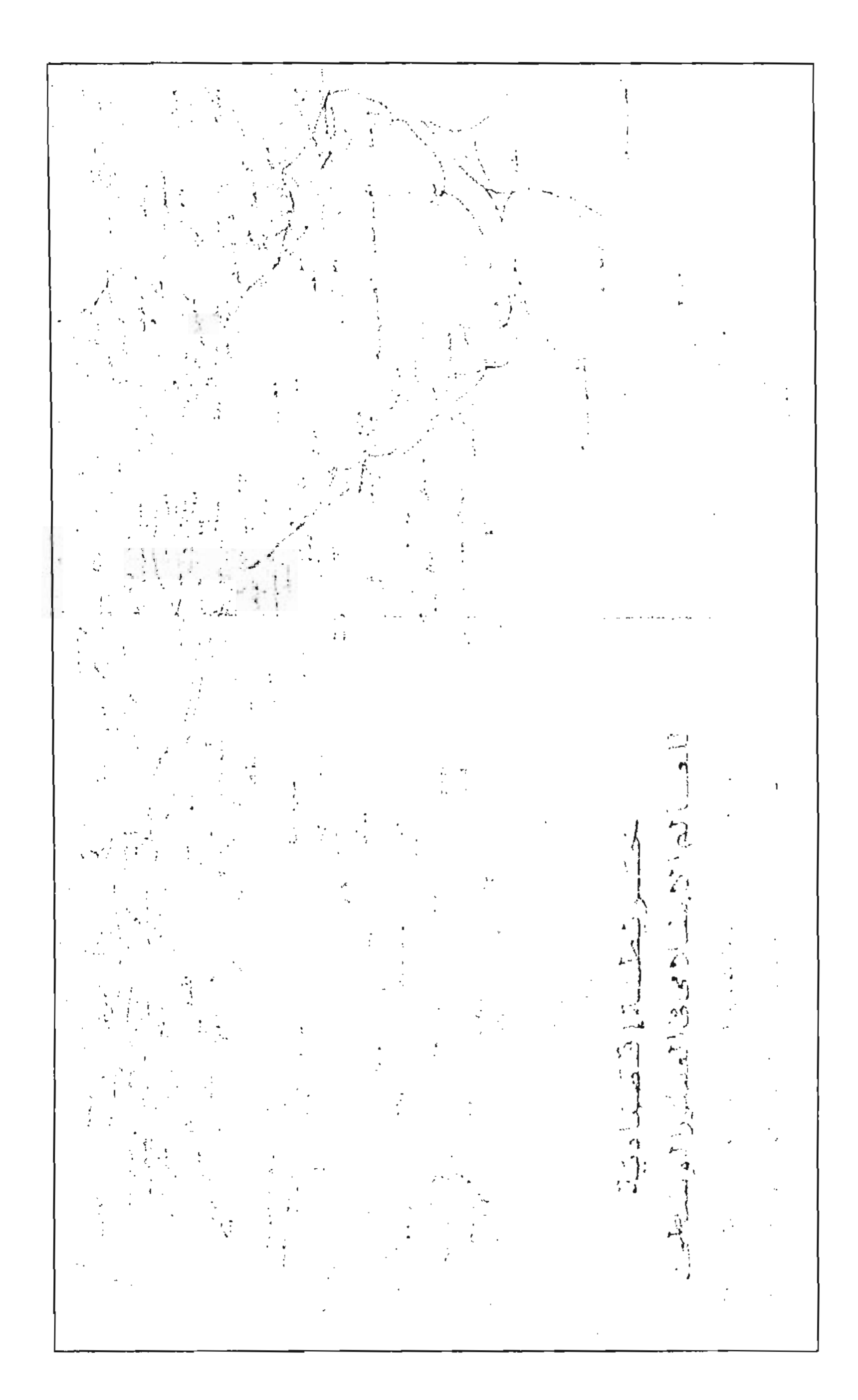


الشكل : 3 . خريطة الصراع بين العثمانيين والصفويين . عن : حسين مؤنس ، الأطلس الإسلامي .



الشكل : 4 . خريطة اقتصادية للعالم الإسلامي في العصور الوسطى .

عن : حسين مؤنس ، الأطلس الإسلامي .



الشكل : 5 . خريطة اقتصادية للعالم الإسلامي في العصور الوسطى والطرق الرئيسة للتجارة . عن : حسين مؤنس ، الأطلس الإسلامي .

هذا الكتاب

بدأ الزحف العثماني نحو أوروبا في منتصف القرن الرابع عشر وتوج بفتحه القسطنطينية عام 1453 والسيطرة على جزء كبير من أوروبا.

ومع بداية القرن السادس عشر اتجه العثمانيون للمشرق (الفارسي والعربي) ليدخلوا في صراع طويل الأمد مع الدولة الصفوية وقد نتج عن هذا الصراع أحداث ووقائع وما تمخض عنها من نتائج ولاسيما المتعلقة بمنطقة المشرق العربي.

